كنز الوفا

في

ذكر آخر أيام المصطفى ﷺ

مرض الرسول ﷺ ووفاته ووصاياه الأخيرة

دروس وعبر

أجمع كتاب في بابه

يجمع بين الرواية والدراية وتمييز الصحيح من السقيم

تأليف

محمد عمر بن محمد شفيق الندوي

دار البشائر الإسلامية

كنز الوفا

في

ذكر آخر أيام المصطفى صلى الله عليه وسلم

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

دار
البشائر الإسلامية

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
email: info@dar-albashaer.com
website: www. dar-albashaer.com


ISBN 978-614-437-373-6
9 786144 373736

كنز الوفا

في

ذكر آخر أيام المصطفى ﷺ

مَرَضُ الرَّسُولِ ﷺ وَوَفَاتُه وَوَصَايَاهُ الأخِيرَة

دروس وعبر

أجمعُ كِتَابٍ فِي بَابِه

يَجمعُ بينَ الرِّوايةِ والدِّرايةِ وتمييزِ الصَّحِيحِ مِنَ السَّقِيمِ

تأليفُ

محمد عمر بن محمد شفيق الندوي

دار البشائر الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء
ورئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد:

فإنَّ السيرة النبوية العطرة مَعين لا ينضب من الفوائد والدروس والعبر؛ فهي تاريخ علم ومعالم، وهي سيرة خير البرية، وصورة من صور الحياة الحافلة بتمثل الشرع ورحمة الخلق، فالعناية بها والعيش مع فصولها من أكرم الأوقات وأنفعها، كما أن دراستها وبيان العِبَر والفوائد النابعة من مواقفها وأحداثها يُعدّ من الجهود المشكورة المأجورة. ومن ذلك هذا الجهد الموفَّق: المسرَد التاريخي للأيام الأخيرة من حياة الرسول ﷺ (مرضه ووفاته ووصاياه)، الذي خطّه يَرَاع أخي الفاضل الشيخ محمد عمر شفيق الندوي وفّقه الله.

وهو بهذا يُبرز بِلُغَته السّهلة ومنهجه البحثي تلك الأحوال التي مرّت على نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام في ختم حياته، بأسلوب رصين واختصار غير مخلّ، جذب به القارئ لِيَعِيش تلك المرحلة بعظاتها وعباراتها وملامحها، وهو مُستحضرٌ مقام النبيِّ عليه الصلاة

والسلام وما بذله في شأن تبليغ الدعوة، وتحقيق وعد ربه، فيرسّخ في وِجدان القارئ محبَّة النبي عليه الصلاة والسلام وتوقيره.

فَشَكَر الله للشيخ محمد عمر الندوي جهده، وجعله الله في ميزان حسناته، سائلًا المولى أن يبارك فيما دوّنه ونفع به الإسلام والمسلمين، وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ كتبه
د. صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام
وعضو هيئة كبار العلماء
١٤/المحرم/١٤٣٨هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

ومدير جامعة ندوة العلماء بلكناؤ ـ الهند

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد الأنبياء والمرسلين؛ محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن السيرة النبوية على صاحبها ألف ألف تحيَّة وسلام هي الكنز الثمين للإنسانية جمعاء، وهي تمتلئ بكثير من الدروس والعبر للحياة الإنسانية؛ لأنها تتحدث عن الأسوة الحسنة، والشخصية المثالية، التي أتحفت الإنسانية كثيرًا من الخيرات والبركات، وهي شخصية رسولنا العظيم محمد ﷺ.

ولا شك أن محمدًا ﷺ هو النموذج المثالي الفَذّ للبشرية جمعاء، فضلًا عن الأمة الإسلامية، التي هي منحة البعثة المحمدية، وجائزتها للإنسانية، وقد أخرجه الله تعالى لمهمة الدعوة الجليلة والقيام بعمل الوصاية على العالم، وإن حياته الحافلة بالمكارم النبيلة والمثل العليا، والعامرة بجميع نواحي العظمة والسمو والخلق العظيم هي الركيزة للانطلاق نحو الهدف الأصيل، فمنها ينطلق المسلم إلى وجهة الحياة

الصحيحة، وبها يتعين طريقه إلى الله تعالى، وطريقه إلى السعادة الخالدة، والعزة الدائمة، والسلام القائم، والنجاح المستمر، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقد قسَّم أصحاب السير السيرة النبوية إلى قسمين مهمَّين:

١ ـ قسم من الولادة إلى الوفاة.

٢ ـ وقسم للتعاليم العالية لجميع الحياة الإنسانية.

وقد كتب حول هذين القسمين من السيرة كثير، وقد استوعب هذه المناحي كلها الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ في مؤلفه الجليل: «زاد المعاد في هدي خير العباد»، وتحدث في ضوء الأحاديث الصحيحة، فكشف الستار عن كثير من الأمور التي يتعرض لها الإنسان في حياته، وكل ذلك في ضوء السيرة النبوية. وصدرت قبل عدة سنوات موسوعة باسم «موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق النبي الكريم ﷺ»، تحت إشراف معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد (إمام وخطيب المسجد الحرام) وذلك في مجلدات ضخمة، وأسفار عديدة، ويغطي جميع موضوعات أخلاق النبي ﷺ.

ولا تزال تصدر حول السيرة النبوية مؤلَّفات قَيّمة وكتب جامعة لمناحي السيرة النبوية، بعض هذه الكتب تتناول فقط سرد السيرة النبوية من الولادة إلى الوفاة، وبعضها تتحدث عن السيرة النبوية وفقهها ودروسها وعبرها، وأمثال هذه الكتب تكون نافعة للباحثين وعامة الناس.

ومن بين هذه الكتب والمؤلفات: «**كنز الوفا في ذكر آخر أيام المصطفى** ﷺ (مرض الرسول ﷺ ووفاته ووصاياه الأخيرة: دروس وعبر)» للأستاذ محمد عمر بن محمد شفيق الندوي. وهو أجمع كتاب

في بابه؛ يجمع بين الرواية والدراية، وتمييز الصحيح من السقيم؛ يشتمل على سبعة فصول، وكل فصل يسلط ضوءًا كاشفًا على آخر أيام النبي ﷺ في ضوء دروس وعبر.

استفاد المؤلف خلال إعداد هذا الكتاب من عشرة ومائتي مصدر ومرجع، وازدان جِيد هذا الكتاب بكلمات تقديم من علماء العالم الإسلامي، وفي مقدمتهم معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد (إمام وخطيب المسجد الحرام).

ولا شك أن هذا الكتاب مصدرٌ مهم من مصادر السيرة النبوية، وزيادةٌ قَيِّمة في المكتبة النبوية، وهو يتحدث عن موضوع قلّما أفرد فيه كتاب، فنحن إذ نشكر المؤلف على هذه الهدية العلمية الغالية، ندعو الله ﷻ أن يبارك في عمله ويوفقه لما يحبه ويرضاه.

وصلّى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

✍ كتبها بيمينه
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي
ندوة العلماء ـ لكناؤ
١٤٣٩/١/٢٨هـ
٢٠١٧/١٠/١٨م



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة خالد سيف الله الرحماني

الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بالهند،
وعضو المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة
ورئيس المعهد العالي الإسلامي بحيدر آباد - الهند

إن الرسول ﷺ هو أساس الدين الذي أكرمنا الله تعالى به ومصدره، فما عرفنا الله تعالى إلا به، وعن طريقه وصل إلينا آخر كتاب أنزله الله، وهو الذي أخبر الأمة عن أمور الآخرة وأحوالها، وصوّر لنا الجنة والنار كأنّهما رأي العين، ومنه تعلّمنا المنهج الذي يحبه الله ويرضاه في جميع شعب الحياة وأمورها، ومن أجل ذلك كانت حياة النبي ﷺ وسيرته المباركة أساسًا متينًا ووسيلةً وحيدةً لمعرفة طريق الحق والهداية، ولذلك أوصانا الله ﷻ باتباع كل ما جاء به الرسول ﷺ واجتناب كل ما نهى عنه فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

ومما يسترعي النظر والانتباه أن الله تبارك وتعالى لم يقل: اعملوا بما أمركم به الرسول ﷺ؛ لأن هذه الصيغة لا تشمل إلا الفرائض والواجبات، بل قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، فكلمة «ما» تشمل كل أقوال الرسول ﷺ وأفعاله، سواء كانت من الفرائض

والواجبات أو من السنن والمستحبات، وسواء كانت سُننًا تشريعية أو عادية.

فحياة الرسول ﷺ هي بمثابة مرآة صافية شفّافة لكل أحد، يمكنه أن يرى فيها صورته، فكلّما ازدادت صورته وضوحًا وجلاءً دلّ ذلك على أنّ حياته تسير على وفق منهج الله تعالى وعلى طريق السعادة بقدر ذلك.

ولذلك؛ فإن مجرّد الإيمان به ﷺ لا يكفي، بل لا بد من إجلاله وتعظيمه تعظيمًا يفوق كل المخلوقات، ودون تعظيم الخالق، وحبّه حبًّا يكون أشدّ من حبّه لنفسه ووالده وولده والناس أجمعين، إذ إن حُبَّه ﷺ هو مناط الإيمان.

ولهذا كان التّحدث والكتابة في سيرته ﷺ عنوان سعادة المرء وفلاحه، بل إن معظم أعلام هذه الأمة وعلمائها البارزين قد سعدت أقلامهم بالكتابة عن سيرة المصطفى ﷺ، وكما أن القرآن الكريم قد حظي بالعناية الفائقة والتحقيق البليغ في جميع نواحيه وشتى علومه فكذلك السيرة النبوية حظيت بدراسة واسعة ومعمّقة أبْرَزَت جوانبها المختلفة والنادرة، وزواياها الخفية.

وقد كانت السيرة النبوية محل عناية علماء الأمة واهتمامهم قديمًا وحديثًا لِسَبَبين رئيسين:

أحدهما: أن هداية البشرية قد نيطت بأُسوته الكريمة إلى يوم القيامة. أما أقوال الأنبياء السابقين وأحوالهم فإنها ـ وإن ثبتت وصحّت ـ لا تكون حجّة لنا إلا إذا كانت موافقة لأقواله وأفعاله ﷺ.

والثاني: بما أن نجاح الإنسانية وسعادتها في الدنيا والآخرة منوطة باتِّباع أُسوته ﷺ كتب الله تعالى لسيرته ﷺ البقاء سالمةً محفوظةً من أيّ زيادة أو نقصان، فأصبحت حياته ﷺ كتابًا مفتوحًا لكلّ ناظر، يمكنه أن

يرى فيه كل شيء عن حياته الشريفة بجلاء ووضوح، ويتأسى به ﷺ في جلوته وخلوته، وعلاقته مع الله، ومع خلق الله، وطريقة تعامله مع الأصدقاء والأعداء، ويتبع توجيهاته وإرشاداته في كل دقيق وجليل من شؤون الحياة. وهذا بِحَدّ ذاته يُعدّ معجزة من معجزاته ﷺ.

ومن فضل الله ﷻ ومَنّه وكرمه أن اللغة الأردية مع حداثة نشأتها تزخر بنتاج ضخم من كتب السيرة النبوية حتى أصبحت اللغة الثانية بعد اللغة العربية في كثرة المؤلفات فيها.

وهذا الكتاب «**كنز الوفا في ذكر آخر أيام المصطفى ﷺ**» يُعدّ إضافة قيّمة إلى مكتبة السيرة النبوية؛ إذ ليست هناك حادثة أشدّ وقعًا على المسلمين من فراق الرسول ﷺ ووداعه لهم، فإن وفاته ﷺ تتضمّن مع فاجعة الفراق انقطاع الوحي من السماء انقطاعًا أبديًّا إلى يوم القيامة، ومن أجل ذلك كان لهذا الحادث أهمية خاصة في السيرة النبوية.

وقد نقل عن المحدِّث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله تعالى أنه في اليوم الذي كان يُدَرّس فيه الطلاب أحاديث وفاته ﷺ كان يبكي بكاءً شديدًا، وكانت عيونه تفيض بالدموع وتتوضأ به مرّة بعد أخرى.

ثم إن الناظر في كتب السيرة يجد أن المؤلفين والكُتّاب في السيرة النبوية اهتمّوا بذكر وقائع ولادته ﷺ وغزواته بتفصيل وتوسع، بخلاف وفاته عليه الصلاة والسلام فإنهم لم يتوسّعوا في ذكر تفاصيلها ووقائعها. والواقع أن عامّة المؤلفين قد أدرجوا كثيرًا من الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة في كتبهم، ومن هذه الروايات ما تتخذه بعض الفرق الضالّة ولا سيما الرافضة مستندًا ومستدلًّا لعقائدهم الزائفة الباطلة، ولذلك كانت الحاجة ماسّة إلى تأليف كتاب في باب وفاته ﷺ خاصةً، يكون خاليًا من الروايات الباطلة والواهية.

فجاء هذا الكتاب والحمد لله محقّقًا لهذه الغاية.

وهو يشتمل على سبعة أبواب، ويعرض صورةً صحيحةً صادقةً للسيرة النبوية، ويهتم بإزالة الشبهات وتصحيح المفاهيم الخاطئة والدعايات المغرضة.

والميزة الأساسية لهذا الكتاب أن مؤلفه اتَّبع فيه منهج المحدِّثين وطريقتهم؛ فكانت كتب الحديث هي العمود الفقري للكتاب، مع الاستفادة من كتب السيرة المعتمدة في إتمام البناء وربط الوقائع ببعضها.

ثم إن المؤلف بدلًا من سرد الأحاديث المتعلّقة بالواقعة الواحدة بنصوصها، وتفريق أحداثها بين الروايات، جمع بين ألفاظ الروايات والزيادات التي وقعت في مختلف طرقها، وساقها سياقًا واحدًا، متسلسلًا ومتناسقًا، يصوّر الوقائع تصويرًا دقيقًا. وكذا اختار القول الراجح فيما وقع فيه خلاف بين المحدِّثين وأهل السِّيَر، واعتنى بتوثيق النقول وعزو كل شيء إلى مصدره، واهتم بضبط الأسماء والأماكن المشكلة التي يخطئ في نطقها كثير من الخواص في بلادنا فضلًا عن غيرهم، وبذل جهده في ذكر الدروس والفوائد والعبر المستنبطة من أحداث ووقائع هذه الفترة.

وبهذا يُعدّ هذا الكتاب إضافةً قيمةً في موضوعه، وجهدًا فريدًا من بعض النواحي، وخاصةً في اللغة الأردية، جمع مؤلفه فيه بين السيرة وفقه السيرة.

ومؤلف هذا الكتاب هو الشيخ المفتي محمد عمر بن محمد شفيق الندوي. شابّ عالم نشيط، ذو همة عالية، عمل باحثًا في مجمع الفقه الإسلامي عقدًا من الزمان، وقد قام المجمع بنشر موسوعة علمية عن القواعد الفقهية والأصولية في اثنين وأربعين مجلدًا(١)، وهي أضخم

---

(١) وهي مطبوعة باسم: «مَعْلَمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية».

موسوعة في مجالها، وَلِمُؤلف الكتاب إسهام بارز فيها، حيث قام بتحرير مقدّمة علمية ضافية بعنوان «أنواع القواعد الفقهية»، وصاغ مائةً وواحدًا وسبعين قاعدةً وضابطًا من القواعد والضوابط الفقهية. وقد شارك المؤلف في مشروع تقنين الفقه الحنبلي أيضًا، فقام بصياغة أحكام أبواب النكاح والنفقات في صورة مواد قانونية على المعتمد عند الحنابلة. إضافةً إلى ذلك له درس أسبوعي في الفقه وأصوله داخل السكن الجامعي يحضره نخبة من الأساتذة والطلبة، وترجع إليه الجالية الأردية في الجزيرة العربية في المسائل الشرعية، وهو يمتاز بالاحتياط في الفقه والفتوى، وعمق النظر في الفقه الحنفي.

والعبد الضعيف قد قابل المؤلف مرّات عديدة، وكلما قابلتُه سُرِرتُ بذوقه الفقهي ومزاجه العلمي، واستقامته على منهج السلف الصالح، وكثرة مطالعته للكتب، وحسن أخلاقه واحترامه وتوقيره للأكابر والمشايخ.

ووالدُه الكريم شيخ محبّ للدعوة، ومواظب على صوم داود عليه السلام منذ زمن بعيد، وأخوه الشيخ محمد علي الندوي مجتهد في مجال التحقيق العلمي.

أسأل الله العلي العظيم أن يوفق المؤلف لمزيد من التقدم في مجال العلم والتحقيق، والدعوة والإصلاح، وأن يجعل نفعه عامًّا وتامًّا، وأن يتقبل منه تأليفه هذا وخدمته للسيرة النبوية، والله هو المستعان.

✍ خالد سيف الله الرحماني

خادم المعهد العالي الإسلامي، حيدر آباد ـ الهند

٢٦/شوال/١٤٣٧هـ

الموافق ١/أغسطس/٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

معالي الشيخ العلامة الأستاذ الدكتور محمد الروكي

أستاذ الفقه وأصوله بجامعة محمد الخامس
وعضو المجلس العلمي الأعلى بالمغرب
خبير أول بمجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة
ورئيس جامعة القرويين سابقًا

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين، وسيِّد الخلائق أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد خص الله نبيّه محمدًا ﷺ بخصائص كثيرة ومزايا عديدة، منها تدوين سيرته ومراحل حياته من مولده إلى وفاته بتفصيل لا مزيد عليه، فقد أقبل العلماء والأدباء على الكتابة في سيرة المصطفى ﷺ نثرًا وشعرًا، وإطنابًا وإيجازًا، وأجادوا في توثيقها وعرض أسانيدها، وأحسنوا في تصنيفها وتبويبها، واجتهدوا في استخلاص فقهها واستنباط ما فيها من الفوائد والمقاصد والمعاني والأسرار، والدلالات والعظات، سواء من ذلك ما يَعُمّ فصول السيرة النبوية وأحداثها ووقائعها، أو ما

يخص مرحلة من مراحلها وجانبًا من جوانبها؛ ككتب المولد، والشمائل، والأعلام، والمغازي، وغيرها.

وقد أحسن أخونا الشيخ محمد عمر الندوي حين اهتدى إلى الكتابة في جانب من هذه الجوانب، ومرحلة من هذه المراحل للسيرة النبوية، وهو ما يتعلق بمرض النبي ﷺ ووفاته إثره، وذلك بكتابه القيم الذي طالعنا به بعنوان: «مرض النبي ﷺ ووفاته ووصاياه الأخيرة: دروس وعبر»(١) فهو التفاتة جيدة، حيث اهتم بهذه المرحلة المليئة بالعظات والدروس البالغات، مرحلة وفاته ﷺ كيف نستقبل المرض ونتعامل معه....

وقد عرض الشيخ محمد عمر الندوي في كتابه هذا وقائع مرض النبي ﷺ ووفاته، بدءًا بمقدّمات ذلك ومرورًا بمرضه ﷺ واستخلافه أبا بكر الصديق للصلاة ووقوفًا على وفاته ﷺ، ثم تجهيزه وتركته، ثم اشتياق الصحابة له بعد وفاته ﷺ.

وهو في ذلك كله يعرض الأحداث والوقائع ويتبعها بما استنبطه منها من الدروس والعبر في أسلوب شيّق ولغة جيدة، فجاء الكتاب قيّمًا نافعًا جيدًا في موضوعه ومضمونه ولغته ومنهجه وخطته، فضلًا عن كونه مختصرًا(٢) لا يملّ منه القارئ.

فهنيئًا للقراء بهذا الكتاب الجيد الذي يطبعه الصدق والإخلاص وحبّ النبي ﷺ، ويميزه التنبيه على هذه المراحل من مراحل السيرة

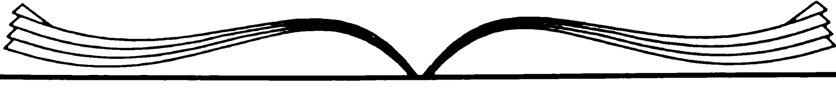
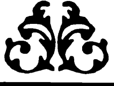
(١) وضعتُ له هذا الاسم أوّل الأمر، ثم غيّرته إلى الاسم الحالي. (المؤلف)

(٢) كان الكتاب مختصرًا حين تقديم الشيخ له، ثم رأيتُ أن أجعله جامعًا شاملًا في موضوعه، فتضاعف حجمه. (المؤلف)

النبوية، والوقوف على وقائعها وعظاتها ودروسها وعبرها التي ما أحوج الناس إلى التزوّد منها والاعتبار بها.

✍ **أ.د. محمد الروكي**
أستاذ الفقه وأصوله بجامعة محمد الخامس
وعضو المجلس العلمي الأعلى بالمغرب
رئيس جامعة القرويين سابقًا
١٥/رمضان/١٤٣٧هـ





تقريظ منظوم

لفضيلة الشيخ الحسين أحمد درويش الشنقيطي

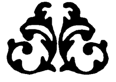
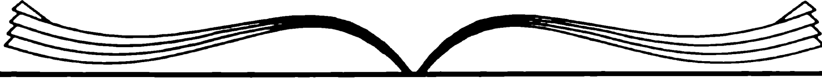
جَمَعْتَ شَتَاتَ البَحْث يا سَيِّدِي عُمَر(١)
كأنكَ غوَّاصٌ يَغُوص إلى الدُّرَرْ
فجئتَ به من كلّ لونٍ وَجَدْتَه
ونَقَّيْتَه حتى استنارتْ به السِّيَرْ
وفاةُ رسولِ اللَّه تحتاج حاذقًا
يُمَيِّز بالتَّحْقِيق ما جاء في الخَبَرْ
لِكَثْرَة ما يُروى ومَيْلِ عواطفٍ
بما يقتضي زيفًا وبُعدًا عن النَّظَرْ
فكنتَ جزاك اللَّه خيرًا مُوَفَّقًا
لهذا، قضى الرحمان لي ولكَ الوَطَرْ

✍ **الحسين أحمد درويش الشنقيطي**
المدينة المنورة



---

(١) جرت العادة في بلاد الهند والسند التسمية بالأسماء المركَّبة، فيضعون اسم محمد قبل أسمائهم من باب التبرك، فـ(محمَّد عمر) مركب من اسمين: (عمر) هو الاسم الأساس، و(محمد) للتبرُّك. وكذلك جرت العادة في بعض البلاد العربية؛ كموريتانيا ومصر وبعض مناطق الجزيرة العربية سابقًا. (المؤلف)


كلمة المؤلف

الحمد لله المتفرد بالعظمة والجلال، المُتَفَضِّل على خلقه بِجَزِيل النّوال، أحمده سبحانه حمدًا لا تغيّر له ولا زوال، وأشكره شكرًا يستجلب المزيد من الإنعام والإفضال. وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له المُتَنَزِّه عن الشُّركاء والأنداد والأمثال. وأشهد أن سيِّدنا ونبيًّنا محمدًا عبده ورسوله الصادق المقال، والمبعوث بكريم السجايا وشريف الخصال؛ جاءنا بدينٍ قويم عذبٍ زُلال، وأنقذنا من الكفر والضلال؛ صلّى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خير صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآل، صلاةً دائمةً بالغُدوّ والآصال.

وبعد:

فإن وفاة النبي عليه الصلاة والسلام أعظم مصيبة أصيبت بها هذه الأمة، فقد أذهلت عقول الأشداء، وأذهبت ألباب الحكماء، وأفقدت الصحابة الوعي والإدراك، فمنهم من أُقعد فلم يُطق القيام، ومنهم من اعتُقِل لسانه فلم يُطق الكلام، ومنهم من أنكر ولم يُصدّق، وتوعّد من قال بوفاته عليه الصلاة والسلام؛ قال القاضي أبو بكر ابن العربي: كان موت النبي ﷺ قاصمة الظهر ومصيبة العمر؛ فأما عليّ فاستخفى في بيته مع فاطمة رضي الله عنهما، وأما عثمان رضي الله عنه فسكت، وأما عمر رضي الله عنه فأهجر وقال: «ما مات رسول الله ﷺ، وإنما واعده الله كما واعد موسى عليه السلام، وَلَيَرْجِعَنَّ رسول الله ﷺ فَلَيَقْطَعَنَّ أيدي أناس وأرجُلَهم»[1]. وانقطعت

(١) انظر نَصّ خطبة عمر رضي الله عنه في: «مسند الإمام أحمد» (٢٠/ ٣٣١: ١٣٠٢٨)، =

قلوب الجيش الذي كان قد برز مع أسامة بن زيد بالجُرُف[١].

والخلاصة: أن المدينة أظلمت على أهلها، واسودّت الحياة في وجوههم، وأصاب الحزن والهَمّ كل شيء فيها؛ يقول أنس بن مالك الأنصاريّ رضي الله عنه: «شهدتُ رسول الله ﷺ يوم دخل المدينة، فما رأيتُ يومًا قَطُّ كان أَحْسَنَ ولا أَضْوَأَ من يوم دخل علينا فيه، وَشَهِدْتُهُ يوم مات، فما رأيتُ يومًا كان أَقْبَحَ ولا أظلم من يوم مات فيه ﷺ»[٢]، وفي رواية: «لَمَّا كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أَضَاءَ منها كلُّ شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلُّ شيء، وما نَفَضْنَا عن رسول الله ﷺ الأيدي وَإِنَّا لَفِي دفنه حتى أَنْكَرْنَا قلوبَنا»[٣].

وكيف لا يكون حالهم كذلك والجمادات كانت تتصدَّع من أَلَم مفارقة رسول الله ﷺ!! ففي الصحيح: «أنّ النبي ﷺ كان يخطب إلى جِذع، فلما اتّخذ المنبر تَحَوَّلَ إليه فَحَنَّ الجذع[٤]، حَنِين الوَالِه[٥]،

= «صحيح البخاري» (٥/ ٦ : ٣٦٦٧)، «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٢٩٧ : ٦٨٧٥). وستأتي في موضعها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(١) «العواصم من القواصم» لابن العربي (ص٥٤ ـ ٥٩).
والجُرُف (بضم الجيم والراء وقد تسكن): موضع على ثلاثة أميال من المدينة، شماليها من جانب الشام، كانوا يعسكرون به إذا أرادوا الغزو، وهو الآن حيّ من أحيائها، متصل بها، فيه زراعة وسكان. «إرشاد الساري» للقسطلاني (١/ ٣٦٩)، «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (٦/ ٩٥)، «المعالم الأثيرة» لمحمد شراب (٨٩).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢١/ ٤٥٠ : ١٤٠٦٣)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(٣) «سنن الترمذي» (٥/ ٥٨٨ : ٣٦١٨) وصحَّحه، «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٦٠١ : ٦٦٣٤). وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ١٥٨): «إسناده على شرط الصحيحين».

(٤) «صحيح البخاري» (٤/ ١٩٥ : ٣٥٨٣).

(٥) «مسند أحمد» (٢١/ ٧١ : ١٣٣٦٣)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له. =

وصاح صِيَاح الصَّبِي»[١]. وفي رواية: «فسمعنا لذلك الجِذع صوتًا كصوت العِشَار»[٢]، وفي رواية: «فَخَارَ كما تَخُورُ البقرة جَزَعًا على رسول الله ﷺ»[٣]، حتى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ[٤]، وارْتَجَّ المسجد بِخُوَارِه[٥]، فَنَزَل رسول الله ﷺ لمّا سمع صوت الجِذع[٦]، فَالْتَزَمَهُ وَمَسَحَهُ[٧]، فجعلت تَئِنُّ أَنِينَ الصّبي الذي يُسَكَّتُ، حتى اسْتَقَرَّت، فقال رسول الله ﷺ: «**بَكَتْ على ما كانت تسمع من الذِّكر عندها**[٨]**، ولو لم أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إلى يوم القيامة**»[٩].

= **والوَلَهُ**: ذهابُ العَقل والفُؤاد من شدة الوَجْد على فُقْدانِ حبيب، وكلّ أُنْثَى فارقتْ ولدَها فهي والِهٌ. [«العين» للفراهيدي (٤/ ٨٨)، «تاج العروس» (٣٦/ ٥٤٩)، مادة: (وله)].

(١) «صحيح البخاري» (٤/ ١٩٥: ٣٥٨٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٤/ ١٩٥: ٣٥٨٥).

والعِشَار: جمع عُشَراء، وهي الناقة الحامل التي مضت لها عشرة أشهر من حملها، ولا يزال ذلك اسمها إلى أن تلد. ومثل صوت الجذع بأصوات العشار عند فراق أولادها. «عمدة القاري» (٦/ ٢١٧).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١٠/ ١٢٧: ٥٨٨٦)، وحسّنه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٣٥/ ١٧١: ٢١٢٤٨)، «سنن ابن ماجه» (٢/ ٤١٩: ١٤١٤)، وحسّنه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ١٦).

(٥) «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ٨٦٢: ١٧٧٧).

(٦) «مسند الإمام أحمد» (٣٥/ ١٧٥: ٢١٢٥٣)، «صحيح البخاري» (٤/ ١٩٥: ٣٥٨٤).

(٧) «مسند الإمام أحمد» (١٠/ ١٢٧: ٥٨٨٦)، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(٨) «صحيح البخاري» (٣/ ٦١: ٢٠٩٥، ٤/ ١٩٥: ٣٥٨٤).

(٩) «مسند الإمام أحمد» (٤/ ٢٢٧: ٢٤٠٠)، «سنن ابن ماجه» (٢/ ٤١٩: ١٤١٥). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ١٦): «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات».

وحديث حنين الجذع من الأحاديث المتواترة، روي عن جمع من الصحابة نحو =

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ إذا حدّث بهذا الحديث بكى، ثم قال: «يا عباد الله، الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقًا إليه لِمَكَانِه من الله، فأنتم أحقّ أن تَشْتَاقُوا إلى لقائه»[١].

فإذا كان الجذع تصدّع وانشقّ والرسول ﷺ لم يفارقه إلّا إلى منبر يبعد عنه خطوات معدودات فكيف بِفِراق لا يكون اللقاء بعده إلّا يوم القيامة.

ولله دَرُّ القائل[٢]:

وَأُلْقِيَ حَتّى في الجَمَادَاتِ حُبُّهُ ... فَكَانَتْ لإهداءِ السَّلَام لَهُ تُهدى
وَفَارقَ جِذْعًا كانَ يَخْطُبُ عِنْدَه ... فَأَنَّ أَنِينَ الأُمّ إذ تَجِدُ الفَقْدَا
يَحِنُّ إِلَيْهِ الجِذْعُ يا قومُ هكَذَا ... أَمَا نَحْنُ أَوْلى أَنْ نَحِنَّ لَهُ وَجْدَا
إِذَا كان جِذْعٌ لم يُطِقْ بُعْدَ سَاعةٍ ... فَلَيْسَ وَفَاءً أَنْ نُطِيقَ لَهُ بُعْدَا

وفي زمن المصائب والابتلاءات وعند اشتداد الأزمات وتفاقم المعضلات لا بُدّ أن يستشعر المسلم أن مصابه بالنبي ﷺ لا يعدله مصاب، فذلك يخفّف عليه همّه وغمّه؛ إذ المصيبة الصّغيرة تضمحلّ في جنب الكبيرة، وفي الرسول ﷺ عزاء لكل مسلم؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**يا أيها الناس أَيُّمَا أحد من الناس أو من المؤمنين أُصِيبَ بمصيبة، فَلْيَتَعَزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تُصِيبُهُ بِغَيري، فإن أحدًا مِن أُمّتي لن يُصَابَ بمصيبةٍ بعدي أَشَدّ عليه من مُصِيبَتِي**»[٣].

وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ... وَلَا مِثْلُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ

= العشرين. انظر: «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» للكتاني، حديث رقم (٢٦٣).

(١) «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٤٣٧: ٦٥٠٧).

(٢) «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٢/ ٢٧٣).

(٣) «سنن ابن ماجه» (٢/ ٥٣١: ١٥٩٩)، وحسّنه الأرنؤوط بشواهده في تحقيقه له.

ولكن لا يشعر بألم الفراق ولوعة الاشتياق إلا المُحِبّ الصادق، والحب لا يتمكن من القلب إلا بمعرفة عظمة الرسول ﷺ ومكانته، وإدامة النظر في سيرته، واستشعار تضحياته وما بذله في سبيل إخراج الناس من دياجير العصبية والوثنية والظلام إلى أنوار التوحيدِ والإيمان والوئام؛ إذ المحبة ثمرة المعرفة.

فحقّ على كل مسلم أن يدرس سيرته ﷺ وأحواله في ليله ونهاره، وفي صحته ومرضه، وعلاقته بربه وخلقه، وأن يتأمل في أقواله ووصاياه، ويعتني بها، ويستلهم منها الدروس والعبر، وخاصة الأقوال والأفعال الصادرة منه ﷺ في أيامه الأخيرة، فهي تتضمن أصول الشريعة وخلاصة دعوته عليه الصلاة والسلام.

وقد كنت أتمنى منذ زمن طويل أن يقبلني الله في جملة خُدّام خاتم النبيين، فأعطّر قلمي بذكر شيء من أحوال ومناقب إمام المتقين، وأفوز بقسط من التعلّق بجناب رسول ربِّ العالمين، وألتحق بركب المحبّين لسيّد المرسلين؛ فهيّأ الله لي فرصة لذلك، ويسّر لي أسبابه، ووفقني للكتابة في سيرة الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فألّفت فيه كتابًا مختصرًا ليكون منهجًا مقرّرًا في إحدى الجامعات الإسلامية، ولما وصلت إلى باب مرض الرسول ﷺ ووفاته لم أتمالك نفسي أمام هذا الحَدَث الجلل، والمصاب الأعظم، ففاضت عيني دمعًا وامتلأ قلبي حزنًا وشوقًا إلى الحبيب المصطفى ﷺ، فعِشت معه برهةً من الزمان، وأخذت أتتبع أخبار مرضه ووفاته عليه الصلاة والسلام من كتب السُّنَّة والسيرة، فرأيت أنّ عامة الكتب لم تتوسع في هذا الباب، بل تناولَتْه باختصار واقتضاب، ولم أجد كتابًا جامعًا يشفي العليل ويروي الغليل، يجد فيه طالب العلم بُغيته وينال منه مطلبه، فعقدت العزم على جمع

شتات ما تفرق في ثنايا كتب المحدّثين والمؤرخين في هذا الباب ودقائقه، وتتبعت شوارده، وقيّدت أوابده، وأبرزت عِبرَه وفوائده، وبيّنت موارده، ونسبت كل قول إلى صاحبه؛ لأن من بركة العلم عزوه إلى قائله، وقد بذلت جهدي في ترتيبه وتبويبه، وربما وقفت طويلًا لِأَضع الشيء في موضعه، وقسمته إلى ثمانية فصول، مراعيًا تجانُس الموضوعات، وتَسَلسُل الأحداث والوقائع، وختمت معظم الفصول بالدروس والعبر والفوائد المستنبطة منها ما أمكن.

وقد جمعت فيه بين التأصيل العلمي والأسلوب الوعظي، عسى أن يجد طريقه إلى العقول والقلوب.

الدراسات السابقة

وقد وقفت أثناء عملي على عدة كتب في هذا الموضوع:

الأول: «**الوفاة**» لأبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، قام بتحقيقه ونشره: دار الفتح بالشارقة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

وهو في الحقيقة مستلّ من «السنن الكبرى» للنسائي، وليس تصنيفًا مستقلًّا.

وهو كتاب صغير الحجم، لا يتجاوز عشرين صفحة، ولكن محققه أثقل الكتاب بحواشٍ وتعليقاتٍ مُسهبة ضاعفت من حجم الكتاب.

الثاني: «**اللحظات الأخيرة في حياة الرسول ﷺ**» لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحيم، طبع: دار سعد الدين بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

وبعد مقارنته بكتاب «الوفا بأحوال المصطفى» للمؤلف تبيّن أن المحقق استلّ أبواب المرض والوفاة منه، ووضع له عنوانًا جديدًا، وطبعه مستقلًّا، دون أن يذكر ذلك. ثم رأيت أن المحقق قد استلّ فصولًا أخرى من الكتاب وطبعها بعناوين جديدة في نفس الدار.

الثالث: «**سلوة الكئيب بوفاة الحبيب ﷺ**» لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ).

وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث النبوية والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في مرض النبي ﷺ ووفاته، وأوردها مرتبة متناسقة.

وهو من أوائل من صنّف في هذا الموضوع ومن أحسنهم، ولكن فاته الشيء الكثير، و«كَمْ تَرَكَ الأَوَّلُ للآخِرِ»، إلا أنه يبقى للسابق فضل الزرع والغرس، وأما اللاحق فإنه يتعاهده بالسّقي والتّشذيب والتّنقية والتّهذيب حتى يقوى عوده ويستوي على سوقه، فتنمو أشجاره، وتورق أغصانه، وتَتَفَتَّقُ أكمامه، وتزهو ثماره.

الرابع: «**الإخبار في وفاة المختار**» لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الله الدمشقي، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ)، تحقيق: رفيق حميد السامرائي، طبع: دار الفتح، عمان، الأردن.

وهو خطبة وعظية مختصرة في وفاة النبي ﷺ، وليس كتابًا علميًّا، وجلّ ما فيه أخذه المؤلف من كتابه «سلوة الكئيب».

الخامس: «**وأظلمت المدينة**» لنزار عبد القادر بن محمد الريان العسقلاني.

وهو عنوان دراسة تابع فيها المؤلف ما حدث للنبي ﷺ منذ ظهور المرض حتى وفاته عليه الصلاة والسلام، واقتصر على الأحاديث والآثار الصحيحة، وبلغت روايات البحث مائة وثمانية عشر حديثًا مع الأحاديث المكرّرة والمقطّعة التي تمّ تفريقها في مواضع مختلفة بحسب موضوعها.

ويلاحظ عليه أنه فاته شيء كثير من الروايات الصحيحة، وأهمل أمورًا حفظها أهل التاريخ والسير، وهي من مكملات السيرة، فلم يذكر حتى الشهر والسَّنة التي تُوُفِّيَ فيها ﷺ، لعدم ورود ذلك في الأحاديث، واكتفى بذكر اليوم لورود النص به، إضافةً إلى أنه وقع في بعض الأوهام الفاحشة. والنقصُ والخطأ من طبيعة البشر، والعصمة لا تكون إلا لمن عصمه الله تعالى.

السادس: «قاصمة الظهر (مرض النبي ﷺ ووفاته)» لخالد أبي صالح.

وهو أوسع من سابقه، وقد قام مؤلفه بدراسة الأحاديث التي جمعها العلامة المغربي عن مرض النبي ﷺ ووفاته في كتابه «جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد»، وزاد عليها شيئًا.

والكتاب مع قيمته العلمية فاته شيء كثير من الروايات الصحيحة والأخبار المقبولة في هذا الباب، ولم يتعرض لذكر الأحداث التي تخلّلت الوفاة كيوم السّقيفة وبيعة الصديق رضي الله عنه، ثم إنه لم يعتن بعرض أحداث هذه الفترة عرضًا تاريخيًّا مسلسلًا، بل قام بدراسة المرويات دراسةً حديثيةً علمية، فيذكر في كل باب الأحاديث التي تندرج تحته ويشرحها ويبين فوائدها، والمسائل الفقهية المتفرعة عنها، ويذكر أقوال المحدثين والفقهاء فيها، مع مناقشتها وترجيح بعضها على بعض بالأدلة.

فالكتاب يعد من كتب شروح الأحاديث النبوية الخاصة بالمرض والوفاة.

السابع: «**سانحة عظيم (الحادثة العظمى)**» لمحمد اجتباء الحسن الكاندهلوي.

وهو باللغة الأردية، وليس له قيمة علمية، وعليه ملاحظات عديدة، **أهمها**:

١ ـ سلك فيه المؤلف أسلوب القصة والرواية، فاكتفى بمجرد عرض السيرة في أسلوب أدبي قصصي، مزجه بالعاطفة والمشاعر، ونمّقه بالخيال، ولا أثر فيه للتأصيل العلمي.

٢ ـ لم يذكر شيئًا من المصادر والمراجع التي اعتمد عليها.

٣ ـ لم يعتن بتخريج الأحاديث، ولا بتمييز الصحيح من السقيم منها، بل ذكر بعض الأحاديث الموضوعة دون أن ينبه عليها.

منهج البحث

وأما منهجي في البحث فهو كالتالي:

١ ـ قمتُ بجمع مادة الكتاب من دواوين السُّنَّة، وجعلتها هي الأصل، وذلك لأنها أوثق رواةً وأدقّ متونًا من غيرها، فتتبَّعت الأحاديث المتعلقة بأيام مرضه ووفاته ﷺ وما رافقها من أحداث في الجوامع والسنن والمسانيد والمعاجم[١] وغيرها، وجمعت منها نصوصًا لم أرها مجموعة في كتاب.

---

(١) **المراد بالجامع**: كل كتاب يكون جامعًا لأبواب الشريعة الثمانية؛ أي: لأحاديث العقائد، والأحكام، والرقاق، والآداب، والتفسير، والتاريخ، والسِّيَر، والفتن، والمناقب. ومن أشهرها: «الجامع الصحيح» للإمام البخاري، و«الجامع الصحيح» للإمام مسلم، و«الجامع» للإمام الترمذي.

وأما السنن: فهي الكتب المصنفة على أبواب الفقه فقط، دون العقائد والمناقب والتاريخ ونحوها. فهي تقتصر على أحاديث الأحكام، مثل: «سنن أبي داود» =

٢ ـ أخذتُ من كتب السِّيرة ما لم أجده في كتب السُّنَّة، واعتمدت فيها على المصادر الأصلية؛ كـ«سيرة ابن هشام»، و«طبقات ابن سعد»، وكتب المحققين؛ كالذهبي وابن كثير وابن حجر رحمهم الله تعالى.

٣ ـ خرَّجتُ الأحاديث النبوية بعزوها إلى مصادر السُّنَّة المعتمدة، مع ذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما لم أنسبه لغيرهما إلا لفائدة، وإن لم يكن في واحد منهما خَرَّجته من دواوين السُّنَّة المعتمدة، أو غيرها من كتب التفسير والتاريخ والسيرة المسندة، مُقَدِّمًا السنن الأربعة على غيرها، مع الحكم على غير أحاديث الصحيحين ما أمكن، وذلك من كلام أئمة الشأن المتقدمين أو العلماء المعاصرين، وعند الاختلاف اخترتُ ما رأيتُ أنه الأقرب للصواب.

٤ ـ جمعتُ ألفاظ الرواية الواحدة والزيادات التي وقعت في مختلف طرقها، وكذلك روايات الواقعة الواحدة من مصادر شتى، وسُقتها سياقًا واحدًا ما أمكن، كما صنع الإمام الزهري في روايته لحادثة الإفك التي رواها الشيخان عنه[1]، وذلك حتى تتجلى الصورة الحقيقية الكاملة للواقعة، فيكون ذلك مُعينًا على فهم السيرة النبوية وفقهها فقهًا

= و«النسائي» و«ابن ماجه». وقد يكون في بعضها شيء يسير من الأبواب الأخرى.

وأما المسانيد: فهي الكتب التي جمع فيها مؤلفها مرويات كل صحابي على حدة، وأعظمها: «مسند الإمام أحمد».

وأما المعاجم: فهي الكتب التي تجمع فيها الأحاديث على ترتيب الشيوخ على المشهور، والأصح أنه قد يكون على ترتيب الشيوخ أو الصحابة أو البلدان أو غير ذلك، والغالب فيه الترتيب على حروف الهجاء، وأشهرها «المعجم الكبير» للطبراني (وهو مرتب على أسماء الصحابة)، و«المعجم الأوسط» و«الصغير» له أيضًا (وهما مرتبان على أسماء شيوخه).

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٣/ ١٧٣: ٢٦٦١)، «صحيح مسلم» (٤/ ٢١٢٩: ٢٧٧٠).

صحيحًا، لا إشكال فيه ولا شبهة، ويسهل استنباط الفوائد المتفرقة في بطون الروايات المتناثرة.

٥ ـ اعتمدتُ على الأحاديث الصحيحة والحسنة، ولم أذكر شيئًا من الأحاديث الموضوعة والباطلة إلا للتنبيه عليها، أما الروايات الضعيفة فذكرت منها ما ليس فيه نكارة ظاهرة، أو كان له شواهد تؤيده، مع بيان حاله.

٦ ـ علَّقتُ على كل نصٍّ يحتاج إلى تعليق بما يُتَمّم مبناه ويُكَمّل معناه، وذلك بشرح غريبه، وكشف غامضه، وبيان مبهمه.

٧ ـ اعتنيتُ بالرد على مزاعم الفرق الضالة التي قامت بتحريف الكَلِم عن مواضعه، وتبديل معانيه، وتفسيره على غير مراده، وبيّنت الحق في ذلك بالحجة والبرهان.

٨ ـ ضبطتُ بالشَّكْل ما يحتاج إلى ضبط، من الألفاظ الغريبة، والأسماء والكنى والألقاب المشكلة، والشواهد الشعرية حتى لا تلتبس قراءته على القرّاء.

٩ ـ وضعتُ عناوين جانبية توضح المقصود من كل فقرة، وتسهل الرجوع إلى مباحث الكتاب.

الفرق بين الروايات الحديثية والتاريخية

ويحسن التنبيه في هذا المقام إلى أن إهمال الروايات الضعيفة مطلقًا ليس من منهج السلف، بل كانوا يُفَرّقون بين الأحكام وغيرها من الأبواب؛ قال الإمام أحمد وغيره من الأئمة: «إذا روينا في الحلال والحرام شَدَّدْنَا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تَسَاهَلْنَا»[1].

---

(١) «القول الْمُسَدَّد» لابن حجر (ص١١).

وفي حكم الفضائل: القصص والمواعظ، وغيرها مما لا تعلق له بالعقائد والأحكام(١).

ولا يقال: إن المراد بكلامهم هو الحديث الحسن؛ فهذا يردّه كلام المحققين من العلماء السابقين؛ قال ابن الصلاح: «يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرها، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد»(٢).

وقال الحافظ ابن رجب: «وأما ما ذكره الترمذي ـ أن الحديث إذا انفرد به مَن هو متهم بالكذب، أو مَن هو ضعيف في الحديث، لِغَفْلته وكثرة خطئه، ولم يُعرف ذلك الحديث إلا من حديثه، فإنه لا يحتج به ـ، فمراده: أنه لا يحتج به في الأحكام الشرعية والأمور العملية، وإن كان قد يروى حديث بعض هؤلاء في الرقائق والترغيب والترهيب، فقد رخص كثير من الأئمة في رواية الأحاديث الرقاق ونحوها عن الضعفاء، منهم: ابن مهدي وأحمد بن حنبل»(٣).

وقال الإمام البيهقي: «وقد تساهل أهل الحديث في قبول ما ورد من الدعوات وفضائل الأعمال، متى ما لم تكن مِن رواية مَن يُعْرَف بِوَضْع الحديث أو الكذب في الرواية»(٤).

---

(١) «تدريب الراوي» للسيوطي (١/ ٣٥٠).
(٢) «مقدمة ابن الصلاح» (ص١٠٣).
(٣) «شرح علل الترمذي» لابن رجب (١/ ٣٧١).
(٤) «شعب الإيمان» للبيهقي (٣/ ٤٢٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الحديث إذا لم يُعْلَمْ أنه كذب، فروايته في الفضائل أمرٌ قريب، أما إذا علم كذبه فلا يجوز روايته إلا مع بيان حاله»(١).

ثم إن من لازم هذا القول أن الإمام أحمد وغيره لا يحتجون بالحديث الحسن(٢) في الأحكام، وهو خلاف المعروف عنهم(٣).

ويقول الدكتور أكرم ضياء العمري: «أما اشتراط الصحة الحديثية في قبول الأخبار التاريخية التي لا تمسّ العقيدة والشريعة ففيه تعسّف كثير، والخطر الناجم عنه كبير؛ لأن الروايات التاريخية التي دوّنها أسلافنا المؤرخون لم تُعامل معاملة الأحاديث، بل تم التساهل فيها، وإذا رفضنا منهجهم فإن الحلقات الفارغة في تاريخنا ستمثل هوّة سحيقة بيننا وبين ماضينا مما يولّد الحيرة والضياع والتمزق والانقطاع.

لكن ذلك لا يعني التخلي عن منهج المحدثين في نقد أسانيد الروايات التاريخية، فهي وسيلتنا إلى الترجيح بين الروايات المتعارضة، كما أنها خير مُعين في قبول أو رفض بعض المتون المضطربة أو الشاذة عن الإطار العام لِسِيَر تاريخ أمتنا، ولكن الإفادة منها ينبغي أن تتم بمرونة،

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (٢/ ١٣٤).

(٢) وأما مَن زعم أن الحسن لم يكن معروفًا قبل الإمام الترمذي فقوله مردود؛ لأن إطلاق الحسن كان موجودًا قبل الترمذي في طبقة شيوخه وشيوخ شيوخه، وإن كانوا يتوسعون في استخدامه فقد يريدون به درجة الحديث، وقد يريدون المعنى اللغوي، لكن الإمام الترمذي هو الذي نَوَّهَ بالحديث الحسن؛ قال ابن الصلاح في «مقدمته» (ص٣٥ ـ ٣٦): «كتاب أبي عيسى الترمذي رَحِمَهُ اللهُ أصلٌ في معرفةِ الحديث الحسن، وهو الذي نَوَّهَ باسمه وأكثر من ذكره في جامِعِه. ويوجد في متفرقاتٍ من كلام بعض مشايخه، والطبقةِ التي قبله كأحمدَ بن حنبل، والبخاريّ، وغيرهما».

(٣) انظر: «الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به» لعبد الكريم الخضير (ص٢٨٦).

آخذين بعين الاعتبار أن الأحاديث غير الروايات التاريخية، وأن الأُولى نالت من العناية ما يمكنها من الصمود أمام قواعد النقد الصارمة»(١).

فالمطلوب اعتماد الروايات الصحيحة وتقديمها، ثم الحسنة، ثم ما يعتضد من الضعيف؛ لبناء الصورة التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام، وعند التعارض يقدم الأقوى دائمًا. أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى أو تعتضد فيمكن الإفادة منها في إكمال الفراغ الذي لا تسده الروايات الصحيحة والحسنة، على ألا تتعلق بجانب عقدي أو شرعي(٢).

وهذا هو المنهج الذي سار عليه الأئمة المحققون من أهل العلم بالحديث والأثر من المتقدمين والمتأخرين، قال ابن عيينة: لا تسمعوا من بَقِيَّةَ ـ أي: بَقِيَّة بن الوليد ـ ما كان في سُنَّةٍ، واسمعوا منه ما كان في ثوابٍ وغيره. وقال أحمد في ابن إسحاق (صاحب السيرة): يكتب عنه المغازي وشبهها. وقال ابن معين في زياد الْبَكَّائِيّ: لا بأس به في المغازي، وأمّا في غيرها فلا(٣). وعليه مشى الإمام الذهبي في كتابيه: «تاريخ الإسلام» و«سير أعلام النبلاء»، والحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»، والحافظ ابن حجر في «فتح الباري» وغيره.

ونلحظ ذلك بوضوح في تصرف الحافظ ابن حجر في جمعه بين الروايات، ففي الوقت الذي يضعف فيه رواية محمد بن إسحاق إذا عَنْعَن ولم يصرح بالتحديث، فإنه يستشهد بقوله في المغازي ويجمع بينه وبين أقوال من هو أوثق منه من رواة الصحيح. وكذلك يرفض رواية الواقدي؛ لأنه

(١) «دراسات تاريخية» لأكرم ضياء العمري (ص٢٧).
(٢) «السيرة النبوية الصحيحة» لأكرم ضياء العمري (١/ ٤٠).
(٣) «شرح علل الترمذي» لابن رجب (١/ ٣٧٢).

متروك[١]، ومع ذلك يقول في «التلخيص»: الواقدي إذا لم يخالف الأخبار الصحيحة ولا غيره من أهل المغازي مقبول في المغازي عند أصحابنا[٢].
ويقول في سيف بن عمر: ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ[٣].

وختامًا

فإني أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل مَن أَعَان على إخراج هذا الكتاب بِرَأْيٍ أو فائدةٍ أو مقابلةٍ أو ملاحظةٍ أو ساهم في طبعه ونشره؛ عملًا بقوله ﷺ: «**لا يَشْكُرُ الله مَن لا يَشْكُرُ النَّاس**»[٤].

وأخص بالذكر: معالي الشيخ الدكتور صالح بن حميد (إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء)، وفضيلة أستاذي وشيخي الجليل العالم الرباني العلامة محمد الرابع الحسني الندوي[٥] (رئيس جامعة ندوة العلماء، ورئيس هيئة الأحوال الشخصية بالهند، والعضو التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي)، وفضيلة أستاذي الكريم الأديب الشيخ الدكتور سعيد

---

(١) وأما من اتّهم الواقدي بالتشيّع فقد أبعد النُّجْعَةَ، ومن اعتمد في ذلك على الورّاق ابن النديم وغيره من الشيعة فقد وقع في غفلة شنيعة، فهؤلاء نسبوا أئمة أهل السُّنَّة إلى التشيع كذبًا وزورًا، فابن النديم الرافضي المعتزلي يقول في كتاب «الفهرست» (٢/ ٣٨): «كان الشافعيّ شديدًا في التشيّع»، فهل يعقل أن يتهم الشافعي بذلك، بناءً على قول ورّاق شيعي، سبحانك هذا بهتان عظيم.

(٢) «التلخيص الحبير» لابن حجر (٢/ ٥٥٤).

(٣) «تقريب التهذيب» لابن حجر (ص٢٦٢).

(٤) «سنن أبي داود» (٧/ ١٨٨: ٤٨١١)، «سنن الترمذي» (٤/ ٣٣٩: ١٩٥٤)، وقال: حديث صحيح. «صحيح ابن حبان» (٨/ ١٩٩: ٣٤٠٨)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لأبي داود وابن حبان.

(٥) قدم الشيخ للنسخة الأردية من الكتاب، وهي طبعت أولًا، ولم أتمكن من ترجمة التقديم.

الأعظمي الندوي (مدير جامعة ندوة العلماء، ورئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي)، وفضيلة شيخي الأستاذ الدكتور محمد الروكي (أستاذ الفقه وأصوله بجامعة محمد الخامس وعضو المجلس العلمي الأعلى بالمغرب حاليًّا، ورئيس جامعة القرويين سابقًا)، وفضيلة الشيخ العلَّامة خالد سيف الله الرحماني (الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بالهند، ورئيس المعهد العالي الإسلامي بالهند)، وفضيلة الشيخ الحسين أحمد درويش الشنقيطي؛ الّذين تجشّموا عناء النظر في هذا البحث، وتكرّموا بالتقديم له[١] والتنويه به، رغم ضيق أوقاتهم وكثرة شواغلهم، فَجَزاهم الله تعالى خيرًا، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

ولا أنسى أن أرفع شكري إلى مقام والديَّ الكريمين اللَّذَيْن كان لهما الفضل في إرشادي إلى العلم وحبّه، والاجتهاد في طلبه، أسأل الله أن يبارك فيهما، ويمتِّع بهما، ويطيل في أعمارهما على طاعته ومرضاته.

كما أشكر الأخ عبد الله قربان على اقتراحاته المفيدة وجهوده المحمودة في إخراج الكتاب على الوجه المطلوب، وأخي الشيخ نوشاد عالم الندوي الذي قام بترجمة الكتاب إلى اللغة الأردية، وقمت بإعادة النظر فيه، وتناولته بالتنقيح والتهذيب والحذف والزيادة.

وجزى الله خيرًا أولادي سيّد أبا بكر وعبد الله وزينب الّذين ساهموا في مقابلة النصوص ومراجعة الكتاب بعد كتابته وصَفّه على الحاسوب، وإصلاح ما كان فيه من سقط أو تصحيف.

وبعد ـ أخي القارئ الكريم ـ، هذا جهد المُقِلّ، أضعه بين يديك، وقد استفرغت فيه طاقتي ووسعي، لك غُنْمه وعلى مُؤلِّفه غُرمه، ولك

---

(١) قدم المشايخ الفضلاء للكتاب وهو مختصر في صورته الأولى، ما خلا الشيخ سعيد الأعظمي فإنه قرأه وقدم له بعد تمامه.

صفوه وعليه كَدره، فما كان فيه من صواب فَمِن الواحد المنّان، وما كان من خطأ فمنّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان.

فإن أكُ قد وُفّقتُ فيه فإنّه　　من الله توفيقي ومنه النّوائلُ
وإن أكُ قد أخطأتُ فيه فإنّني　　أنا المخطئُ الجاني أنا المتطاولُ

ورحم الله امرءًا وقف على خللٍ فأصلحه أو زللٍ فاستدركه، وترحَّم على جامعه، ولم يبخل بالنصيحة لكاتبه.

أسأل الله تعالى أن يعصمني من الزّلل، وأن يحفظني من الخطأ والخطل، وأن يلهمني الصواب في القول والعمل، وأن يجعل عملي فيه صالحًا، ولِوَجهه خالصًا، ولِثَوابه مُقْتضيًا، وللزّلفى مُوجِبًا، وأسأله أن ينفع به مؤلفه وقارئه وكاتبه في الدنيا والأخرى، وأن يمنّ عليّ فيه بالقبول، فليس وراء القبول مُبْتغى، ولا سواه مُرْتَجى، وهو سبحانه على ما يشاءُ قدير، وبالإجابة جدير، ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ[1] وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

محمد عمر الندوي
omar.nadvi@gmail.com
جُدّة
٢٩/١/١٤٣٩هـ
الموافق: ١٩/١٠/٢٠١٧م

---

(١) أي: ربِّ أدخلني فيما هو خيرٌ لي مدخل صدق، وأخرجني مما هو شرٌّ لي مخرج صدق؛ قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٧٩): «ظاهر هذه الآية والأحسن فيها أن يكون دعاء في أن يحسن الله حالته في كل ما يتناول من الأمور، ويحاول من الأسفار والأعمال، وينتظر من تصرف المقادير في الموت والحياة، فهي على أتمّ عموم، معناه رَبِّ أصلح لي وِرْدِي في كل الأمور وصَدري».

الفصل الأول

مقدّمات الوفاة

بدأت آيات من القرآن الكريم تنزل على الرسول ﷺ وهو في مكة مُؤكِّدة أنه بَشَر سيدركه الموت كما أدرك إخوانه من الأنبياء السابقين؛ منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ثم نزل في غزوة أُحد قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وكان نزول هذه الآيات توطئةً للنفوس على قبول هذه الحقيقة المرّة، ولِئَلّا يختلف الناس في موته كما اختلفت الأمم في غيره(١).

ونزلت آيات أخرى في السنوات الأخيرة من حياته ﷺ تُشعر باقتراب أجله، وذلك بعد أن فُتحت مكة، وبلغت دعوته ﷺ الآفاق، وأقرّ الله عين نبيّه بدخول الناس في دين الله أفواجًا، وبدت طلائع انتشاره في العالم، وظهوره على الأديان كلّها؛ فحينئذ أحسّ رسول الله ﷺ بِدُنُوِّ أَجَلِه، وبدت آثاره، وظهرت أماراته، فأخذ ﷺ يعرّض بذلك ويشير إليه في مناسبات مختلفة؛ ويصرح بذلك أحيانًا.

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٥٤).

وأهمّ تلك الأمارات والإشارات:

١ ـ نزول سورة النصر

وتسمى سورة التوديع؛ لما فيها من الإيماء إلى وفاته عليه الصلاة والسلام وتوديعه الدنيا وما فيها[١].

روى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: «كان عمر يُدْخِلُنِي مع أشياخ بدر فَكَأَنَّ بعضهم وجد في نفسه فقال: لِمَ تُدْخِلُ هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه مَن قد علمتم. فدعا ذات يوم فأدخله معهم، فما رُئِيتُ أنه دعاني يومئذ إلا لِيُرِيَهُمْ، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]؟ فقال بعضهم: أُمِرْنَا أن نحمد الله ونستغفره إذا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا؛ فقال لي: أَكَذَاكَ تقول يا ابن عباس؟ فقلتُ: لا؛ قال: فما تقول؟ قلتُ: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أَعْلَمَهُ له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] وذلك علامة أَجَلِك، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٣]. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول»[٢].

متى نزلت سورة النصر:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هي آخر سورة نزلت من القرآن جميعًا»[٣].

واختلف في وقت نزولها، فقيل: نزلت في حجة الوداع؛ كما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ بِمِنى، وهو

---

(١) «روح المعاني» لشهاب الدين الآلوسي (١٥/ ٤٩١).

(٢) «صحيح البخاري» (٦/ ١٧٩: ٤٩٧٠).

(٣) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٣١٨: ٣٠٢٤).

في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع فَعَرَفَ أنه الوداع»[١]، وسنده ضعيف جدًّا[٢].

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة سنتين»[٣].

قال الحافظ ابن رجب: (وهذا يقتضي أنها نزلت قبل الفتح، وهذا هو الظاهر؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ يدل دلالة ظاهرة على أن الفتح لم يكن قد جاء بعد؛ لأن «إذا» ظرف لما يستقبل من الزمان، هذا هو المعروف في استعمالها، وقد قال النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة: «**جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن**»[٤]، ومجيء أهل اليمن كان قبل حجة الوداع)[٥]، حين قدم وفد الأشعريين على النبي ﷺ سنة سبع للهجرة عند فتح خيبر[٦].

ويؤيد ذلك ما روته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ في آخر أمره من قول: «**سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه**»، فقلتُ: يا رسول الله، ما لي أراك تُكْثِرُ من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه؟ قال: «**إن ربي عَزَّ وَجَلَّ كان أخبرني أَنِّي سأرى علامة في أُمّتي، وَأَمَرَنِي إذا رأيتُها أن أُسَبِّحَ بحمده وَأَسْتَغْفِرَهُ، إنه كان توّابًا، فقد**

---

(١) «مسند البزار» (١٢/ ٢٩٨: ٦١٣٥)، «السنن الكبرى» للبيهقي (٥/ ٢٤٧: ٩٦٨٢).

(٢) قاله الحافظ ابن رجب في «تفسيره» (٢/ ٦٤٠).

(٣) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٧١٢)، «تفسير البغوي» (٨/ ٥٧٧).

(٤) «صحيح ابن حبان» (١٦/ ٢٨٧: ٧٢٩٨)، «المعجم الكبير» للطبراني (١١/ ٣٢٨: ١١٩٠٣)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لابن حبان.

(٥) «تفسير ابن رجب الحنبلي» (٢/ ٦٤٠).

(٦) انظر: «صحيح البخاري» (٤/ ٩٠: ٣١٣٦)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٤٦: ٢٥٠٢).

رأيتُها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۞ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۞ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣]»[١]، فهذه الرواية صريحة في أن نزول هذه السورة كان قبل أن يرى العلامة؛ أي: قبل فتح مكة.

وأصرح منها ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح: «**هذا ما وعدني ربي**»، ثم قرأ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[٢].

٢ ـ تكرار مدارسة القرآن في آخر رمضان من حياته ﷺ

فقد أخبر النبي ﷺ فاطمة رضي الله عنها في مرض وفاته، فقال لها: «**إن جبريل كان يُعَارِضُنِي القرآن كل سنة مرة، وإنه عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، ولا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وإنكِ أَوَّلُ أَهْلِ بيتي لحاقًا بي**»[٣]. وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فَيُدَارِسُهُ القرآن[٤].

٣ ـ مضاعفة اعتكاف رمضان

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلمّا كان العام الذي قُبِضَ فيه اعتكف عشرين يومًا»[٥]؛ أي: في السَّنة العاشرة من الهجرة.

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤٠/ ٧٥: ٢٤٠٦٥)، «صحيح مسلم» (١/ ٣٥١: ٤٨٤).
(٢) «المعجم الأوسط» للطبراني (٦/ ٨٥: ٥٨٧١).
(٣) «صحيح البخاري» (٤/ ٢٠٤: ٣٦٢٣)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٠٥: ٢٤٥٠).
(٤) «صحيح البخاري» (٤/ ١١٣: ٣٢٢٠).
(٥) «صحيح البخاري» (٣/ ٥١: ٢٠٤٤).

٤ ـ إخباره ﷺ أصحابه بأن الله إذا أراد رحمة أمَّة قبض نبيَّها قبلها

روى أبو موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده، قَبَضَ نَبِيَّهَا قبلها، فجعله لها فَرَطًا وَسَلَفًا**[(١)] **بين يديها، وإذا أراد هَلَكَةَ أمة، عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فأهلكها وهو ينظر، فَأَقَرَّ عينه بِهَلَكَتِهَا حين كَذَّبُوه وعَصَوا أمره**»[(٢)].

وقد صرح عليه الصلاة والسلام لأصحابه بأنه سيُقبض قبلهم، حدّث بذلك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فقال: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**أتقولون إني من آخركم موتًا؟**»، قلنا: نعم. قال: «**لا، أنا مِنْ أَوَّلِكُمْ موتًا، ثم تأتون أَفْنَادًا** ـ أي: جماعات متفرِّقين ـ **يَتْبَعُ بعضكم بعضًا**»[(٣)].

وموت النبي ﷺ وإن كان رحمة للأمة من جهة أنه يكون فرطًا لها وسلفًا بين يديها، لكنه شرّ لها من جهة أن وجود النبي ﷺ كان أمانًا للأمة من العذاب والفتن، ووفاته ﷺ فتح لباب الفتن والافتراق؛ قال ﷺ: «**النجوم أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعَدُ،**

---

(١) **الفَرَط**: السابق المقدَّم على القوم في طلب الماء والمنزل، والمعنى: أنه ﷺ يكون مقدمًا بين أيديهم، يشفع لهم وينتظرهم على حوضه الشريف. **وسَلَفًا**: أي: متقدمًا إلى الجنة من أجلنا. انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٩/ ٥٩٥)، «عمدة القاري» للعيني (٨/ ١٣٩).

(٢) «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٩١: ٢٢٨٨).

(٣) «المعجم الأوسط» للطبراني (٨/ ٥٨: ٧٩٥٧)، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨/ ١٨٦: ١٦٩٧٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٢١: ٦٦٤٦) من حديث واثلة بن الأسقع بإسناد صحيح، كما قاله الأرنؤوط في تحقيقه لهما.

وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يُوعدون[١]، وأصحابي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[٢].

٥ ـ إخباره ﷺ معاذًا بوفاته

يقول مُعاذ[٣] بن جبل رضي الله عنه: لمّا بَعَثَهُ رسول الله ﷺ إلى اليمن خَرَجَ معه رسول الله ﷺ يُوصِيهِ، ومعاذٌ راكبٌ ورسول الله ﷺ يمشي تحت رَاحِلَتِهِ، فلما فرغ قال: «**يا معاذ إنك عسى أن لا تَلْقَانِي بعد عامي هذا، ولعلك أن تَمُرَّ بمسجدي هذا وقبري**»؛ فبكى معاذ جَشَعًا ـ أي: جزعًا ـ لِفِرَاقِ رسول الله ﷺ.

ثم الْتَفَتَ رسول الله ﷺ فَأَقْبَلَ بوجهه نحو المدينة فقال: «**إن أولى الناس بي الْمُتَّقُونَ، مَن كانوا وحيث كانوا**»[٤].

وبَعْثُ معاذ رضي الله عنه كان سنة عشر قبل حجة الوداع، كما ذكره البخاري رحمه الله في أواخر المغازي، وقيل: كان ذلك في أواخر سنة تسع عند منصرفه ﷺ من تبوك، وقيل: بعثه عام الفتح سنة ثمان. واتفقوا على أنه أقام باليَمَن ولم يقدم المدينة إلا بعد وفاة الرسول ﷺ في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما[٥]. فصدقت بذلك نبوءة الرسول ﷺ.

---

(١) **أتى أصحابي ما يُوعدون**: أي: من الفتن والحروب واختلاف القلوب. «فيض القدير» للمناوي (٦/ ٢٩٦).

(٢) «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٦١: ٢٥٣١).

(٣) **مُعاذ**: بضم الميم. وأما فتحه فلم يثبت، وهو من لحن العامَّة. انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (١/ ٧٣)، «عمدة القاري» للعيني (١/ ١١٥).

(٤) «مسند أحمد» (٣٦/ ٣٧٦: ٢٢٠٥٢)، «صحيح ابن حبان» (٢/ ٤١٤: ٦٤٧)، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لهما.

(٥) «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٣٥٨).

٦ ـ نزول آية المائدة

وهي قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فإنها نَزَلَتْ على رسول الله ﷺ بِعَرَفَاتٍ في يوم جمعة[(١)]، فلما سمعها عمر بكى؛ فقال له النبي ﷺ: «**ما يُبْكِيكَ؟**» قال: أَبْكَانِي أَنَّا كُنَّا في زيادة من ديننا، فأما إذ كَمُلَ فإنه لم يَكْمُلْ شيءٌ إلا نَقَصَ. فقال: «**صَدَقْتَ**»[(٢)].

قال ابن كثير: وكأنه استشعر وفاة النبي ﷺ[(٣)]، فبكى حزنًا على ذلك. «فكانت هذه الآية نعي النبي ﷺ، وعاش بعدها إحدى وثمانين يومًا»[(٤)]. وهذا على قول من قال: إنه مات في الثاني من ربيع الأول. أما على القول المشهور أنه تُوُفِّيَ ثاني عشر ربيع الأوّل فيكون عاش بعد حجّته أكثر من تسعين يومًا.

٧ ـ توديعه ﷺ للناس في حجة الوداع

حيث كان يقول في خُطَبِهِ في الحَجِّ: «**لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا**»[(٥)].

٨ ـ توديعه ﷺ لأصحابه ووصيّته لهم

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا

---

(١) «صحيح البخاري» (٩/ ٩١: ٧٢٦٨)، «صحيح مسلم» (٤/ ٢٣١٣: ٣٠١٧).

(٢) «تفسير الطبري» (٨/ ٨١)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٦). وجَوَّد ابن كثير إسناده.

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٦).

(٤) «تفسير البغوي» (٣/ ١٣).

(٥) «المعجم الأوسط» للطبراني (٣/ ٤٧: ٢٤٣٠). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٧٣): «رجاله ثقات». وهو في «صحيح مسلم» (٢/ ٩٤٣: ١٢٩٧) مع اختلاف في اللفظ.

كَـالْـمُـوَدِّعِ، فقال: «أنا محمد النبي الأمّي» ـ قاله ثلاث مرات ـ، «ولا نبيّ بعدي، أُوتِيتُ فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه، وعلمتُ كم خزنة النار وحملة العرش، وَتُجُوِّزَ بِي، وَعُوفِيتُ وَعُوفِيَتْ أمتي[١]، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم، فإذا ذُهِبَ بي، فعليكم بكتاب الله، أَحِلُّوا حلاله، وحرموا حرامه»[٢].

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: صَلَّى رسول الله ﷺ على قَتْلَى أُحُدٍ بعد ثماني سنين[٣] ....

---

(١) تُجُوِّزَ بِي، وَعُوفِيتُ وَعُوفِيَتْ أمتي؛ أي: تجاوز الله بسببي عن أمتي، وعفاها من التكاليف الشاقة وعافاني أيضًا. «الفتح الرباني» للساعاتي (١٨/ ٤).

(٢) «مسند أحمد» (١١/ ١٧٩: ٦٦٠٦). قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٦٩): «فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف»، اهـ. وله شاهد من حديث عوف بن مالك عند الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٨: ٦٥)، صحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٤٥٨).

(٣) وهل صلّى الرسول ﷺ على شهداء أُحد يوم دفنهم؟ اختلفت الروايات في ذلك.

فنفى جابر بن عبد الله ﷺ الصلاة عليهم، فقال: «أمر النبي ﷺ بدفنهم في دمائهم، ولم يُغَسَّلُوا، ولم يصلِّ عليهم». «صحيح البخاري» (٢/ ٩١: ١٣٤٣).

وأثبتها آخرون؛ قال ابن عباس ﷺ: «لما وقف رسول الله ﷺ على حمزة أمر به فَهُيِّءَ إلى القبلة ثم كَبَّرَ عليه تسعًا، ثم جمع عليه الشهداء كلما أُتِي بشهيد وُضِع إلى حمزة فصلى عليه، وعلى الشهداء معه، حتى صلى عليه وعلى الشهداء اثنتين وسبعين صلاة». «المعجم الكبير» للطبراني (١١/ ٦٢: ١١٠٥١)، وصحَّحه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص١٠٥). وعن عبد الله بن الزبير ﷺ «أن رسول الله ﷺ أمر يوم أُحد بحمزة فَسُجِّيَ بِبُرْدة ثم صلَّى عليه، فَكَبَّرَ تسع تكبيرات، ثم أُتِيَ بالقتلى يُصَفُّون، ويُصلي عليهم وعليه معهم». «شرح معاني الآثار» للطحاوي (١/ ٥٠٣: ٢٨٨٧)، وحسَّنه الأرنؤوط في تعليقه على أبي داود (٥/ ٥٦).

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٧/ ٩١): «أحاديث الصلاة قد شَدّ من عضدها كونُها مثبتة، والإثبات مقدّم على النفي، وهذا مرجّح معتبر».

وبناءً على ذلك، اختلف أهل العلم في الصلاة على الشهيد، فقال بعضهم: لا يُصَلّى عليه. وهو قول أهل المدينة، والشافعي وأحمد. وقال بعضهم: يُصَلّى =

صلاته على الميت(١)؛ كَالْمُوَدِّعِ للأحياء والأموات، ثم طَلَعَ المنبر فقال: «**إني بين أيديكم فَرَطٌ، وأنا عليكم شهيد، وإنَّ مَوْعِدَكُمُ الحوض، وإني لَأَنْظُرُ إليه من مَقَامِي هذا، وإني لستُ أخشى عليكم أن تُشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تَنَافَسُوهَا**»، قال عقبة: فَكَانَتْ آخِرَ نظرةٍ نظرتُها إلى رسول الله ﷺ(٢).

وقوله: «كالْمُوَدِّعِ للأحياء والأموات»: فأما توديع الأحياء فظاهر؛ لأن سياقه يشعر بأن ذلك كان في آخر حياته ﷺ، وأما توديع الأموات فيحتمل أن يكون الصحابيّ أراد بذلك انقطاع زيارته الأموات بجسده الشريف؛ لأنه بعد موته وإن كان حيًّا فهي حياة أخروية. ويحتمل أن يكون المراد بتوديع الأموات الاستغفار لهم(٣).

والفَرَط: هو الذي يتقدم الواردين لِيُصْلِح لهم الحِيَاض وَالدِّلَاء ونحوها من أمور الاستقاء، فمعنى «فرط لكم»: سابقكم إلى الحوض كَالْمُهَيِّءِ له(٤).

= على الشهيد. وهو قول الثوري وأبي حنيفة، وأحمد في رواية اختارها الخلال. وقال أحمد في رواية المَرُّوذِي: الصلاة عليه أجود، وإن لم يصلوا عليه أجزأ. انظر: «سنن الترمذي» (٣/ ٣٤٥)، «المغني» لابن قدامة (٢/ ٣٩٤).

(١) حمل النووي وجماعة الصلاة في هذا الحديث على المعنى اللغوي وهو الدعاء، وقال كما في «فتح الباري» (٣/ ٢١١): «وأما كونه مثل الذي على الميت فمعناه: أنه دعا لهم بمثل الدعاء الذي كانت عادته أن يدعو به للموتى»، وهو خلاف الظاهر، ولذلك ردّه العيني في «عمدة القاري» (٨/ ١٥٦)، وردّه الشوكاني في «نيل الأوطار» (٤/ ٥٤) فقال: «دعوى أن الصلاة بمعنى الدعاء يردها قوله في الحديث «صلاته على الميت»، وأيضًا قد تقرّر في الأصول أن الحقائق الشرعية مقدّمة على اللغوية؛ فلو فرض عدم ورود هذه الزيادة لكان الْمُتَعَيَّنُ الْمَصِيرَ إلى حمل الصلاة على حقيقتها الشرعية وهي ذات الأذكار والأركان».

(٢) «صحيح البخاري» (٥/ ٩٤: ٤٠٤٢، ١٠٣: ٤٠٨٥)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٩٥: ٢٢٩٦).

(٣) «فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٣٤٩).

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ٥٣).

وفيه تصريح بأنه ﷺ يسبق أصحابه إلى الدار الآخرة، وينتظرهم عند حوض الكوثر.

وفيه «إشارة إلى قرب وفاته عليه الصلاة والسلام»(١).

وكان قوله هذا في آخر خطبة خطبها عليه الصلاة والسلام قُبيل وفاته.

٩ ـ تخيير الله لِنَبِيّه ﷺ بين الدنيا والآخرة

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «**عَبْدٌ خَيَّرَهُ الله بين أن يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده**»، فبكى أبو بكر وبكى ـ أي: كرّر البكاء وأكثر منه ـ، فقال: فديناكَ بآبائنا وأمهاتنا. فقلتُ في نفسي: ما يُبْكِي هذا الشيخ؟ قال أبو سعيد الخدري: فكان رسول الله ﷺ هو الْمُخَيَّر، وكان أبو بكر أَعْلَمَنَا به(٢).

١٠ ـ رؤيا العباس بن عبد المطلب عَمّ النبي ﷺ

يقول العباس رضي الله عنه: رأيت في المنام كأن شمسًا أو قمرًا في الأرض تُرْفَعُ إلى السّماء بِأَشْطَانٍ(٣) شِدَادٍ، فَذَكَر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**ذاكَ وفاةُ ابن أخيك**»؛ يعني: رسول الله ﷺ نفسه(٤).

* **كل هذا كان توطئةً لوفاة النبي ﷺ**، وتهيئةً لصحبه الكرام رضي الله عنهم الّذين لم يكن أحد أشدّ حبًّا له منهم، لِتَلَقّي نبأ وفاته ﷺ، وتحمّل ألم فراقه.

---

(١) «إرشاد الساري» للقسطلاني (٢/ ٤٤٠).

(٢) «صحيح البخاري» (١/ ١٠٠ : ٤٦٦)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٥٤ : ٢٣٨٢).

(٣) **أَشْطَان**: جمع شَطَن ـ بفتحتين ـ، وهو: الحبل الطويل الشّديد الفَتْل. [«تاج العروس» (٣٥/ ٢٧٧)، مادة: (شطن)].

(٤) «سنن الدارمي» (٢/ ١٣٧٧ : ٢٢٠٣)، «مسند البزار» (٤/ ١٤١ : ١٣١٧). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٣): «رواه البزار والطبراني، ورجالهما ثقات»، وصحَّحه محقق «سنن الدارمي».

دروس وعبر

١ ـ رد الجميل لمن أسدَى إليك معروفًا أو مدَّ إليك يدًا والوفاء له من أعظم خصال الإسلام.

فالرسول ﷺ كان أحفظ الناس للجميل، وأوفى الناس لِأَصحابه الّذين بذلوا المهج والنفوس لنصرة دينه، ومن أجل ذلك بقيت دماء شهداء أُحُد في نفسه عليه الصلاة والسلام إلى السَّنة التي مات فيها، فصلى عليهم بعد ثمان سنين، واستغفر لهم، حين علم قرب أجله، مودِّعًا لهم بذلك. وأصبح ذلك سُنَّة، فكل مَن قدم مدينة رسول الله ﷺ زار شهداء أحد اتِّباعًا لسُنَّة نبيّنا صلوات الله وسلامه عليه، ووفاءً لهم.

٢ ـ مكانة ابن عباس ﵄ في علم التأويل وتفسير القرآن، حيث سبق أشياخ بدر في تأويل مراد الله من سورة النصر.

ولِدِقَّة فهمه وسعة علمه كان كثير من الصحابة والتابعين يرجعون إليه في فهم ما أشكل عليهم من كتاب الله، حتى لُقِّب بترجمان القرآن وحَبر الأُمة، وذلك ببركة دعاء النبي ﷺ له، كما روى ابن عبّاس ﵄: أنّ النبي ﷺ دخل الخلاء، فوضعتُ له وَضُوءًا، قال: «**مَن وضع هذا**»؟ فَأُخْبِرَ، فقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدين، وَعَلِّمْهُ التأويل**»[1].

٣ ـ المسلم كلما تقدم في العمر ودنا من الأجل اجتهد في العمل،

---

(١) «صحيح البخاري» (١/ ٤١: ١٤٣)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٢٧: ٢٤٧٧). وزيادة: «**وعلّمه التأويل**» وردت في «مسند الإمام أحمد» (٥/ ٢١٥: ٣١٠٢).

وأكثر من التسبيح والاستغفار ليلقى الله تعالى على خير أحواله، «وإنما الأعمال بالخواتيم»(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]، نُعِيَتْ لرسول الله ﷺ نَفْسُهُ حين أُنْزِلَتْ، فأخذ في أَشَدِّ ما كان اجتهادًا في أمر الآخرة»(٢).

وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول قبل أن يموت: «**سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك**». فقلتُ: يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أَحْدَثْتَهَا تَقُولُهَا؟ قال: «**جُعِلَتْ لي علامة في أمتي إذا رأيتُها قلتُها**»، فقرأ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إلى آخر السورة [النصر: ١]»(٣).

فإذا كان سيّد المرسلين وإمام المحسنين أُمر بأن يختم عمره بالزيادة في الإحسان والإكثار من التسبيح والاستغفار، فكيف بحال المقصّرين والمذنبين.

قَرُبَ الرَّحِيلُ إلى دِيَارِ الآخِرَهْ ... فاجْعَلْ إلهِي خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهْ

٤ ـ خطر الركون إلى الدنيا الفانية والانغماس في ملذّاتها والتنافس عليها، وأن ذلك يؤدي إلى التفريط والغفلة، وقسوة القلوب ووَهن النفوس، وهو من أعظم أسباب هلاك الأمم.

ومن أجل ذلك اهتمّ النبي ﷺ ببيان خطره وسوء عاقبته وهو في

(١) «صحيح البخاري» (٨/ ١٢٤: ٦٦٠٧).
(٢) «السنن الكبرى» للنسائي (١٠/ ٣٤٩: ١١٦٤٨)، «المعجم الأوسط» للطبراني (٢/ ٢٨٤: ١٩٩٦).
(٣) «صحيح مسلم» (١/ ٣٥١: ٤٨٤).

مرض وفاته، وأكثر النبي ﷺ من التحذير منه في حياته؛ فقال عليه الصلاة والسلام: «**والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبْسَطَ عليكم الدنيا كما بُسِطَت على من كان قبلكم، فَتَنَافَسُوهَا كما تنافسوها، وتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ**»(١).

فينبغي لمن فُتِحَتْ عليه الدنيا أن يحذر من سوء عاقبتها وشرّ فتنتها ولا ينافس غيره فيها، ويصرف ما وهبه الله في طاعة الله تعالى، ويدَّخره لآخرته.

٥ ـ شدة حبّ الصحابة لرسول الله ﷺ، حيث كانوا يفدونه بأرواحهم وآبائهم وأمهاتهم، كما قال أبو بكر رضي الله عنه: «فديناكَ بآبائنا وأمهاتنا»، ولا يتم إيمان المرء إلا بذلك.

فالمؤمن يقدّم محبته ﷺ على محبة كل محبوب سوى الله تعالى، ويُؤْثر مرضاته وسنته على محبوباته ورغباته؛ قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]؛ أي: هو أحق بهم في كل أمور الدين والدنيا، وأولى بهم من أنفسهم فضلًا عن أن يكون أولى بهم من غيرهم، فيجب عليهم أن يحبوه زيادة على حبهم أنفسهم، ويجب عليهم أن يقدموا حكمه عليهم على حكمهم لأنفسهم، ويجب عليهم أن يقدموا طاعته على ما تميل إليه أنفسهم، وتطلبه خواطرهم(٢). وذلك لأن النبي عليه الصلاة والسلام بذل حياته وكل ما يملك في سبيل هداية الناس وإخراجهم من ظلمات الشرك والجهل والظلم إلى نور التوحيد والعلم والعدل، وتحمّل في سبيل ذلك من الأذى ما لم يتحمّله أحد، فكان

---

(١) «صحيح البخاري» (٥/ ٨٥: ٤٠١٥)، «صحيح مسلم» (٤/ ٢٢٧٣: ٢٩٦١).
(٢) «فتح القدير» للشوكاني (٤/ ٣٠١).

بذلك أرحم الخلق، وأعظمهم مِنَّةً على الإنسانية، وأحقهم ببذل الغالي والرخيص من أجله؛ قال الرسول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أَحَبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[١].

عِرْضِي وَوَالِدَتِي وَنَفْسِي كُلُّنا نَفْدِيك بِالْأَرْوَاحِ يَا خَيْرَ الْبَشَر



(١) «صحيح البخاري» (١/١٢ : ١٥)، «صحيح مسلم» (١/٦٧ : ٤٤).

الفصل الثاني

مرض النبي ﷺ ووفاته

بداية المرض

رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع في ذي الحجة فأقام بالمدينة بَقِيَّتَهُ والمحرَّم وصفرًا، وبعث أسامة بن زيد رضي الله عنهما (إلى تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين)، فبينا الناس على ذلك ابْتُدِئَ رسول الله ﷺ بِشَكواه الذي قبضه الله فيه، في ليالٍ بَقِينَ من صفر أو في أَوَّلِ شهر ربيع الأول[١] من السَّنة الحادية عشرة للهجرة.

وكان أوّل معالم مرضه ﷺ صداعًا شديدًا يجده في رأسه؛ قالت عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ إذا مَرَّ بِبَابِي مِمَّا يُلْقِي الكلمة ينفع الله عز وجل بها، فَمَرَّ ذات يوم فلم يَقُل شيئًا، ثم مرَّ أيضًا فلم يَقُل شيئًا، قلتُ: يا جارية ضَعِي لي وسادة على الباب؛ وَعَصَبْتُ رأسي[٢]، فرجع إِلَيَّ رسول الله ﷺ ذاتَ يوم من جنازة بالبقيع، وأنا أَجِدُ صداعًا في رأسي، وأنا أقول: وَارَأْسَاه، [فقال: «**يا عائشة، ما شأنك؟**» فقلتُ: أشتكي رأسي]، قال: «**بل أنا يا عائشة وَارَأْسَاه**»[٣]، ثم قال: «**ما ضَرَّكِ**

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٢٦).
(٢) «مسند الإمام أحمد» (٤٣/ ٣٤: ٢٥٨٤١)، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه له.
(٣) في قوله ﷺ: «**وَارَأْسَاه**» دليل على جواز قول المريض: «أنا وَجِع» أو «مَوْعُوكٌ» أو «وَارَأْسَاه»! إذا لم يكن على سبيل التّسخّط وإظهار الجزع، بل قصد إخبار =

لو متِّ قبلي، **فَغَسَّلْتُكِ وكفَّنْتُكِ، ثم صلّيتُ عليكِ، ودفنتكِ؟**»، قلتُ: لَكَأَنِّي بكَ، والله لو فعلتَ ذلك لقد رجعتَ إلى بيتي فَأَعْرَسْتَ فيه ببعض نسائك. قالت: فَتَبَسَّمَ رسول الله ﷺ، ثم بُدِئَ في وَجَعِهِ الذي مات فيه)[١].

* بداية مرض الوفاة:

وأما بداية مرض الوفاة فكان في بيت ميمونة رضي الله عنها على الصحيح؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «أَوَّلُ ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة رضي الله عنها»[٢]، وكذلك قالت أسماء بنت عُمَيس رضي الله عنها[٣]، واعتمده الحافظ ابن حجر فقال: «وأما ابتداؤه فكان في بيت ميمونة رضي الله عنها».

ووقع في «السيرة» لأبي معشر: في بيت زينب بنت جحش، وفي «السيرة» لسليمان التَّيْمِيّ: في بيت ريحانة[٤]، والأول المعتمد.

وذكر الخَطّابي أنه ابتدأ به يوم الاثنين، وقيل: يوم السبت.

= الطبيب أو القريب أو الصديق عن حاله؛ ليقوم بتمريضه، أو علاجه، أو يدعو له بالشفاء والعافية.

(١) «مسند أحمد» (٤٣/ ٨١: ٢٥٩٠٨)، «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٥١: ٦٥٨٦). وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٢٥): «رجاله ثقات، ورواه البخاري من وجه آخر مختصرًا»، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه لـ«المسند». وما بين المعقوفتين زيادة من رواية المسند السابقة.

(٢) «مسند أحمد» (٤٣/ ٨٦: ٢٥٩١٤)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١٢: ٤١٨).

(٣) «مسند أحمد» (٤٥/ ٤٦٠: ٢٧٤٦٩)، «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٥٢: ٦٥٨٧)، «المستدرك» للحاكم (٤/ ٢٢٥: ٧٤٤٦)، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٤) قال ابن جماعة الكناني في «المختصر الكبير» (ص١٤٢): «وهو ضعيف؛ لأن الصحيح أن ريحانة ماتت في حياته ﷺ». وقال الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١١/ ٢٢): «ماتت بعد مرجعه من حجة الوداع سنة عشر».

وقال الحاكم أبو أحمد: يوم الأربعاء(١).

وكان ذلك حين زار البقيع ليستغفر لِأَهله؛ قال أبو مُوَيْهِبَةَ - مولى رسول الله ﷺ -: (بَعَثَنِي رسول الله ﷺ من جَوْفِ الليل، فقال: «**يا أبا مُوَيْهِبَة، إني قد أُمِرْتُ أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي**»، فانطلقتُ معه، فلما وَقَفَ بين أَظْهُرِهِمْ قال: «**السلام عليكم يا أهل المقابر، لِيَهْنِ لكم ما أَصْبَحْتُمْ فيه، مما أصبح فيه الناس، لو تعلمون ما نَجَّاكُمُ الله منه، أَقْبَلَتِ الفتن كَقِطَعِ الليل الْمُظْلِمِ، يَتْبَعُ أَوَّلُهَا آخرَها، الْآخِرَةُ شَرٌّ من الأولى**». قال أبو مُوَيْهِبَةَ: ثم أقبل عَلَيَّ فقال: «**يا أبا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قد أُوتِيتُ مفاتيح خزائن الدنيا، وَالْخُلْدَ فيها ثم الجنة، وَخُيِّرْتُ بين ذلك، وبين لقاء ربي ﷻ والجنة**»، قلتُ: بأبي وأمّي، فَخُذْ مفاتيح الدنيا وَالْخُلْدَ فيها ثم الجنة. قال: «**لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترتُ لقاء ربي والجنة**»، ثم استغفر لِأَهل البقيع، ثم انصرف فَبُدِئَ رسول الله ﷺ في وَجَعِهِ الذي قبضه الله ﷻ فيه حين أَصْبَحَ)(٢).

سبب مرض النبي ﷺ

بعد فتح خيبر في السَّنة السابعة «سَمَّتْ (زوجة سَلّام بن مِشْكَم) اليهودية شاة مَصْلِيَّةً - أي: مَشْويّة - ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ الذّراع، فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «**ارفعوا أيديكم**»، وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٢٩).

(٢) «مسند أحمد» (٢٥/ ٣٧٦: ١٥٩٩٧)، «المستدرك» للحاكم (٣/ ٥٧: ٤٣٨٣)، وصحّحه ووافقه الذهبي.

فدعاها، فقال لها: «**أَسَمَمْتِ هذه الشاة؟**»، قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال: «**أَخْبَرَتْنِي هذه في يدي**» لِلذِّرَاعِ، قالت: نعم. قال: «**فما أردتِ إلى ذلك؟**»، قالت: قلتُ: إن كان نبيًّا فلن يضره، وإن لم يكن نبيًّا استرحنا منه. فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها»[١]. وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «**ما كان الله لِيُسَلِّطَك عَلَيّ**»، قالوا: ألا نقتلها؟ قال: «**لا**»[٢]، قال أنس: فما زلتُ أعرفها ـ أي: علامة السّم ـ في لَهَوَات[٣] رسول الله ﷺ[٤].

وقد أثر السّم فيه ﷺ مع أنه لم يدخل شيءٌ من الشاة إلى جوفه وإنما لَاكَ قطعة ثم لَفَظَها، وذلك لشدّة السّم وقوّته؛ روى ابن إسحاق فقال: «أَهْدَتْ له زينب بنت الحارث، امرأة سلَّام بن مِشْكَم، شاةً مَصْلِيَّة، وقد سَأَلَتْ أيَّ عُضْو من الشاة أَحَبّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذّراع؛ فَأَكْثَرَتْ فيها من السّم، ثم سَمَّتْ سائر الشاة، ثم جاءت

---

(١) «سنن أبي داود» (٦/ ٥٦٤: ٤٥١٠)، وصحّحه الأرنؤوط في تخريجه له، وأصله في الصحيحين.

(٢) اختلفت الروايات في التجاوز عن المرأة وقتلها: ففي هذه الرواية الثابتة في «الصحيحين» أنه لم يقتلها، وجاء عند أبي داود (٦/ ٥٦٧: ٤٥١٢) بسند صحيح: «فأمر بها رسولُ الله ﷺ فقُتِلَت». ووجه الجمع بينهما أن النبي ﷺ تركها أوّلًا؛ كرمًا منه وشرفًا؛ لأنه كان لا يَنتقِمُ لنفسه، ثم لما مات بِشر من تلك الأَكْلَةِ قَتَلَها به؛ قِصَاصًا، فيصح قولهم: لم يقتُلها؛ أي: في الحال، ويصح قولهم: قتلها؛ أي: بعد ذلك. انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ١٧٩)، «فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٤٩٧)، «أشرف الوسائل» للهيتمي (ص٢٣١).

(٣) **اللَّهَوَاتُ** (بفتح اللام والهاء): جمع لَهات ـ بفتح اللام ـ، وهي: اللّحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك. «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ١٧٩).

(٤) «صحيح البخاري» (٣/ ١٦٣: ٢٦١٧)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٢١: ٢١٩٠).

بها، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فَلَاكَ منها مُضْغَةً فلم يُسِغْهَا، ومعه بِشْر بن البراء بن مَعْرُور، قد أَخَذَ منها كما أَخَذَ رسول الله ﷺ، فأمّا بِشْرٌ فَأَسَاغَهَا، وأمّا رسول الله ﷺ فَلَفَظَهَا، ثم قال: «**إنّ هذا العَظْم لَيُخْبِرُنِي أنّه مَسْمُومٌ**»، ثمّ دعا بها، فَاعْتَرَفَتْ، فَتَجَاوَزَ عنها رسول الله ﷺ، ومات بِشْرٌ من أَكْلَتِهِ التي أكل»[(١)].

وقد عاش ﷺ بعد أكله من الشاة المسمومة بخيبر ثلاث سنين، ثم عاوده أثر السم فكان سبب مرضه ﷺ ووفاته؛ فعن أم مُبَشِّرٍ[(٢)] رضي الله عنها قالت: (دخلتُ على رسول الله ﷺ في وَجَعِهِ الذي قُبض فيه فقلتُ: بأبي أنت يا رسول الله، ما تَتَّهِمُ بِنَفْسِكَ؟ فإني لا أَتَّهِمُ بابني إلا الطعام الذي أكله معك بِخَيْبَرَ؛ وكان ابنها بِشْر بن البراء بن مَعْرُور مات قبل النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**وأنا لا أَتَّهِمُ غيرها، هذا أَوَانُ انقطاع أَبْهَرِي**[(٣)] **هذا**»)[(٤)]؛ أي: هذا أوان قتلني السّم.

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨).

(٢) للبراء بن معرور ولدان هما: مُبَشّر وبِشْر كما في «تهذيب التهذيب» لابن حجر (١٢/ ٤٧٩)، ولِأم مُبَشّر كنيتان أيضًا، فيقال لها: أم بِشْر وأم مُبَشّر. وقال الساعاتي في «الفتح الرباني» (٧/ ٨٧): «لعل بِشرًا كان يقال له: بِشر ومُبشّر، ولهذا كان يقال لأمّه أحيانًا: أم مبشر؛ وأحيانًا: أم بشر؛ أو يكونا اثنين».

(٣) **الأَبْهَرُ**: عِرْقٌ مُسْتَبْطِنٌ بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه. «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٣١)، ويعرف في الطب الحديث باسم «الأورطي»، وهو شريان يندفع منه الدم إلى الدماغ وبقية أعضاء الجسم. «فقه النوازل» لبكر أبو زيد (١/ ٢٢٤).

(٤) «سنن أبي داود» (٦/ ٥٦٨: ٤٥١٣)، «المستدرك» للحاكم (٣/ ٢٤٢: ٤٩٦٦)، وصحّحه ووافقه الذهبي.

هل أصيب رسول الله ﷺ بذات الجَنب؟(١)

وأما ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما مات رسول الله ﷺ إلا من ذَات الْجَنْبِ»(٢) فإنه حديث واه، لا تقوم به حجة؛ قال الحافظ ابن حجر: «هذا الحديث من منكرات ابن لَهِيعة»(٣).

ثم إنه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة؛ كحديث أسماء بنت عُمَيس رضي الله عنها في قصة اللَّدُود: (قالوا: كُنَّا نَتَّهِمُ بِكَ ذَاتَ الْجَنْب يا رسول الله، قال: «**إن كان ذلك لَدَاءٌ ما كان الله لِيَقْذِفَنِي به**»)(٤)، وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ تأخذه الْخَاصِرَةُ(٥)، فَتَشْتَدّ به

---

(١) **ذَات الْجَنْب**: قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ١٧٣): «هو وَرَمٌ حَارٌّ يعرض في الْغِشَاءِ المستبطن للأضلاع، وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصِّفَاقَات ـ وهي الأغشية التي تغلف أعضاء البطن ـ والعَضَل التي في الصّدر والأضلاع فتحدث وَجَعًا، فالأوّل هو ذات الجنب الحقيقي». وقال ابن الأثير في «النهاية» (١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤): «هي الدُّبَيْلَة والدُّمّلة الكبيرة التي تظهر في باطن الجَنْب، وتنفجر إلى داخل، وقلّما يَسْلَم صاحبها، وذو الجَنْب الذي يشتكي جَنْبَه بِسَبَب الدُّبَيْلَة». **والدُّبَيْلَة**: نوع من الورم، **وذات الجنب في الطب الحديث**: التهابٌ في الغِشاء المحيط بالرّئة. «المعجم الوسيط» (١/ ١٣٨).

(٢) «مسند أبي يعلى الموصلي» (٨/ ٢٥٨: ٤٨٤٣)، «المعجم الأوسط» (٩/ ٦: ٨٩٥٤)، «المستدرك» للحاكم (٤/ ٤٤٩: ٨٢٣٦)، وقال الذهبي في «التلخيص»: «لم يصح».

(٣) «المطالب العالية» لابن حجر (١٧/ ٥١٢).

(٤) «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٥٢: ٦٥٨٧)، «المستدرك» للحاكم (٤/ ٢٢٥: ٧٤٤٦)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٨/ ١٤٨).

(٥) **الخاصرة**: وَجَع الخَصْر وهو الجَنْب. وقيل: وجَعٌ في الكُلْيَتَيْن. «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٣٧).

جدًّا، فكنا نقول: أخذ رسول الله ﷺ عِرق الكُلية، لا نهتدي أن نقول الخاصرة، ثم أَخَذَت رسول الله ﷺ يومًا، فاشتدّت به جدًّا حتى أُغْمِي عليه، وَخِفْنَا عليه، وفزع الناس إليه، فظننا أن به ذَاتَ الْجَنْبِ، فَلَدَدْنَاهُ[(١)]، ثم سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ وأفاق، فعرف أنه قد لُدَّ، ووجد أثر اللَّدُودِ، فقال: «**ظننتم أن الله ﷻ سَلَّطَهَا عَلَيّ، ما كان الله لِيُسَلِّطْهَا عَلَيّ**»[(٢)]. وفي رواية: «**إنها من الشيطان وما كان الله لِيُسَلِّطَهُ عَلَيّ**»[(٣)].

وعلى فرض صحة الحديث يمكن الجمع بينهما بما قاله الحافظ: أن (ذات الجنب تطلق بإزاء مرضين، أحدهما: وَرَمٌ حَارّ يعرض في الغشاء المستبطن، والآخر: ريح محتقن بين الأضلاع، فالأول هو الْمَنْفِيُّ هنا، وقد وقع في رواية الحاكم في «المستدرك»: «**ذات الجنب من الشيطان**»، والثاني هو الذي أثبت هنا ـ أي: في رواية ابن لهيعة عن عائشة ـ، وليس فيه محذور كالأول)[(٤)].

ولكن هذا الجمع يردّه حديث عائشة رضي الله عنها في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال لها: «**هذا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِن ذلك السُّمِّ**»[(٥)]. ففيه تصريح بأن سبب موته ﷺ هو السّم، وليس ذات الجنب، وحديث ابن لهيعة متفق على ضعفه ونكارته، فقد استنكره الحاكم

---

(١) **لَدَدْنَاهُ**: أي: جعلنا في جانب فمه دواء بغير اختياره، وهو اللَّدُود. «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٤٧).

(٢) «مسند أحمد» (٤١/ ٣٦٤: ٢٤٨٧٠)، «المستدرك» للحاكم (٤/ ٢٢٥: ٧٤٤٧)، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٣) «مسند أحمد» (٤٣/ ٣٦٦: ٢٦٣٤٦)، «المستدرك» للحاكم (٤/ ٤٤٩: ٨٢٣٥)، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٤) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٤٨).

(٥) «صحيح البخاري» (٦/ ٩: ٤٤٢٨).

والذهبي والهيثمي في «المقصد العلي» والبوصيري وغيرهم[١]، فالصواب ما قاله الحافظ ابن حجر في «التهذيب» وهو: أن (هذا مما يُقطع ببطلانه؛ لما ثبت في «الصحيح» أنه ﷺ قال لما لَدُّوهُ: «**لِمَ فعلتم هذا؟**»، قالوا: خشينا أن يكون بك ذات الجنب. فقال: «**ما كان الله لِيُسَلِّطْهَا عَلَيّ**»، والآفة فيه من ابن لهيعة، فكأنه دخل عليه حديث في حديث)[٢].

آخر آية نزلت من السماء

قبل وفاة الرسول ﷺ بتسعة أيام على المشهور[٣] نزلت آخر آية من القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٨١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنها آخر آية أُنْزِلت على رسول الله ﷺ[٤].

ولا ينافي ذلك ما ثبت عنه رضي الله عنه أنه قال: «آخر آية نَزَلَت على النبي ﷺ آية الربا»[٥]؛ وذلك لأن آية التقوى هي خاتمة آيات الربا[٦]،

(١) انظر: «المستدرك» للحاكم مع «تلخيص الذهبي» (٤/ ٤٤٩)، «المقصد العَليّ» للهيثمي (١/ ١٩٩)، «إتحاف الخيرة» للبوصيري (٢/ ٥٢٢).
(٢) «تهذيب التهذيب» لابن حجر (٥/ ٣٧٩).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٦٨)، «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٢٠٥).
(٤) «سنن النسائي» الكبرى (١٠/ ٤٠ : ١٠٩٩٢)، «المعجم الكبير» للطبراني (١٢/ ٢٣ : ١٢٣٥٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٤): «رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات».
(٥) «صحيح البخاري» (٦/ ٣٣: ٤٥٤٤).
(٦) آيات الربا هي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۞ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ =

وقد نزلت كلها دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، فأَخْبَر عن بعض ما نزل بأنه آخر.

ويؤيد ذلك صنيع الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه»؛ حيث أورد قول ابن عباس رضي الله عنهما: «آخر آية نَزَلَت على النبي ﷺ آية الربا» في باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، فجعل رحمه الله الروايتين متحدتين غير متعارضتين، قال الحافظ ابن حجر: «ولعله أراد أن يجمع بين قولي ابن عباس، . . . وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا؛ إذ هي معطوفة عليهن»(١).

ومما يرجح أن آية التقوى آخر الآيات نزولًا هو أنها تحمل في طيَّاتها إشارةً إلى ختام الوحي والدين، بسبب ما تحثّ عليه من الاستعداد ليوم المعاد، وما تنوّه به من الرجوع إلى الله، واستيفاء الجزاء العادل من غير غبنٍ ولا ظلم، وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام(٢).

وأمّا ما ثبت عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: «آخر آية نزلت خاتمة سورة النساء: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]»(٣)، فالمراد منه آخر ما نزل في شأن الفرائض(٤)، فهي آخرية مقيدة، لا مطلقة؛ قال الحافظ ابن حجر: (أما حديث البراء فيجمع بينه وبين قول ابن عباس رضي الله عنهم بأن الآيتين نزلتا جميعًا، فَيَصْدُقُ أن كُلًّا منهما آخر بالنسبة لما عداهما، ويحتمل أن تكون الآخريّة في آية النساء مقيدة

= وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٨١]».

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٢٠٥).

(٢) «مناهل العرفان» للزرقاني (١/ ٩٧ ـ ٩٨).

(٣) «صحيح البخاري» (٨/ ١٥٣ : ٦٧٤٤)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٢٣٦ : ١٦١٨).

(٤) «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (١/ ١٠٢).

بما يتعلق بالمواريث، بخلاف آية البقرة، ويحتمل عكسه، والأول أرجح لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة الْمُسْتَلْزِمَةِ لخاتمة النزول)[(١)].

رغبة أبي بكر الصديق في تمريض النبي ﷺ

وحين أصاب النبي ﷺ من وعكه شدّة، رغب أبو بكر ﷺ في أن يُمَرِّضَه عنده، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائْذَنْ لي فَأُمَرِّضكَ وأكون الذي أقوم عليك. فقال: «**يا أبا بكر، إن لم أُحَمِّلْ أزواجي وبناتي وأهل بيتي علاجي ازدادت مصيبتي عليهم عِظَمًا، وقد وقع أجرك على الله تعالى**»[(٢)]. وفي رواية: فقال ﷺ: «**يا أبا بكر، هو إِسْلاءٌ لِأَهْلِي أَنْ يُمَرِّضُونِي، وقد وقع أجرك على الله** ﷻ»[(٣)].

والمعنى أن تمريضهم له ﷺ يخفف عليهم حزنهم ومصابهم، فالرجل إذا مرض عند أهله ثمّ مات في مرضه كان أهون عليهم لحزنهم، وأقلّ جَزَعًا لمصابهم، وأسلى لهم.

أين أنا غدًا؟

وكان رسول الله ﷺ يعدل بين نسائه في مرضه، «وتَتَامَّ به وجعه، وهو يدور على نسائه، حتى استُعِزَّ به ـ أي: اشتد عليه المرض ـ وهو في بيت ميمونة»[(٤)]، ولما عجز عن المشي «كان يُحْمَلُ في ثوب يُطَافُ

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٢٠٥).

(٢) «الثبات عند الممات» لابن الجوزي (ص٩٦)، «سلوة الكئيب» لابن ناصر الدين (ص١٠٠).

(٣) «الثبات عند الممات» لابن الجوزي (ص٩٦).

(٤) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٤٣).

به على نسائه وهو مريض يَقْسِمُ بَيْنَهُنَّ»(١). يأخذ بأطرافه الأربعة أبو مُويهبة، وشُقران، وثوبان، وأبو رافع مواليه(٢)، وكان يسأل فيقول: «**أين أنا اليوم؟، أين أنا غدًا؟**» استبطاءً ليوم عائشة(٣)؛ أي: أنه كان يسأل عن نوبتها شوقًا إليها ورغبةً في أن يُمَرّض في بيتها، «وذلك لأنّ المريض يجد عند بعض أهله ما لا يجده عند غيره من الأنس والسكون»(٤).

قالت عائشة رضي الله عنها: فبعثَ إلى النساء فاجتمعْنَ، فقال: «**إني لا أستطِيعُ أن أدورَ بينكن، فَإن رأيتُن أنْ تأذنَّ لي فأكونَ عندَ عائشة فعلتُنَّ**»(٥). فقال نساؤه: انظر حيث تُحِبُّ أن تكون فيه، فنحن نأتيك. قال ﷺ: «**أَوَكُلُّكُنَّ على ذلك؟**»، قالت: نعم؛ فانتقل إلى بيت عائشة(٦)، فخرج النبي ﷺ بين رجلين، تَخُطُّ رِجْلَاهُ في الأرض(٧)، بين العبّاس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما(٨)، فكانت تُمَرِّضُهُ وتخدمه، قالت رضي الله عنها: فكنتُ أُوَضِّئُهُ، ولم أكن أُوَضِّئُ أحدًا قبله(٩). ومكث عليه الصلاة والسلام في بيتها رضي الله عنها حتى فارق الدنيا.

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٢٣١). قال ابن الملقن في «البدر المنير» (٧/ ٤٧٩): «رجاله ثقات، لكنه ليس بمتصل».
(٢) «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (١٢/ ٢٣٧).
(٣) «صحيح البخاري» (٢/ ١٠٢: ١٣٨٩)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٩٣: ٢٤٤٣).
(٤) «عمدة القاري» للعيني (٨/ ٢٢٣).
(٥) «سنن أبي داود» (٣/ ٤٧٢: ٢١٣٧)، وصحّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.
(٦) «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٨٢: ٦٦١٤)، وصحّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.
(٧) أي: أنه ﷺ من شدة مرضه كان لا يستطيع المشي والقيام على قدميه، بل كان يجرّ رجليه بالأرض ولا يعتمد عليهما.
(٨) «صحيح البخاري» (١/ ١٣٤: ٦٦٥)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١٢: ٤١٨).
(٩) «مسند الإمام أحمد» (٤٣/ ٣٤: ٢٥٨٤١)، وحسّنه الأرنؤوط في تحقيقه له.

سبب رغبته ﷺ في التمريض في بيت عائشة رضي الله عنها:

وسبب اشتياقه ﷺ لبيت عائشة هو ما ذكره العلامة السيد سليمان الندوي بقوله: (إن الله تعالى قد خص عائشة رضي الله عنها بكثير من الفضائل والمزايا الفطرية، ووهبها حظًّا وافرًا من كمال العقل وقوة الذاكرة وسرعة الفهم والذكاء المتوقد والبديهة الواعية وقدرة التحصيل، وملكةً في الاستنباط والاستخراج، وقوةً نادرة للاجتهاد.

إذن فلا غرابة أن يكون غرض الرسول ﷺ من التمريض في بيتها والاستقرار فيه أن تقوم عائشة بحفظ كل الأقوال والأفعال الصادرة من النبي ﷺ في أيامه الأخيرة.

والحق الذي لا مراء فيه أن المسلمين قد عرفوا الكثير من أمر نبيهم وأمر دينهم، وأحواله ﷺ عند الاحتضار، من أحاديث عائشة رضي الله عنها عن زوجها المحبوب عليه الصلاة والسلام)[(١)].

الرقية بالمعوذات

حدّثت عائشة رضي الله عنها: «**أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات ويَنْفُثُ، فكان يَنْفُثُ على نفسه في مرضه الذي قُبِضَ فيه بالمعوذات، فلما ثَقُلَ ـ أي: ضعف واشتدّ مرضه ـ كنتُ أنا أَنْفُثُ عليه بِهِنَّ، فأمسح بِيَدِ نفسه لِبَرَكَتِهَا**»[(٢)].

فلم يكن ﷺ يقوى حتى على القراءة على نفسه الشريفة من شدة المرض.

---

(١) «سيرة السيدة عائشة» للسيد سليمان الندوي (ص١٥١ ـ ١٥٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٦/ ١٩٠: ٥٠١٦، ٧/ ١٣٤: ٥٧٥١)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٢٣: ٢١٩٢).

وقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كان رسول الله ﷺ إذا أَوَى إلى فراشه، نَفَثَ في كَفَّيْهِ بِـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وبالمعوذتين جميعًا، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يداه من جسده**، فلما اشتكى ـ أي: وَجَعه الذي مات فيه ـ كان يَأْمُرُنِي أن أفعل ذلك به»(١).

وصيّته ﷺ لأصحابه في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

حدّث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: (نَعَى إِلَيْنَا حبيبنا ونبيّنا نَفْسَهُ ـ بأبي هو، ونفسي له الفداء ـ قبل موته بِسِتٍّ، فلما دنا الفراق جَمَعَنَا في بيت أُمّنا عائشة، فنظر إلينا فَدَمَعَتْ عيناه، ثم قال: «**مرحبًا بكم وحيّاكم الله، حفظكم الله، آوَاكُمُ الله، نصركم الله، رفعكم الله، هداكم الله، رزقكم الله، وفّقكم الله، سلّمكم الله، قَبِلَكُمُ الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، وَأَسْتَخْلِفُهُ عليكم، إني لكم نذير مبين، أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإن الله قال لي ولكم**: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، ثم قال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]».

ثم قال: «**قد دنا الأجل، وَالْمُنْقَلَبُ إلى الله، وإلى سدرة المنتهى، وإلى جَنَّةِ المأوى، والكأس الأوفى، والرفيق الأعلى**». فقلنا: يا نبي الله، فمن يُغَسِّلُك إذًا؟ قال: «**رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى**»، قلنا: فَفِيمَ نُكَفِّنُكَ؟ قال: «**في ثيابي هذه إن شئتم، أو في حُلَّةٍ يَمَنِيَّة، أو في بياض مصر**»، قلنا: فمن يصلي عليك مِنّا؟ فَبَكينا وبكى، وقال: «**مهلًا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرًا، إذا غَسَّلْتُمُونِي ثم وَضَعْتُمُونِي على سريري في بيتي هذا على شفير قبري، فاخرجوا عَنِّي ساعة، فإن أَوَّل من يُصَلّي**

---

(١) «صحيح البخاري» (٧/ ١٣٣: ٥٧٤٨).

عَلَيّ خليلي وجليسي جبريل[١]**، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم مَلَك الموت مع جنوده، ثم الملائكة عليهم السلام بأجمعها، ثم ادخلوا عَلَيَّ فوجًا فوجًا فصلُّوا عَلَيَّ وسلِّموا تسليمًا، ولا تؤذوني بِبَاكِيَةٍ ولا صارخةٍ ولا رَانَّةٍ**[٢]**، وَلْيَبْدَأْ بالصّلاة عَلَيَّ رجال أهل بيتي، ثم أنتم بعد، وأقْرِئوا أنفسكم مِنّي السلام، ومن غاب من إخواني فأبلغوه مِنّي السلام، ومَن دخل معكم في دينكم بعدي، فإني أُشْهِدُكُمْ أني أقرأ السلام عليه وعلى كل مَن تابعني على ديني مِن يومي هذا إلى يوم القيامة»**[٣]. قلنا: يا رسول الله، فمن يُدْخِلُكَ قبركَ منا؟ قال: «**رجالُ أهل بيتي مع ملائكةٍ كثيرةٍ يَرَوْنَكُمْ من حيث لا تَرَوْنَهُمْ**»[٤].

---

(١) وجاء عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/٦٣: ٢٦٧٦) وعنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/٧٨) عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم مرفوعًا بلفظ: «**فإن أول من يصلي عَلَيّ الرب عز وجل من فوق عرشه**». وهو من كذب الوضاعين، قال الذهبي في «العُلُوّ» (ص٥١): «حديث موضوع، وأراه من افتراء عبد المنعم»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٠): «رواه الطبراني، وفيه عبد المنعم بن إدريس، وهو كذاب وضاع»، وقال السيوطي في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١/ ٢٥٧): «موضوع، آفته عبد المنعم».

(٢) **رَانَّة**: أي: امرأة نائحة صائحة صياحًا شديدًا. «مرقاة المفاتيح» (٣/ ١٢٥٠)، «فيض القدير» للمناوي (٦/ ٣٤٩).

(٣) هنا مسألة يحسن التنبيه إليها ـ بغضّ النظر عن ثبوت الحديث ـ، وهي أنه ينبغي على مَن بلغه سلام من غائب أن يردّ السلام عليه كما يردّ على الحاضر، فيقول: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته.

(٤) «مسند البزار» (٥/ ٣٩٥: ٢٠٢٨)، «المعجم الأوسط» للطبراني (٤/ ٢٠٨: ٣٩٩٦). وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٥): «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسماعيل الأحمسي، وهو ثقة. ورواه الطبراني في «الأوسط» بنحوه، إلا أنه قال: قبل موته بشهر. وذكر في إسناده ضعفاء»، اهـ. وضعّفه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ١٣٢) فقال: «في صحته نظر»، ورواه =

خطبة الوداع(١)

وخطب ﷺ أصحابه قبل أن يموت بخمسة أيام خطبة عظيمة، أثنى فيها على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبيّن فضله، وأوصى بالأنصار خيرًا، وحذّر فيها من زهرة الدنيا، وأشار إلى تخيير الله له بين الدنيا والآخرة واختياره الآخرة، وحذَّر من اتخاذ القبور مساجد.

والباعث على الخطبة هو ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (مَرَّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يَبْكُونَ، فقال (أحدهما): ما يُبْكِيكُمْ؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ مِنَّا. فدخل أحدهما على النبي ﷺ فأخبره بذلك.

فخرج النبي ﷺ وقد عَصَبَ على رأسه حاشية بُرْدٍ(٢). وكان رسول الله ﷺ إذ ذاك في بيت عائشة رضي الله عنها وقد اشْتَدَّ به وَجَعُهُ، فقال ﷺ: **«هَرِيقُوا - أي: صُبُّوا - عَلَيَّ من سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ(٣)، لَعَلِّي**

= البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٢٣١) وقال: «إسناده ضعيف بالمرّة»، اهـ.
قلتُ: والحديث قد روي من طرق متعددة، لكنها لا تخلو من علّة، وفي ألفاظه غرابة، ولكن بعض فقراته صحيحة، لها شواهد، قال العلَّامة الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١٢/ ٣٣٣): «قد ورد من طرق يقوي بعضها بعضًا ويرتقي بها الحديث إلى قريب من درجة الحسن». وسيأتي مزيد من الكلام عليه تحت عنوان: سبب الصلاة عليه فرادى.

(١) وردت هذه الخطبة متفرقة في كتب السُّنَّة والسيرة، فجمعتُ ألفاظها والزيادات التي وقعت فيها من روايات شتى، وسُقتها سياقًا واحدًا ليسهل الاستفادة منها. وقد يبدو للناظر في هذه الروايات أوّل وهلة أنها خطب متعددة، ولكن عند التأمل والتحقيق يتبين أنها خطبة واحدة، روى كل راو ما حفظه منه أو دعت الحاجة إليه.

(٢) «صحيح البخاري» (٥/ ٣٥: ٣٧٩٩).

(٣) **أَوْكِيَتُهُنَّ**: الأوكية جمع: وكاء، وهو الخيط الَّذِي يشد به رَأس القِرْبَة. «عمدة =

أعهد إلى الناس»، قالت عائشة: فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ[(١)] لِحَفْصَةَ زوج النبي ﷺ، ثم طَفِقْنَا نَصُبُّ عليه من تلك القِرَبِ، حتى طَفِقَ يشير إلينا بيده أن قد فَعَلْتُنَّ. ثم خرج إلى الناس[(٢)].

فصعد المنبر، وكان آخرَ مجلس جلسه ﷺ، مُتَعَطِّفًا ـ أي: مرتديًا ـ مِلْحَفَةً ـ أي: إزارًا كبيرًا ـ على منكبيه، قد عَصَبَ رأسه بِعِصَابَةٍ ـ أي: عمامة ـ دَسِمَةٍ[(٣)]، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أيها الناس إِلَيَّ**»، فَثَابُوا إليه[(٤)].

ثم قال: «**أما بعد**[(٥)]**، أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشِي**[(٦)] **وَعَيْبَتِي**[(٧)]،

= القاري» للعيني (٣/ ٩١).

قال البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٤٣): «وإنما قال عليه الصلاة والسلام: «**لم تُحلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ**»؛ لأن الماء الذي لم يُحْلَلْ عنه الوكاء يكون أطهر؛ لعدم وصول الأيدي إليه، وخص عدد السبع تبركًا بها؛ لأنها تقع في كثير من أمور الشريعة». وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ١٤١): قيل: الحكمة في هذا العدد أن له خاصية في دفع ضرر السم والسحر.

(١) **الْمِخْضَبُ** (بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الضاد)، هو: الإناء الذي يغسل فيه الثياب من أي جنس كان، وقد يطلق على الإناء صغيرًا أو كبيرًا. «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٣٠١). وجلوسه ﷺ فيه دال على كِبَره.

(٢) «صحيح البخاري» (٦/ ١١: ٤٤٤٢).

(٣) **دَسِمَةٍ**: سوداء أو متغيرة اللون من الطيب والغالية. «إرشاد الساري» للقسطلاني (٢/ ١٨٥).

(٤) **ثَابُوا إليه**: أي: اجتمعوا إليه. «عمدة القاري» للعيني (٦/ ٢٢٨).

(٥) «صحيح البخاري» (٢/ ١١: ٩٢٧).

(٦) **كرِشي** (بكسر الراء وبالشين المعجمة)؛ أي: جماعتي وموضع ثقتي. «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٧٨).

(٧) **عَيْبَتِي**: أي: خاصتي وموضع سري، مأخوذ من عَيبة الثياب: وهي ما تحفظ فيها. «شرح السُّنَّة» للبغوي (١٤/ ١٧٢)، «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٦١).

وقد قَضَوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم(١)**، وإنّ الناس يَكْثُرُون ويَقِلّ الأنصار، حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام، فمن وَلِيَ شيئًا من أمة محمد ﷺ، فاستطاع أن يَضُرَّ فيه أحدًا أو ينفع فيه أحدًا، فَلْيَقْبَلْ من مُحْسِنِهِمْ ويتجاوز عن مُسِيئِهِمْ»**(٢).

وقال: «**عَبْدٌ خَيَّرَهُ الله بين أن يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده**»، فبكى أبو بكر وبكى ـ أي: كرّر البكاء وأكثر منه ـ، فقال: فديناكَ بآبائنا وأمهاتنا. قال أبو سعيد الخدري: فقلتُ في نفسي: ما يُبْكِي هذا الشيخ؟! قال أبو سعيد: فكان رسول الله ﷺ هو الْمُخَيَّر، وكان أبو بكر أَعْلَمَنَا به.

وقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر لا تَبْكِ، إنّ أَمَنَّ الناس عَلَيَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنتُ مُتَّخِذًا خليلًا من أُمّتي لَاتَّخَذْتُ أبا بكر، ولكن أُخُوَّةُ الإسلام وَمَوَدَّتُهُ، لا يَبْقَيَنَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر**»(٣). وفي رواية قال: «**ولو كنتُ مُتَّخِذًا خليلًا لَاتَّخَذْتُ ابن أبي قحافة خليلًا، ولكن وُدٌّ وإخاءُ إيمان، ولكن وُدٌّ وإخاءُ إيمان** ـ مَرَّتَيْنِ ـ، **ألا وإنّ صاحبَكم خليل الله** ﷻ»(٤).

«**ألا وإنّ مَن كان قبلكم كانوا يَتَّخِذُونَ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تَتَّخِذُوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»(٥).

---

(١) «صحيح البخاري» (٥/ ٣٥: ٣٧٩٩).
(٢) «صحيح البخاري» (٢/ ١١: ٩٢٧، ٤/ ٢٠٤: ٣٦٢٨).
(٣) «صحيح البخاري» (١/ ١٠٠: ٤٦٦)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٥٤: ٢٣٨٢).
(٤) «مسند أحمد» (٢٥/ ٢٦٦: ١٧٨٥٢)، «سنن الترمذي» (٥/ ٦٠٧: ٣٦٥٩)، وصحّحه الأرنؤوط في تحقيقه «للمسند»، وهو في «صحيح مسلم» من حديث ابن مسعود (٤/ ١٨٥٥: ٢٣٨٣).
(٥) «صحيح مسلم» (١/ ٣٧٧: ٥٣٢).

وقد كان الناس قالوا في إِمْرَةِ أسامة: أَمَّرَ غلامًا حَدَثًا على جِلَّةِ المهاجرين والأنصار، فقال ﷺ: «**أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة**[١] ـ ثلاث مرات[٢] ـ، **أيها الناس فما مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عن بعضكم في تَأْمِيرِي أسامة؟**[٣] **أَلَا إنكم تَعِيبُونَ أسامة وَتَطْعَنُونَ في إمارته، وقد فعلتم ذلك بأبيه من قبل، وإن كان لَخَلِيقًا للإمارة، وإن كان لَأَحَبَّ الناس كلِّهم إِلَيَّ، وإن ابنه هذا من بعده لَأَحَبُّ الناس إليّ، فاستوصوا به خيرًا، فإنه من خياركم**»[٤].

وعرض نفسه للقصاص قائلًا: «**مَن كنتُ جلدتُ له ظهرًا فهذا ظهري فَلْيَسْتَقِدْ منه**[٥]**، ومن كنتُ شتمتُ له عِرْضًا فهذا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ منه، ومَن كنتُ أخذتُ له مالًا فهذا مالي فَلْيَسْتَقِدْ منه. ولا يقولَنّ رجل: إنّي أخشى الشّحناء من قِبَلِ رسول الله؛ ألا وإن الشّحناء ليست من طبيعتي، ولا من شأني، ألا وإن أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَن أخذ حَقًّا إن كان له، أو حَلَّلَنِي فلقيتُ الله وأنا طيّب النفس، ألا وَإِنِّي لا أرى ذلك بِمُغْنٍ عَنِّي حتى أقوم فيكم مرارًا**».

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٥٠).

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٢٤٩).

(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ١٩٠).

(٤) «مسند أحمد» (١٠/ ٩٦: ٥٨٤٨)، واللفظ له، «صحيح البخاري» (٥/ ٢٣: ٣٧٣٠)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٨٤: ٢٤٢٦).

(٥) جاء في رواية عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٥٩: ٢٦٧٦) أن عُكَّاشَة قام فطلب القصاص وقال: «لولا أنك ناشَدْتَنَا مَرَّةً بعد أخرى ما كنتُ بالذي يُقدم على شيء من هذا...»، وهي رواية باطلة، وأمارات الوضع عليها ظاهرة. وقد حكم عليها بالوضع ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٣٠١)، والذهبي في «العُلُوّ» (ص٥١)، والسيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٢٥٧). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣١): «فيه عبد المنعم بن إدريس، وهو كذاب وضاع».

ثم نزل ﷺ، فصلى الظهر، ثم عاد إلى المنبر، فعاد إلى مَقَالته في الشّحناء وغيرها، ثم قال: «**أيها الناس، من كان عنده شيء فَلْيَرُدَّهُ، ولا يقول: فُضُوحُ الدنيا، ألا وإن فُضُوح الدنيا خير من فُضُوح الآخرة**».

فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، إن لي عندك ثلاثة دراهم، فقال: «**أما إنا لا نُكَذِّبُ قائلًا، ولا نَسْتَحْلِفُهُ على يمين، فَلِمَ صارت لك عندي؟**» قال: تَذْكُرُ يوم مَرَّ بك السائل فَأَمَرْتَنِي، فدفعتُ إليه ثلاثة دراهم؟ قال: «**ادفعها إليه يا فضل**».

ثم قام إليه رجل آخر، فقال: يا رسول الله، عندي ثلاثة دراهم، كنتُ غَلَلْتُهَا[(١)] في سبيل الله. قال: «**وَلِمَ غَلَلْتَهَا؟**»، قال: كنتُ إليها محتاجًا. قال: «**خذها منه يا فضل**».

ثم قال ﷺ: «**من خشي منكم شيئًا فَلْيَقُمْ أَدْعُ له**»، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، إِنِّي لَكَذَّابٌ وَإِنِّي لَمُنَافِقٌ، وإني لَنَئُومٌ. فقال: «**اللَّهُمَّ ارزقه صدقًا وإيمانًا، وَأَذْهِبْ عنه النوم إذا أراد**».

ثم قام إليه رجل، فقال: يا رسول الله، إِنِّي لَكَذَّابٌ وَإِنِّي لَمُنَافِقٌ، وما من شيء من الأشياء إلا وقد أَتَيْتُهُ. فقال عمر: يا هذا، فضحتَ نفسك. فقال: «**مَهْ يا ابن الخطاب، فُضُوحُ الدنيا أيسر من فُضُوح الآخرة، اللَّهُمَّ ارزقه صدقًا وإيمانًا، وصَيِّرْ أمره إلى خير**»، فَتَكَلَّمَ عمر بِكَلِمة، فقال رسول الله ﷺ: «**عمر معي، وأنا مع عمر، والحقّ بعدي مع عمر**[(٢)] **حيث كان**»[(٣)].

---

(١) **غَلَلْتُهَا**: أي: أخذتها خِفيَةً من مال الغنيمة قبل القسمة، من غَلَّ يَغُلُّ غُلُولًا: إذا خان في المغنم. [«لسان العرب» (١١/ ٥٠١)، مادة: (غلل)].

(٢) ويشهد لهذا قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه**»، وسيأتي الكلام عليه في (ص٧٥).

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (١٨/ ٢٨٠: ٧١٨)، «المعجم الأوسط» للطبراني =

وقال في خطبته أيضًا: «**إني بين أيديكم فَرَطٌ**[١]**، وأنا عليكم شهيد، وإن مَوْعِدَكُمُ الحوض، وإني لَأَنْظُرُ إليه من مَقَامِي هذا، وإني لستُ أخشى عليكم أن تُشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تَنَافَسُوهَا**».

قال عقبة بن عامر: فَكَانَتْ آخِرَ نظرةٍ نظرتُها إلى رسول الله ﷺ[٢]. وآخِرَ ما رأيتُ رسول الله ﷺ على المنبر[٣].

ثم أتى بيت عائشة فقال للنساء مثل ما قال للرجال ـ أي: في طلب

= (٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥: ٢٦٢٩)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ١٧٩ ـ ١٨٠). قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٤٥): «في إسناده ومتنه غرابة شديدة»، اهـ. وضعّفه ابن مفلح في «الفروع» (١٠/ ١٢١). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص١٥٢٤): «منكر»، اهـ.

ولكن الحديث قد أخرجه جماعة، منهم من يرويه بتمامه، ومنهم من يروي جملًا منه؛ فأخرجه ابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السُّنَّة» (ص٨٦: ٨١) مختصرًا وقال: «حديث صحيح غريب»، وأخرجه الترمذي في «الشمائل» (ص١٢١: ١٣٧) مختصرًا، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (١٢/ ٢٠١) بإسناد أجود من إسناد الطبراني، دون الزيادة الأخيرة، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٦): «وفي إسناد أبي يعلى: عطاء بن مسلم، وثَّقه ابن حبان وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجال أبي يعلى ثقات»، وقال الألباني في «الضعيفة» (١٣/ ٦٤٧): «رجاله ثقات ـ كما قال الهيثمي ـ؛ غير عطاء بن مسلم ـ وهو: الخفاف ـ: قال الحافظ: صدوق يخطئ كثيرًا»، اهـ.

قلتُ: الحديث ورد من طرق متعددة وله شواهد يتقوَّى بها في الجملة، قال البوصيري في «الإتحاف» (٢/ ٥٢٣): «رواه أبو يعلى الموصلي، وله شاهد من حديث ابن عمر، وآخر من حديث أبي سعيد».

(١) **الفَرَط**: هو الذي يتقدم الواردين لِيُصْلِح لهم الحياض وَالدِّلَاء ونحوها من أمور الاستسقاء، فمعنى «**فرط لكم**»: سابقكم إلى الحوض كَالْمُهَيِّئِ له. «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ٥٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٥/ ٩٤: ٤٠٤٢)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٩٥: ٢٢٩٦).

(٣) «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٩٦: ٢٢٩٦).

القصاص من نفسه ـ، ثم قال: «**ومن غُلِبَ عليه شيء فَلْيَسْأَلْنَا ندع له**»، فَأَوْمَأَتِ امرأة إلى لسانها فدعا لها، قالت عائشة ﵄: فلربما قالت لي: يا عائشة، أحسني صلاتك[(١)].

يوم الخطبة:

وكانت هذه الخطبة يوم الخميس على المشهور، وإليه ذهب الحافظ ابن كثير وابن حجر[(٢)]. ويدل على ذلك حديث ابن عباس ﵄ وفيه: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ، فقعد على المنبر، ثم قال: «**إنه ليس من الناس أحدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنتُ مُتَّخِذًا من الناس خليلًا لاتَّخَذْتُ أبا بكر خليلًا**»[(٣)].

وفي حديث جُندب ﵁ أن قوله هذا كان قبل أن يموت بخمس[(٤)]، فعلى هذا تكون الخطبة يوم الخميس؛ لأن وفاته ﷺ كانت يوم الاثنين، والخميس هو اليوم الخامس قبل يوم الوفاة.

ولعله وجد خفّةً بعد أن وقع عنده الاختلاف واللغط في أمر الكتابة فخرج، قال ابن كثير: ولعل خطبته هذه كانت عوضًا عما أراد أن يكتبه في الكتاب[(٥)].

وقال بعضهم كانت الخطبة يوم الأربعاء[(٦)]؛ لأن اليوم الذي

---

(١) «مسند أبي يعلى الموصلي» (١٢/ ٢٠٢). وقد سبق الكلام عليه في الصفحة السابقة.
(٢) انظر: «البداية والنهاية» (٨/ ٣٨)، «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٤٢).
(٣) «صحيح البخاري» (١/ ١٠٠ ـ ١٠١).
(٤) انظر: «صحيح مسلم» (١/ ٣٧٧: ٥٣٢).
(٥) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٨).
(٦) انظر: «فتح الباري» لابن رجب (٣/ ٣٨١).

يسبق اليوم الخامس من الوفاة هو يوم الأربعاء، والله أعلم.

وجاء يوم الخميس

من حرصه ﷺ على الوحدة والائتلاف أراد أن يكتب لأُمّته ما يرفع بعده الاختلاف؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوم الخميس وما يوم الخميس؟!، ثم بكى حتى بَلَّ دَمْعُهُ الحصى، فقال سعيد بن جبير: يا أبا عباس ـ وهي كنية لابن عباس ـ: ما يومُ الخميس؟ قال: اشْتَدَّ برسول الله ﷺ وَجَعُهُ، فقال: «**ائْتُونِي بِكَتِفٍ أَكْتُبْ لكم كتابًا**[1] **لا تَضِلُّوا بعده أبدًا**»، فقال عمر رضي الله عنه: إن النبي ﷺ قد غَلَبَ عليه الوَجَعُ، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قَرِّبُوا، يكتب لكم النبي ﷺ كتابًا لن تضلوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر، فتنازعوا، فقالوا: ما شأنه، أَهَجَرَ[2]؟ استفهموه؟

(١) **أَكْتُبْ لكم كتابًا**: أي: آمُرُ بالكتابة، نحو: كسى الخليفة الكعبة؛ أي: أمر بالكسوة. ويحتمل أن يكون على حقيقته. «عمدة القاري» للعيني (٢/ ١٧١).
وفي كتْبه عليه الصلاة والسلام شيئًا بيده الشريفة خلاف مشهور بين العلماء، والأكثرون على المنع. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤)، «مرقاة المفاتيح» (٦/ ٢٦٢٧).

(٢) **أَهَجَرَ** (بهمزة الاستفهام وبفتحات)، والمراد به هنا: ما يقع من كلام المريض الذي لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته. ووقوع ذلك من النبي ﷺ مستحيل؛ لأنه معصوم في صحته ومرضه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]، ولقوله ﷺ: «**إِنِّي لا أقول في الغضب والرضا إلا حقًّا**». وإذا عرف ذلك فإنما قاله مَن قاله مُنكِرًا على من توقف في امتثال أمره بإحضار الكتف والدّواة، فكأنه قال: كيف تتوقف؟ أَتَظُنُّ أنه كغيره يقول الهذيان في مرضه؟! امْتَثِلْ أمره وأَحْضِرْ له ما طلب فإنه لا يقول إلا الحق. قال القرطبي: وهذا أحسن الأجوبة. «فتح الباري» (٨/ ١٣٣).

وبهذا يتبين أن عمر رضي الله عنه ليس هو القائل لهذا القول، كما تزعم الرافضة، =

فذهبوا يَرُدُّونَ عليه(١)، فقال: «**دَعُونِي، فالذي أنا فيه خير مما تَدْعُونِي إليه**». فلما أكثروا اللَّغْوَ والاختلاف عند النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**قُوموا عَنِّي، ولا ينبغي عندي التنازع**». وأوصاهم بثلاث، قال: «**أَخْرِجُوا المشركين من جزيرة العرب، وَأَجِيزُوا الوَفْدَ(٢) بِنَحْوِ ما كنتُ أُجِيزُهُمْ**»، قال الراوي: وسكت عن الثالثة(٣) أو قال فنسيتُها(٤).

ماذا أراد عمر رضي الله عنه من تأخير الكتابة:

من الواضح أن عمر رضي الله عنه أراد الرفق بالنبي ﷺ والتخفيف عنه في مرضه ولم يرد مخالفته، وكان قوله: «حسبنا كتاب الله» مبنيًّا على قوله ﷺ في حجة الوداع: «**قد تركتُ فيكم مَا لَنْ تَضِلُّوا بعده إن اعْتَصَمْتُمْ به، كتاب الله**»(٥)، وعِلمِه أن الله تعالى قد أكمل دينه بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

= وإنما قاله بعض الصحابة رضوان الله عليهم ردًّا على عمر ومن مَعه. وقد جاءت جميع الروايات بنسبة لفظ «أَهَجَر» إلى بعض الحاضرين في البيت، دون تحديد لأشخاصهم، ولا وجود لرواية واحدة تنسب هذه الكلمة إلى عمر رضي الله عنه إلا في أوهام الرافضة، وقلوبهم الممتلئة حقدًا على صحابة رسول الله ﷺ.

(١) **يردّون عليه**: أي: يعيدون عليه مقالته ويستثبتونه فيها. وقد ورد في «المسند» (٣/ ٤٠٩) بلفظ: «فذهبوا يعيدون عليه».

(٢) **أَجِيزُوا الوفد**: أي: أعطوهم. والجائزة: العطية. «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٣٥).

(٣) واختلف في الثالثة، فقيل: هي الوصية بالقرآن. وقال المهلب وابن بطال: بل تنفيذ جيش أسامة. وقال القاضي عياض: يحتمل أنها قوله ﷺ: «**لا تتخذوا قبري وثنًا يعبد**»، فإنها ثبتت في «الموطأ» مقرونة بالأمر بإخراج اليهود، وقيل: هي قوله ﷺ: «**الصلاة وما ملكت أيمانكم**». «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٣٥).

(٤) «صحيح البخاري» (١/ ٣٤: ١١٤، ٤/ ٩٩: ٣١٦٨، ٦/ ٩: ٤٤٣١، ٧/ ١٢٠: ٥٦٦٩)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٢٥٧، ١٢٥٩: ١٦٣٧).

(٥) «صحيح مسلم» (٢/ ٨٩٠: ١٢١٨).

لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وأن تأخير الكتابة إلى أن يتعافى رسول الله ﷺ لا حرج فيه، قال القرطبي وغيره: كان حق المأمور أن يبادر للامتثال لكن ظهر لِعُمر رضي الله عنه مع طائفة أنه ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح فكرهوا أن يُكَلِّفُوه من ذلك ما يشق عليه في تلك الحالة، مع استحضارهم قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾(١) [الأنعام: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، ولهذا قال عمر: حسبنا كتاب الله.

وظهر لطائفة أخرى أن الأولى أن يكتب؛ لما فيه من امتثال أمره وما يتضمنه من زيادة الإيضاح.

ودلّ أمره ﷺ لهم بالقيام على أن أمره الأول كان على الاختيار، ولهذا عاش ﷺ بعد ذلك أيّامًا ولم يُعَاوِد أمرهم بذلك، ولو كان واجبًا لم يتركه لاختلافهم؛ لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة مَن خالف. وقد كان الصحابة يراجعونه في بعض الأمور ما لم يجزم بالأمر فإذا عزم امتثلوا(٢). ولو كان لازمًا لَأوصاهم به كما أوصاهم في تلك الحالة مشافهة بإخراج المشركين من جزيرة العرب وبإكرام الوفود وغير ذلك، قال العلامة السندي: «والظاهر أنه ما ترك الكتاب إلا لِأَنّه ما كان يتوقف عليه شيء من أمر الأمة من أصل الهداية أو دوامها، بل كان لزيادة

---

(١) المعنى: ما تركنا في القرآن من شيء بالعباد إليه حاجة إلا وقد بيَّناه: إما نصًّا، وإما دلالة، وإما مجملًا، وإما مفصلًا. وهذا التفسير مبني على أن المراد بالكتاب هو القرآن الكريم، وهو الذي اختاره الواحدي في «البسيط» (٨/ ١١٨)، والفخر الرازي في «التفسير الكبير» (١٢/ ٥٢٦)، والآلوسي في «روح المعاني» (٤/ ١٣٧). وذهب جماعة من المفسرين إلى أن المراد بالكتاب هو اللوح المحفوظ.

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩).

الاحتياط، وإلا لما تركه ﷺ مع ما جبل عليه من كرم طبعه»[١].

وقد اتفق العلماء على أن قول عمر: «حسبنا كتاب الله» من قوة فقهه ودقيق نظره، وفي تركه ﷺ الإنكار على عمر إشارة إلى تصويب رأيه[٢]، حيث ظهر للنبي ﷺ أن المصلحة في ترك الكتابة، أو نزل الوحي بذلك فيكون هذا من موافقات عمر رضي الله عنه[٣]، التي خصه الله بها، فهو مُحَدَّثُ - أي مُلْهَم - هذه الأمة[٤]؛ قال ﷺ: «**إنّ الله جعل الحق على لسان عمر**[٥] **وقلبه**»[٦]، وصاحب الرأي المسدّد، فكان رضي الله عنه يقترح أمورًا فينزل القرآن موافقًا لرأيه، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «ما نزل بالناس أَمْرٌ قَطُّ فقالوا فيه وقال فيه عمر، إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر»[٧].

ومن الجدير بالذكر أن مثل هذا التصرف قد وقع من علي بن أبي طالب رضي الله عنه أيضًا، حيث يقول: أمرني النبي ﷺ أن آتيه بِطَبَقٍ[٨] يكتب

---

(١) «حاشية السندي على البخاري» (١/ ٢٣).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١١/ ٩٠)، «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٣٤).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٢٠٩).

(٤) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ١٢)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٦٤).

(٥) وليس معنى ذلك أنه معصوم عن الخطأ، بل معناه أن الأصل في كلامه موافقة الحق، لكنه قد يجتهد فيخطئ، إلا أنه لا يبقى على خطئه، بل يرجع متى تبين له الحق.

(٦) «مسند أحمد» (٩/ ١٤٤: ٥١٤٥)، «سنن الترمذي» (٥/ ٦١٧: ٣٦٨٢)، «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٣١٣: ٦٨٨٩)، «المستدرك» للحاكم (٣/ ٩٣: ٤٥٠١)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لـ«المسند»، وابن حبان.

(٧) «سنن الترمذي» (٥/ ٦١٧: ٣٦٨٢) وقال: «حسن صحيح». «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٣١٨: ٦٨٩٥)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(٨) **الطَّبَقُ** (بفتحتين): عظم رقيق يفصل بين كل فَقارَيْن. [«القاموس المحيط» =

فيه ما لا تَضِلُّ أُمَّتُهُ مِن بعده، قال: فَخَشِيتُ أن تفوتني نَفْسُه ـ أي: يأخذه الموت قبل أن أحضر الطبق ـ، فقلتُ: إني أحفظ وَأَعِي. قال ﷺ: «**أُوصِي بالصلاة، والزكاة، وما ملكت أيمانكم**»(١).

فامتناعه ﷺ من إحضار الطبق إنما كان رفقًا بالرسول ﷺ، ودفعًا للمشقة عنه، وليس مخالفةً لأمره ﷺ. ولكن أهل الأهواء من عادتهم الكيل بمكيالين والوزن بميزانين، فإن كان الحق لهم ومَن يحبّون وفَّوا، وإن كان لغيرهم بخسوه حقه وغمطوه، فتراهم إذا تعلق الأمر بعمر ﷺ اتهموه حسدًا وحقدًا، وطعنوا فيه زورًا وبهتانًا، وإذا تعلّق بعَلِيّ ﷺ مجّدوه واعتبروه مَنْقَبَة، والله المستعان.

ماذا أراد النبي ﷺ أن يكتب؟

اختلف العلماء في الكتاب الذي همّ النبي ﷺ به، فقيل: أراد أن يكتب مجموع الوصايا التي أوصى بها بعد ذلك(٢).

= (ص٩٠٢)، مادة: (طبق)]، والمراد به هنا الكتف. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٢٠٨)، «عمدة القاري» (٢/ ١٧١).

(١) «مسند أحمد» (٢/ ١٠٥ : ٦٩٣)، «الأدب المفرد» للبخاري (ص٦٦ : ١٥٦). قال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٦٣): «رواه أحمد، وفيه نعيم بن يزيد، ولم يرو عنه غير عمر بن الفضل»، اهـ. وأورده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٢٠٨) وسكت عليه، وحسّنه أحمد شاكر في تحقيقه لـ«المسند» (١/ ٤٦٨)، مع أن نعيم بن يزيد تابعي مجهول، وذلك لأن من أصله أن أمر التابعين على الستر والسلامة حتى نجد فيهم جرحًا صريحًا، وهو أصل قد قرّره الإمام الذهبي في «ديوان الضعفاء» (ص٤٧٨) بقوله: «وأما المجهولون من الرواة فإن كان الرجل من كبار التابعين أو أوساطهم احتمل حديثه وتُلُقِّيَ بحسن الظن، إذا سلم من مخالفة الأصول وركاكة الألفاظ»، اهـ. وهذا يقتضي قبول حديثه؛ لأن نعيم بن زيد قال عنه الحافظ في «التقريب» (ص٥٦٥): «مجهول من الثالثة»؛ يعني: من أوساط التابعين.

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٣٤).

وقيل: أراد أن يكتب كتابًا ينص فيه على مهمات الأحكام ليرتفع الاختلاف. وقيل: بل أراد أن ينص على الخلافة بعده حتى لا يقع بينهم الاختلاف والفتن(١). ويؤيده أنه ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها في أوائل مرضه وهو عندها: «ادعِي لي أبا بكر، أباك وأخاك، حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى مُتَمَنٍّ ويقول قائل: أنا أَوْلَى؛ ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»(٢).

وروى عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ائتني بِدَوَاةٍ وَكَتِفٍ أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا**»، ثم وَلَّانَا قفاه، ثم أقبل علينا فقال: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»(٣).

وهذا نصّ صريح في الدلالة على ذلك، قال الحافظ ابن كثير: وهذا الذي كان يريد عليه الصلاة والسلام أن يكتبه قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه، (وهو خلافة أبي بكر رضي الله عنه)(٤).

وقال البيهقي: «إنما أراد ﷺ ـ ما حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله ـ أن يكتب استخلاف أبي بكر، ثم ترك كتابته اعتمادًا على ما عَلِم من تقدير الله تعالى ذلك، كما هَمَّ به في ابتداء مرضه حين قال: «**وَارَأْسَاهُ**»، ثم بدا له أن لا يكتب وقال: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»، ثم نَبَّهَ أُمَّتَهُ على خلافته، باستخلافه إياه في الصلاة حين عجز عن حضورها»(٥).

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٢٠٩)، «عمدة القاري» للعيني (٢/ ١٧١).
(٢) «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٥٧ : ٢٣٨٧).
(٣) «المستدرك» للحاكم (٣/ ٥٤٢ : ٦٠١٦)، وصحَّحه الذهبي.
(٤) «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٣٦).
(٥) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ١٨٤).

شرار الخلق عند الله

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما اشتكى النبي ﷺ ذَكَرَتْ بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها: مَارِيَةُ؛ وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما أَتَتَا أرض الحبشة، فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه، فقال: «**أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، ثم صَوَّرُوا فيه تلك الصُّوَرَ، أولئك شرار الخلق عند الله**»[(١)].

آخر صلاة صلّاها النبي ﷺ بأصحابه

وكان الرسول ﷺ يخرج إلى المسجد فيصلي بالناس حتى في مرضه، فعن أنس رضي الله عنه قال: «**خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه مُتَوَكِّئًا على أسامة مُرْتَدِيًا بثوب قُطن فصلى بالناس**»[(٢)].

وكان آخر ما صلى بالناس صلاة المغرب يوم الخميس، روى ابن عباس عن أمّه أم الفضل رضي الله عنها قالت: «**خرج إلينا رسول الله ﷺ وهو عَاصِبٌ رأسه في مرضه، فصلى المغرب، فقرأ بالمرسلات**[(٣)]، ثم ما صلّى لنا بعدها حتى قبضه الله»[(٤)].

وأما ما جاء في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن الصلاة الأخيرة التي صلاها النبي ﷺ بأصحابه في مرض موته كانت الظهر،

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ٩٠ : ١٣٤١)، «صحيح مسلم» (١/ ٣٧٥ : ٥٢٨).
(٢) «مسند البزار» (١٣/ ١٩٦ : ٦٦٥٤)، وصحَّحه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص٨٦٠).
(٣) «سنن الترمذي» (٢/ ١١٢ : ٣٠٨)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وحسَّنه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٥٣٣).
(٤) «صحيح البخاري» (٦/ ٩ : ٤٤٢٩).

فقال الحافظ العيني: يمكن الجمع بينهما بأن الصلاة التي حكتها عائشة ﵂ كانت في المسجد والتي حكتها أمّ الفضل كانت في بيته، كما روى النسائي: «صلَّى بنا رسول الله ﷺ في بيته المغرب فقرأ المرسلات، ما صلى بعدها صلاة حتى قُبِضَ ﷺ»(١)، ويحمل قولها: «خرج إلينا» على أنه خرج من مكانه الذي كان راقدًا فيه إلى الحاضرين في البيت، فصلى بهم، فتلتئم الروايات بذلك(٢).

والأقرب ـ والله أعلم ـ أن أم الفضل إنما قصدت آخر صلاة قبل انقطاعه ﷺ عن الإمامة؛ لشدة مرضه، أما خروجه ﷺ إلى المسجد في صلاة الظهر قبل وفاته بيوم أو يومين فكان عارضًا، وكان أبو بكر ﵁ هو الإمام، ثم صار مأمومًا «يقتدي بصلاة النبي ﷺ، ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر(٣)، وهو يُسمع الناس التكبير»(٤).

استخلاف أبي بكر ﵁ في الصلاة

ولما حضرت صلاة العشاء واشتدّ به الوجع جاء بلالٌ يُؤْذِنُهُ بالصلاة، «فثَقُلَ النبي ﷺ فقال: **«أَصَلَّى الناس؟»**. قالت عائشة: قلنا: لا، هم ينتظرونك. قال: **«ضَعُوا لي ماءً في المِخْضَبِ(٥)»**. قالت: ففعلنا، فاغتسل، فذهب لِيَنُوءَ ـ أي: ليقوم وينهض ـ فَأُغْمِيَ عليه، ثم

---

(١) «السنن الكبرى» للنسائي (٢/ ١٥: ١٠٥٩). وقال العيني في «نخب الأفكار» (٤/ ٥٦): «إسناده صحيح على شرط مسلم».
(٢) «عمدة القاري» للعيني (٦/ ٢٣).
(٣) «صحيح البخاري» (١/ ١٤٤: ٧١٣)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١٣: ٤١٨).
(٤) «صحيح البخاري» (١/ ١٤٣: ٧١٢).
(٥) **الْمِخْضَبُ**: شِبْهُ الْمِرْكَنِ، وهي إِجَّانَةٌ يُغسل فيها الثياب. «شرح السُّنَّة» للبغوي (١٤/ ٤٣).

أفاق، فقال ﷺ: «**أَصَلَّى الناس؟**». قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. قال: «**ضعوا لي ماءً في المِخْضَبِ**». قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عليه، ثم أفاق، فقال: «**أَصَلَّى الناس؟**». قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. فقال: «**ضعوا لي ماءً في المخضب**». فقعد فاغتسل، ثم ذهب لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عليه، ثم أفاق فقال: «**أَصَلَّى الناس؟**». فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. والناس عُكُوف في المسجد، ينتظرون النبي عليه الصلاة والسلام لِصلاة العشاء الآخرة، فقال ﷺ: «**مُرُوا أبا بكر فَلْيُصَلِّ بالناس**». فقالت عائشة: إن أبا بكر رجل أَسِيفٌ ـ أي: سريع البكاء والحزن ـ، إذا قرأ القرآن لا يَمْلِكُ دَمْعَهُ، فإذا قام في مقامك لم يُسْمِعِ الناس من البكاء، فَمُرْ عمر فَلْيُصَلِّ للناس. قالت: وما قلتُ ذلك إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأبي بكر أن يكون أوّل من قام مقام رسول الله ﷺ. فقال ﷺ: «**مُرُوا أبا بكر فَلْيُصَلِّ بالناس**». قالت: فراجعته مرتين أو ثلاثًا، وما حملني على كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إلّا أنه لم يقع في قلبي: أن يُحِبَّ الناس بعده رجلًا قام مقامه أبدًا، قالت: فقلتُ لحفصة: قولي: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يُسْمِعِ الناس من البكاء، فَمُرْ عمر فليصلّ بالناس؛ فَفَعَلَت حفصة، فقال رسول الله ﷺ: «**إنّكنّ لَأَنْتُنَّ صواحب يوسف**(١)**، مُرُوا أبا بكر فَلْيُصَلِّ للناس**». فأتاه الرسول ـ أي: الذي أرسله رسول الله ﷺ وهو بلال ـ فقال لأبي بكر: إن رسول الله ﷺ

---

(١) قال العلماء: وجه المشابهة: أنّ عائشة رضي الله عنها أضمرت ما سبق من قولها: «وما حملني على كثرة مراجعته...»، وأظهرت أنّه «رجل رقيق...» فأشبهت امرأة العزيز، التي استدعت النّسوة، وأظهرت إكرامهنّ بالضّيافة، وأضمرت أن يعذرنها في شغفها بحبّ يوسف إذا رأين حسنه وجماله، كما صرّحت بذلك في قولها: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]. «حدائق الأنوار» لبَحْرَق (ص٣٨٥).

يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا عمر صلّ بالناس، فقال له عمر: أنت أحقّ بذلك، فصلى أبو بكر تلك الأيام»[(١)].

واستمرّ أبو بكر رضي الله عنه يصلّي بالناس إلى تمام سبع عشرة صلاة، أولاها عشاء ليلة الجمعة، وآخرها صبح يوم الاثنين الّذي تُوُفِّيَ فيه رسول الله ﷺ، مع صلاة الظهر التي افتتحها قبل خروج النبي ﷺ[(٢)]. وهي المدة التي انقطع فيها النبي ﷺ عن المسجد لِشِدّة مرضه؛ قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «لم يخرج النبي ﷺ ثلاثًا»[(٣)]؛ أي: ثلاثة أيام.

هل صلى عمر بالناس قبل أبي بكر رضي الله عنهما

روى عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأسود رضي الله عنه قال: لما استُعِزَّ[(٤)] برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين، دعا بلال للصلاة، فقال ﷺ: «**مُرُوا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاس**». قال: فخرجتُ، فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائبًا، فقال: قُمْ يا عمر فَصَلِّ بالناس. فقام، فلما كَبَّرَ عُمَرُ سمع رسول الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلًا مُجْهِرًا ـ أي: صاحب جهرٍ ورفعٍ لصوته ـ، فقال رسول الله ﷺ: «**فأين أبو بكر؟ يَأْبَى الله ذلك والمسلمون، يَأْبَى الله ذلك والمسلمون**»[(٥)]. قال: فَبَعَثَ إلى

---

(١) «مسند أحمد» (٤٠/ ٦٨: ٢٤٠٦١)، «صحيح البخاري» (١/ ١٣٤: ٦٦٤، ١/ ١٣٩: ٦٨٧، ٦/ ١٢: ٤٤٤٥، ٩/ ٩٨: ٧٣٠٣)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١١: ٤١٨، ١/ ٣١٣: ٤١٨). مجموعًا ومنسّقًا.

(٢) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ١٩٧)، «إمتاع الأسماع» للمقريزي (٢/ ١٣٤).

(٣) «صحيح البخاري» (١/ ١٣٧: ٦٨١).

(٤) **استُعِزّ** (بضم المثناة وكسر المهملة وتشديد الزاي)؛ أي: اشتد به المرض وأشرف على الموت. «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ١٥٦).

(٥) قال الخطابي في «معالم السنن» (٤/ ٣٠٩): «لم يرد به النبي ﷺ نفي جواز الصلاة خلف عمر، فإن الصلاة خلف عمر رضي الله عنه ومن دونه من المسلمين =

أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس. قال عبد الله بن زمعة: قال لي عمر: وَيْحَكَ، ماذا صنعتَ بي يا ابن زمعة، والله ما ظَنَنْتُ حين أَمَرْتَنِي إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليتُ بالناس. قال: قلت: والله ما أمرني رسول الله ﷺ، ولكن حين لَمْ أَرَ أبا بكر رأيتُك أحق من حضر بالصلاة[١].

وفي رواية قال ابن زمعة: لما سمع النبي ﷺ صوتَ عمر خرج حتى أَطْلَعَ رَأْسَهُ ﷺ من حُجرته، ثم قال: «**لا، لا، لا، لِيُصَلِّ لِلنَّاسِ ابنُ أبي قحافة**» يقول ذلك مُغْضَبًا[٢].

فهذا الحديث يدل على أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي صلى بالناس صلاة العشاء أولًا حين ثقُل النبي ﷺ، ولم يستطع الخروج.

ولكن يخالفه ما جاء في الحديث السابق المتفق عليه عن عائشة رضي الله عنها أن بلالًا أتى أبا بكر رضي الله عنهما فقال له: «إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا عمر صلِّ بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك، فصلى أبو بكر تلك الأيام»[٣].

= جائزة، وإنما أراد به الإمامة التي هي دليل الخلافة والنيابة عن رسول الله ﷺ في القيام بأمر الأمة بعده».

(١) «مسند أحمد» (٣١/ ٢٠٣: ١٨٩٠٦)، «سنن أبي داود» (٧/ ٥٥: ٤٦٦٠)، «المستدرك» للحاكم (٣/ ٧٤٣: ٦٧٠٣) وصحَّحه، وسكت عنه الذهبي. وقال العراقي في «تخريج الإحياء»: «إسناده جيد»، وضعَّفه الأرنؤوط في تخريجه لأبي داود.

(٢) «سنن أبي داود» (٧/ ٥٧: ٤٦٦١). قال المنذري في «مختصر السنن» (٣/ ٢٦٥): «في إسناده: موسى بن يعقوب الزَّمْعي، قال النسائي: ليس بالقوي؛ وفي إسناده أيضًا: عبد الرحمٰن بن إسحاق، وقد تكلم فيه غير واحد، وأخرج له مسلم، واستشهد به البخاري»؛ وضعَّفه الأرنؤوط في تخريجه لأبي داود.

(٣) «صحيح البخاري» (١/ ١٣٩: ٦٨٧)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١١: ٤١٨).

ففيه التصريح بأن أبا بكر رضي الله عنه كان حاضرًا، وأن عمر رضي الله عنه امتنع عن الإمامة في وجوده.

وكذلك حديث سالم بن عبيد رضي الله عنه حيث يقول: «أُغْمِيَ على رسول الله ﷺ في مرضه، ثم أفاق، فقال: **«أَحَضَرَتِ الصلاة؟»**. قالوا: نعم. قال: **«مُرُوا بلالًا فَلْيُؤَذِّنْ، ومُرُوا أبا بكر فَلْيُصَلّ بالناس»**. ثم أُغْمِيَ عليه، فأفاق، فقال: **«أَحَضَرَتِ الصلاة؟»**. قالوا: نعم. قال: **«مُرُوا بلالًا فَلْيُؤَذِّنْ، ومُرُوا أبا بكر فَلْيُصَلّ بالناس»**. ثم أُغْمِيَ عليه، فأفاق، فقال: **«أَحَضَرَتِ الصلاة»**. قالوا: نعم. قال: **«مُرُوا بلالًا فليؤذن، ومُرُوا أبا بكر فَلْيُصَلّ بالناس»**. فقالت عائشة: إن أبي رجل أسيف، فإذا قام ذلك المقام يبكي، لا يستطيع، فلو أَمَرْتَ غيره. ثم أُغْمِيَ عليه، فأفاق، فقال: **«مروا بلالًا فليؤذن، ومُرُوا أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحبات يوسف»**. قال: فَأُمِرَ بلال فَأَذَّن، وَأُمِرَ أبو بكر فصلى بالناس»[(١)].

ثم إنه قد روى صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس: العباسُ[(٢)] وابن عباس[(٣)] وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم[(٤)]، وليس في شيء منها أن عمر رضي الله عنه صلَّى أولًا ثم أتى أبو بكر رضي الله عنه فصلى بالناس، وهي كلها تُرجّح حديث عائشة رضي الله عنها المخرَّج في الصحيحين، وتدل على أن ما في الصحيح أصح.

ولو سلّمنا صحة حديث ابن زمعة فيمكن الجمع بينهما بأن يحمل

---

(١) «السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ٣٩٥)، «سنن ابن ماجه» (٢/ ٢٩٠: ١٢٣٤)، «صحيح ابن خزيمة» (١/ ٧٤٤: ١٥٤١)، وصحَّحه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ١٤٦)، والأرنؤوط في تحقيقه لابن ماجه.

(٢) انظر: «مسند الإمام أحمد» (٣/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤: ١٧٨٤).

(٣) انظر: «مسند الإمام أحمد» (٣/ ٤٨٨: ٢٠٥٥).

(٤) انظر: «مسند أحمد» (٣٢/ ٤٧٤: ١٩٧٠٠)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١٦: ٤٢٠).

ذلك على أن عامة الرواة اختصروا القصة، واكتفوا بذكر المقصود، ولم يذكروا إمامة عمر رضي الله عنه.

وأما قول ابن زمعة: «فجاء أبو بكر بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس»، فالظاهر أنه صلى الصلوات اللاحقة، لا أنه أعاد صلاة العشاء.

وقال بعضهم: إن الصلاة التي صُلِّيَتْ خلف عمر رضي الله عنه أُعِيدَتْ بعد مجيء أبي بكر رضي الله عنه فَصَلَّى الناس ثانيًا خلف أبي بكر[١]. وهذا بعيد، وإن صحّ فيحمل على أن عمر رضي الله عنه قطع صلاته ولم يتمّها؛ قال العلامة السهارنفوري: لعلّ عمر لما علم أنه ﷺ نهى عن تقدُّم غير أبي بكر لم يُتِم الصلاة ونقضها في أثناء الصلاة، ثم لما جاء أبو بكر صلَّى بالناس تمامًا[٢].

خروجه ﷺ إلى المسجد قبل يوم أو يومين من وفاته

كان النبي ﷺ في مرضه تارة يثقل فينقطع عن الناس، وتارة يخف به المرض فيخرج إليهم؛ قالت عائشة رضي الله عنها: ثم إن النبي ﷺ وجد من نفسه خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَى بين رجلين، أحدهما العباس ـ قال الراوي: والآخر علي بن أبي طالب ـ لِصَلاة الظهر؛ كأني أنظر رجليه تَخُطَّانِ من الوجع، فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حِسَّهُ فذهب يتأخر، فَأَوْمَأَ إليه رسول الله ﷺ قُمْ مَكَانَكَ، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان رسول الله ﷺ يُصَلِّي بالناس جالسًا وأبو بكر قائمًا، يَقْتَدِي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ وَيَقْتَدِي الناس بصلاة أبي بكر[٣].

---

(١) «عون المعبود» للعظيم آبادي (١٢/ ٢٧٢).

(٢) «بذل المجهود» للسهارنفوري (١٨/ ١٨٩).

(٣) «صحيح البخاري» (١/ ١٣٤: ٦٦٤، ١/ ١٣٩: ٦٨٧)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١١، ٣١٣: ٤١٨).

وكان ذلك إما يوم السبت، وإما يوم الأحد[١]. وخالف الحافظ ابن كثير فقال: وكان ذلك يوم الخميس، لا يوم السبت، ولا يوم الأحد، لما تقدم من خطبته ﷺ بعدها، ولأنه انقطع عنهم يوم الجمعة، والسبت، والأحد، وهذه ثلاثة أيام كوامل[٢].

والأصح هو الأول، وذلك لأنّ خروجه ﷺ لصلاة الظهر كان بعد انقطاعه عن المسجد، واستخلاف أبي بكر رضي الله عنه في الصلاة، كما صرّحت بذلك عائشة رضي الله عنها فقالت: «فصلّى بهم أبو بكر تلك الأيام، ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خِفَّةً فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس»[٣]. وكان انقطاعه ﷺ ثلاثة أيام، فتعيَّن أن يكون خروجه ﷺ في غير يوم الجمعة؛ أي: في ظهر السبت أو الأحد، والله أعلم.

أما آخر صلاة صلّاها الرسول ﷺ مع القوم فهي الفجر، كما سيأتي ذكره قريبًا.

بكاءُ فاطمة رضي الله عنها وضحكها

وكان أهله وأزواجه يعودونه وهو في بيت عائشة، وذات يوم زارته ابنته فاطمة فرحّب بها وأَسَرّ إليها شيئًا؛ حدّثت عائشة رضي الله عنها فقالت: (اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يُغَادِرْ منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: **«مَرْحَبًا بِابْنَتِي»**، ثم أَجْلَسَهَا عن يمينه أو عن شماله، ثم أَسَرَّ إليها حديثًا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فقلتُ

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ١٩٧).
(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٥٧).
(٣) «صحيح البخاري» (١/ ١٣٩: ٦٨٧)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١١: ٤١٨).

لها: لِمَ تَبْكِينَ؟ فلما رأى حزنها سَارَّهَا الثانية، فَضَحِكَتْ، فقلتُ: ما رأيتُ كَاليَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ من حزن، إن كنت لَأَظُنّ أنَّ هذه من أعْقَلِ نسائِنا، فإذا هي من النساء ـ أي: كعامة النساء، لا أعقلهن؛ لجمعها بين الفرح والحزن ـ؛ فسألتُها عما قال: فقالت: ما كنتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رسول الله ﷺ. حتى قُبِضَ النبي ﷺ فقلتُ لها: عَزَمْتُ عليك بما لي عليك من الحق لَمَا أخبرتِني. قالت: أما الآن فنعم. فأخبرتني، قالت: أَسَرَّ إِلَيَّ: «**إن جبريل كان يُعَارِضُنِي القرآن كل سنة مرة، وإنه عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، ولا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، فاتقي الله واصبري، فَإِنِّي نعم السلف أنا لكِ**». قالت: فبكيتُ بكائي الذي رأيت، فلما رأى جَزَعِي سَارَّنِي الثانية، فأخبرني أَنِّي أَوَّلُ أهل بيته أَتْبَعُهُ، وقال: «**يا فاطمة، أما تَرْضَيْنَ أن تكُونِي سَيِّدَةَ نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟!**» فَضَحِكْتُ[(١)] لذلك)[(٢)]. وفي رواية قالت: «ثم أَكْبَبْتُ عليه ـ أي: انحنيتُ عليه ـ الثانية، فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أوّل أهله لحوقًا به، وَأَنِّي سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران؛ فَضَحِكْتُ»[(٣)].

---

(١) اختلفت الروايات فيما سارّها به ثانيًا فضحكت، ففي رواية عروة عن عائشة أنه إخباره ﷺ إياها بأنها أول أهله لحوقًا به، وفي رواية مسروق عنها أنه إخباره إياها بأنها سيدة نساء أهل الجنة. وروى النسائي في «الكبرى» (٧/ ٣٩٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٤٠٢) من طريق أبي سلمة عن عائشة في سبب البكاء أنه ميت، وفي سبب الضحك الأمرين الآخرين: السيادة، وأنها أوّل لاحق به، وهو الأقرب، ويحمل الخلاف على أن كلًّا من الرّاويَيْن ذكر ما لم يذكره الآخر.

(٢) «صحيح البخاري» (٤/ ٢٠٤: ٣٦٢٣، ٣٦٢٦، ٨/ ٦٤: ٦٢٨٥)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٠٥: ٢٤٥٠)، «سنن الترمذي» (٥/ ٧٠٠: ٣٨٧٢).

(٣) «السنن الكبرى» للنسائي (٧/ ٣٩٢: ٨٣٠٨)، «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٤٠٢: ٦٩٥٢)، وهو صحيح.

قال الإمام النووي: هذه معجزة ظاهرة له ﷺ بل معجزتان، فأخبر ببقائها بعده، وبأنها أول أهله لحاقًا به، ووقع كذلك[١].

ومن عجائب حبّ الصحابة للنبي ﷺ وإيثارهم الآخرة وسرورهم بالانتقال إليها أن تفرح فاطمة رضي الله عنها وتضحك لعلمها بقرب أجلها وسرعة لحاقها بالرسول ﷺ، وما أعذب الموت وأجمله إن كان بعده لقاء الحبيب ﷺ.

وصيّته ﷺ لعثمان رضي الله عنه

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «**وَدِدْتُ أَنَّ عندي بعض أصحابي**». قلنا: يا رسول الله، ألا ندعو لك أبا بكر؟ فَسَكَت، قلنا: يا رسول الله، ألا ندعو لك عمر؟ فَسَكَت، قلتُ: يا رسول الله، ألا ندعو لك عَلِيًّا؟ فَسَكَت، قلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: «**بلى**». قالت: فَأَرْسَلْنَا إلى عثمان، فجاء فَخَلا به، فجعل النبي ﷺ يُكَلِّمُهُ، وَوَجْهُ عثمان يَتَغَيَّرُ[٢]، فكان من آخر كَلام كَلَّمَهُ، أن ضَرَب مَنْكِبَهُ وقال: «**يا عثمان، إنّ الله عز وجل عسى أن يُلْبِسَكَ قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خَلْعِهِ، فلا تَخْلَعْهُ حتى تلقاني. يا عثمان، إنّ الله عسى أن يُلْبِسَكَ قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خَلْعِهِ، فلا تَخْلَعْهُ حتى تلقاني**»، قالها ثلاثًا[٣]، فلما كان يوم الدّار[٤] وَحُصِرَ فيها عثمان، قلنا: يا أمير المؤمنين، ألا تُقَاتِلُ؟ قال: لا، إنّ رسول الله ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ

(١) «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ٥).
(٢) «مسند أحمد» (٤٢/ ٥٢١ : ٢٥٧٩٧)، وصحّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.
(٣) «مسند أحمد» (٤١/ ١١٣ : ٢٤٥٦٦)، وصحّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.
(٤) **يوم الدَّار**: أي: يوم حُوصر عثمان رضي الله عنه في داره بالمدينة، وأراد الثُّوّار خلعه؛ فصبر حتى قتل رضي الله عنه.

عَهْدًا، وَإِنِّي صابرٌ نفسي عليه. قال قيس ـ راوي الحديث عن عائشة ـ: فكانوا يَرَوْنه ذلك اليوم[(١)].

كثرة استغفاره ﷺ في آخر حياته

وكان ﷺ في مرضه لا يفتر لسانه عن الذكر والاستغفار بحال من الأحوال.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أن يقول قبل موته: «**سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه**»، فقلتُ: يا رسول الله، إنك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به قبلَ اليوم. فقال: «**إن ربي عز وجل أخبرني أنّي سأرى عَلَمًا في أمتي، وأنّي إذا رأيتُ ذلك العَلَم أن أُسَبِّحَ بحمده وأستغفره، فقد رأيتُ ذلك**: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النصر: ١ ـ ٢]»[(٢)].

ورُوي عن أمّ سلمة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيئ إلا قال: «**سبحان الله وبحمده**» فقلت: يا رسول الله، إنك تُكْثِرُ من سبحان الله وبحمده، لا تذهب ولا تجيئ، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلتَ: سبحان الله وبحمده؛ قال: «**إني أُمِرْتُ بها**»، فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ...﴾ إلى آخر السورة[(٣)].

---

(١) «مسند أحمد» (٤٠/ ٢٩٧: ٢٤٢٥٣). وروى بعضه ابن ماجه في «سننه» (١/ ٨٢: ١١٣)، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ١٩): «هذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات»، اهـ. وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند وابن ماجه.

(٢) «مسند أحمد» (٤٢/ ٣٢٦: ٢٥٥٠٨)، «صحيح مسلم» (١/ ٣٥١: ٤٨٤).

(٣) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٧١١).

قال الزَّمَخْشَرِيّ: والأمر بالاستغفار مع التسبيح تكميلٌ للأمر بما هو قِوَامُ أمر الدين، من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية، وَلِيَكُونَ أمره بذلك مع عصمته لُطْفًا لِأُمَّتِه، وَلِأَنَّ الاستغفار من التواضع وهضم النفس فهو عبادة في نفسه[١].

كثرة نزول الوحي في الأيام الأخيرة من حياته ﷺ

وتتابع الوحي عليه قبل موته ﷺ؛ روى أنس بن مالك رضي الله عنه «أن الله عز وجل تَابَع الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته، حتى تُوُفِّيَ، وأكثر ما كان الوحي يوم تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ»[٢].

الاهتمام ببعث أسامة

وفي أثناء مرضه جاء المسلمون الّذين يخرجون مع أسامة رضي الله عنه يُوَدِّعُونَ رسول الله ﷺ وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورسول الله ﷺ يقول: «**أنْفِذوا بَعْث أسامة**». ودخلت أم أيمن رضي الله عنها فقالت: أيْ رسول الله، لو تركتَ أسامة يقيم في معسكره (بالجُرُف قرب المدينة) حتى تَتَماثل (للشفاء)، فإن أُسامة إن خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه. فقال: «**أَنفِذُوا بَعْثَ أُسامة**». فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد[٣].

ولكن تُوُفّي رسول الله ﷺ قبل أن يخرج الجيش إلى غايته، فبعثه أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ، فكان له الأثر الكبير في إحباط نوايا المتربصين بالمسلمين.

---

(١) «تفسير الزمخشري» (٤/ ٨١١).
(٢) «صحيح البخاري» (٦/ ١٨٢ : ٤٩٨٢)، «صحيح مسلم» (٤/ ٢٣١٢ : ٣٠١٦).
(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ١٩٠)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢/ ٥٦).

مقتل كذّاب اليمن

ادَّعى الأسودُ العَنْسِيُّ النُّبوّة باليمن قبل وفاة النبي ﷺ بأشهر، واستعان على ذلك بالسحر والشعوذة، فعَظُمت شوكتُه، وحارب المسلمين وفَتَك بهم، وقد أخبر النبي ﷺ أصحابه بزوال أمره فقال: «**بينا أنا نائم إذ أُوتِيت خزائن الأرض، فَوُضِعَ في يَدَيَّ سواران من ذهب، فَكَبُرَا عَلَيّ** ـ أي: عَظُم أثرهما وشقّا عَلَيّ ـ **وَأَهَمَّانِي، فَأُوحِيَ إِلَيّ أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فَأَوَّلْتُهُمَا الكَذَّابَيْن اللَّذَيْنِ أنا بينهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة**»[1].

وقد تحققت الرؤيا في حياة النبي ﷺ في حق الأسود العَنْسي؛ فقتله فَيْرُوز الدَّيلمي رضي الله عنه[2]؛ قال عُروة رحمه الله: أُصِيبَ الأسود قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة فأتاه الوحي فأخبر به أصحابه، ثم جاء الخبر إلى أبي بكر رضي الله عنه. وقيل: وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبي ﷺ[3].

قال ابن عمر رضي الله عنهما: أتى الخبرُ النبيَّ ﷺ من السماء الليلة التي قُتِل فيها الْعَنْسِيُّ لِيُبَشِّرَنَا فقال: «**قُتل العَنْسيُّ البارحة، قتله رجلٌ مبارَكٌ من أهل بيت مباركين**»، قيل: وَمَن قتله؟ قال: «**فَيروز، فاز فَيروز**»[4].

وأما صاحب اليمامة فهو مُسَيْلِمَةُ الكذّاب، وقد قُتِل في معركة اليمامة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) «صحيح البخاري» (٩/ ٤٢ : ٧٠٣٧)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٨١ : ٢٢٧٤).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ١٧١).
(٣) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٩٣).
(٤) «البداية والنهاية» (٩/ ٤٣٥).

تَصَدُّقه ﷺ بما عنده قبل يوم من وفاته

وكان النبي ﷺ من شدة توكُّله وثقته بربِّه لا يدّخر شيئًا لِغد، بل ينفق كل ما عنده، ويحرص على ألا يبقى في ذمته شيء.

روى سَمُرَة بن جُنْدُب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**إنِّي لَأَلِجُ هذه الغُرفة**(١) **ما أَلِجُهَا حينئذ إلّا خَشْيَةَ أن يكون فيها مال، فَأُتَوَفَّى ولم أُنْفِقْهُ**»(٢)؛ فتصدق عليه الصلاة والسلام يوم الأحد بدنانير بقيت عنده.

قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ في وَجَعِه الذي مات فيه: «**ما فَعَلَت الذهبُ؟**». قلتُ: هي عندي، قال: «**ائْتِينِي بها**»، فجئتُ بها، وهي بين التسع والخمس، فوضعها في يده، ثم قال بها ـ وأشار الراوي بيده ـ: «**ما ظن محمد بالله لو لَقِيَ الله عز وجل وهذه عنده**(٣)**، أَنْفِقِيهَا**»(٤). وفي رواية

---

(١) **الغُرْفَةُ** (بالضم): العِلِّيَّة (بكسر العين، والضم لغة فيه، وبتشديد اللام المكسورة وتشديد الياء)، وهي: الحجرة العُليا من البيت. [انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (١٦/ ٦١٦)، «تاج العروس» (٣٩/ ٩١)، مادة: (علو)].

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (٧/ ٢٦٩: ٧١٠٥). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٠)، والهيثمي في «المجمع» (٣/ ١٢٣): «إسناده حسن».
قلتُ: في إسناده جعفر بن سعد وخُبيب بن سليمان وأبوه، وفيهم جهالة؛ قال ابن القطّان ـ كما في «تهذيب التهذيب» (٢/ ٩٤) ـ: «ما مِن هؤلاء مَن يُعرف حاله ـ يعني: جعفر ومن فوقه ـ، وقد جَهِدَ المحدِّثون فيهم جُهدهم، وهو إسنادٌ يُروى به جملةُ أحاديث قد ذَكَرَ البزّار منها نحوَ المائة»، اهـ. إلا أن ابن حبان ذكر الرواة الثلاثة ـ أي: جعفرًا وخبيبًا وأباه سليمان ـ في «الثقات»، وأحاديثهم صالحة، ليس فيها ما يُنكر، ومن أجل ذلك حسّن طائفة منها جمع من المحدثين.

(٣) أي: أن حسن الظن به تعالى يقتضي أن لا يحبس الإنسان للغد أو لما بعد الموت. «حاشية السندي على المسند» (٤٠/ ٢٧١)، ط. الرسالة.

(٤) «مسند أحمد» (٤٢/ ٣١٤: ٢٥٤٩٢)، «صحيح ابن حبان» (٨/ ٨: ٣٢١٢)، =

قال: «**يا عائشة، اذهبي بالذَّهَب إلى عَلِيّ**»، ثم أغمي عليه، وشَغَلَ عائشة ما به ـ أي: من الوجع ـ، حتى قال ذلك مرارًا، كل ذلك يُغْمَى على رسول الله ﷺ، ويَشْغَلُ عائشة ما به، فبعث به إلى عليّ رضي الله عنه، فتصدق بها[١]. ولم يترك لنفسه وأهله منها شيئًا، مع أن بيته ﷺ لم يكن فيه دهن للمصباح يومئذ، ولم تر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حاجة إلى تذكيره بذلك.

وأعتق ﷺ قبل وفاته غلمانه كلهم، ويدل على ذلك قول عمرو بن الحارث رضي الله عنه: «ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا، ولا درهمًا، ولا عبدًا، ولا أمةً»[٢]، ورُوي أنه ﷺ أعتق في مرضه هذا أربعين نفسًا[٣].

الوصايا الأخيرة

أوصى النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام فقال: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحْسِنُ بالله الظن**»[٤].

وطَفِقَ ﷺ حين اشتدّ وجعه يطرح خَمِيصَةً[٥] له على وجهه، فإذا اغْتَمَّ ـ أي: احتبس نفسه ـ كَشَفَهَا عن وجهه، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله**

= وحسَّنه العراقي في «تخريج الإحياء» (ص١٥٩٥)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لهما.

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٦/ ١٩٨: ٥٩٩٠)، «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٢٣٩). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٢٤): «رجاله رجال الصحيح»، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٣٢٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٦/ ١٥: ٤٤٦١).

(٣) «الوفا بأحوال المصطفى» لابن الجوزي (ص٧٩٥)، «سبل الهدى والرشاد» (١٢/ ٢٥٠).

(٤) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٢٠٥: ٢٨٧٧).

(٥) **الخَمِيصة**: كساء أسود له أعلام يكون من صوف وغيره. «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٤٠٢).

على اليهود والنصارى، اتَّخَذُوا قبور أنبيائهم مساجد»، يُحَذِّرُ مثل ما صنعوا[(١)]؛ أي: يحذر أمته أن يصنعوا بقبره مثل ما صنع اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم.

وروى أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: «**أَدْخِلُوا عَلَيَّ أصحابي**»، فدخلوا عليه وهو مُتَقَنِّعٌ[(٢)] بِبُرْدَةٍ مَعَافِرِيٍّ[(٣)] فقال: «**لعن الله اليهود اتَّخَذُوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(٤)].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أمرني النبي ﷺ أن آتيه بِطَبَقٍ[(٥)] يكتب فيه ما لا تَضِلُّ أُمَّتُهُ مِن بعده، قال: فَخَشِيتُ أن تفوتني نَفْسُه ـ أي: يموت قبل أن أحضر الطبق ـ؛ قال: قلت: إني أحفظ وَأَعِي. قال ﷺ: «**أوصي بالصلاة، والزكاة، وما ملكت أيمانكم**»[(٦)].

وكانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حَضَرَهُ الموت: «**الصلاةَ وما**

---

(١) «صحيح البخاري» (١/ ٩٥: ٤٣٥)، «صحيح مسلم» (١/ ٣٧٧: ٥٣١).

(٢) **التَّقَنُّع**: هو تغطية الرأس وأكثر الوجه برداء أو غيره. «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٢٧٤).

(٣) **مَعَافِرِيّ**: ثياب منسوبة إلى موضع باليمن يقال له: مَعافر، وهو حيّ من همدان. «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ٥٩٥)

(٤) «مسند أبي داود الطيالسي» (٢/ ٢٥: ٦٦٩)، «مسند أحمد» (٣٦/ ١٠٨: ٢١٧٧٤). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٧): «رجاله موثقون»، وقال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٢/ ١٥٨): «إسناده جيد».

(٥) **الطَّبَقُ**: عظم رقيق يفصل بين كل فَقارَيْن. «القاموس المحيط» (ص٩٠٢)، مادة: (طبق)، والمراد به هنا: الكتف. انظر: «فتح الباري» (١/ ٢٠٨)، «عمدة القاري» (٢/ ١٧١).

(٦) «مسند أحمد» (٢/ ١٠٥: ٦٩٣)، «الأدب المفرد» للبخاري (ص٦٦: ١٥٦). وقد سبق تخريجه في (ص٧٦).

ملكت أيمانكم، الصلاةَ وما ملكت أيمانكم»، حتى جعل رسول الله ﷺ يُغَرْغِرُ بها صدره، وما يكاد يُفِيصُ بها ـ أي: ما يقدر على الإفصاح بها ـ لسانه[(١)].

إغماؤه ﷺ وعلاجه باللَّدُود

واشْتَدَّ مرضه ﷺ حتى أُغْمِيَ عليه، فتشاور نساؤه في لَدِّهِ[(٢)] فَلَدُّوهُ، فلما أفاق قال: «**ما هذا؟ أَفِعْلُ نساء جِئْنَ مِن هاهنا؟**»[(٣)]، وأشار إلى أرض الحبشة، وكانت أسماء بنت عُمَيس فيهن، فقالوا: كنا نَتَّهِمُ فيك ذاتَ الجنب[(٤)] يا رسول الله. قال: «**إنّ ذلك لَدَاءٌ ما كان الله ﷻ لَيَقْرَفُنِي به** ـ أي: ليبتليني به ـ، **لا يَبْقَيَنَّ في هذا البيت أحد إلا الْتَدَّ إلا عمّ رسول الله ﷺ**»؛ يعني: العباس، فلقد الْتَدَّتْ ميمونة يومئذ وإنها لَصَائمة؛ لِعَزْمَةِ رسول الله ﷺ[(٥)]. وكان الذي لَدُّوهُ به: العود الهندي،

---

(١) «مسند أحمد» (١٩/ ٢٠٩: ١٢١٦٩)، «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٧١: ٦٦٠٥)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لهما.

(٢) **اللَّدُودُ** (بفتح اللَّام): الدَّوَاء الَّذِي يصب من أحد جَانِبي فَم الْمَرِيض. «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٨٣). وقوله: في لَدّه: أي: في فعل ذلك بالمريض.

(٣) رواية: «**أَفِعْل**» بهمزة الاستفهام هي للطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥/ ١٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٥٥٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ١٤٠)، وهي الأقرب للصواب، والأوفق للسياق.

(٤) **ذات الجنب**: ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن، وينشأ منه حمى لازمة، وسعال، وضيق نفس، ووجع فاحش. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٤٨)، «شرح أبي داود» للعيني (٦/ ٢٩). وقد سبق بيانه مفصلًا.

(٥) «مسند أحمد» (٤٥/ ٤٦٠: ٢٧٤٦٩)، «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٥٢: ٦٥٨٧)، «المستدرك» للحاكم (٤/ ٢٢٥: ٧٤٤٦)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٨/ ١٤٨).

وشيء من وَرْسٍ[١] وقَطَرات زيت[٢]. وذلك يوم الأحد[٣].

والصحابة إنما فعلوا ذلك شفقة عليه ﷺ، وحملوا منعه على كراهية المريض للدواء؛ قالت عائشة رضي الله عنها: لَدَدْنَا النبي ﷺ في مرضه، فقال: «**لا تُلِدُّونِي**». فقلنا: كراهية المريض للدواء. فلما أفاق قال: «**لا يبقى أحد منكم إلا لُدَّ، غير العباس فإنه لم يشهدكم**»[٤].

وإنما أمر النبي ﷺ أن يُلَدَّ كل من في البيت تأديبًا لهم، حيث لَدُّوه بغير إذنه، وزجرًا من العودة لمثل ذلك، وتأديب الّذين لم يباشروا ذلك لكونهم لم ينهوا الّذين فعلوا بعد نهيه ﷺ أن يَلُدُّوهُ[٥].

مع صفية رضي الله عنها

كانت أمّ المؤمنين صفية رضي الله عنها تحبّ الرسول ﷺ حبًّا جمًّا، وتفديه بنفسها ومالها وكل ما تملكه، فلما مرض رسول الله ﷺ تمنّت أن يكون الوجع فيها بدلًا من رسول الله ﷺ؛ حدّث زيد بن أسلم رحمه الله فقال: اجتمع إلى رسول الله ﷺ نساؤه في الوجع الذي تُوُفِّيَ فيه، فقالت صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ: أَمَا والله يا نبيّ الله، لَوَدِدْتُ أن الذي بِكَ بِي؛ فَغَمَزْنَهَا أزواج النبي ﷺ، وَأَبْصَرَهُنَّ النبي ﷺ، فقال: «**مَضْمِضْنَ**». فَقُلْنَ: من أيّ شيء

---

(١) **وَرْس** (بفتح فسكون): نبت أصفر طيب الريح، يُصبغ به. «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٤٠٤).

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٢٣٥)، «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٢/ ٩١٧).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ١٩٠)، «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٤٣٦).

(٤) «صحيح البخاري» (٩/ ٧ : ٦٨٨٦)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٣٣ : ٢٢١٣).

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٤٧)، «إرشاد الساري» للقسطلاني (٨/ ٣٧٦).

يا نبيّ الله؟ قال: «**مِن تَغَامُزِكُنَّ بصاحبتكن، والله إنها لصادقة**»(١).

وحارت صفية رضي الله تعالى عنها فيمن ترجع إليه بعده ﷺ، فَأَتَت النبيّ ﷺ تستفسره وقد جزعت لفراقه عليه الصلاة والسلام؛ حدّث ذؤيب الخزاعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما حُضِرَ - أي: حضرته الوفاة - قالت صفية: يا رسول الله، لكلّ امرأة من نسائك أهلٌ يُلْجَأُ إليهم، وإنك أَجْلَيْتَ أهلي، فإن حَدَثَ حَدَثٌ فإلى مَن؟ قال: «**إلى عليّ بن أبي طالب**» رضي الله عنه(٢).

بكاء أم الفضل رضي الله عنها

عن أُمِّ الفضل بنت الحارث، وهي أُمُّ وَلَدِ العباس، أخت ميمونة، قالت: أتيتُ النبيَّ ﷺ في مرضه، فجعلت أبكي، فَرَفَعَ رأسه، فقال: «**ما يُبْكِيك؟**». قلت: خِفْنَا عليكَ، وما نَدْرِي مَا نَلْقَى مِن الناس بعدك يا رسول الله؟ قال: «**أَنْتُم الْمُسْتَضْعَفُونَ بعدي**»(٣).

دعاء الرسول ﷺ لأسامة بالإشارة

وكان أسامة رضي الله عنه قد عسكر بجيشه بالجُرُف قرب المدينة، فنزل المدينة ليعود رسول الله ﷺ، وذلك «يوم الأحد، ورسول الله ﷺ ثقيل

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ١٢٨). وحسَّن الحافظ ابن حجر إسناده في «الإصابة» (٨/ ٢١٢)، وهو مرسل.

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (٤/ ٢٣٠: ٤٢١٤). وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١١٣): «رجاله رجال الصحيح».

(٣) «مسند أحمد» (٤٤/ ٤٤٨: ٢٦٨٧٦). قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٤): «فيه يزيد بن أبي زياد، وضعفه جماعة».

قلتُ: هو مع ضعفه علق له البخاري وروى له مسلم مقرونًا، ومثله حسن الحديث في المتابعات والشواهد، ما لم تكن في روايته نكارة ظاهرة.

مَغْمُورٌ، وهو اليوم الذي لدّوه فيه، فدخل على رسول الله ﷺ وعيناه تَهْمِلَان، وعنده العباس والنساء حوله، فطأطأ عليه أسامة فَقَبَّلَهُ ورسول الله ﷺ لا يتكلم»[١]، فَدَعَا له بالإشارة؛ قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: «لما ثَقُلَ رسول الله ﷺ هَبَطْتُ وَهَبَطَ الناس المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أَصْمَتَ فلم يتكلم، فجعل رسول الله ﷺ يضع يديه عَلَيَّ ويرفعهما، فَأَعْرِفُ أنه يدعو لي»[٢].

الليلة الأخيرة

وفي الليلة الأخيرة لم يكن في بيت رسول الله ﷺ دهن للمصباح، فاستعارت عائشة رضي الله عنها الزيت من جارتها؛ قال سهل بن سعد رضي الله عنه: أمسى رسول الله ﷺ ليلة الاثنين في جَدِيدِ الموت ـ أي: في وجه الموت وطريقه ـ، فأرسلت عائشة بمصباح لها إلى امرأة من نسائها، فقالت: اهْدِي لنا في مصباحنا من عُكَّتِك السَّمْنَ، فإن رسول الله ﷺ أمسى في جَدِيدِ الموت[٣].

خِفّة المرض ونظرة الوداع الأخيرة

ولما كان اليوم الذي قبض فيه النبي ﷺ أحسّ بنشاط فكشف السّتر ليرى أصحابه، فطابت نفسه برؤيتهم، وقرّت عينه بحالهم حين رآهم

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ١٩٠)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢/ ٥٦).

(٢) «مسند أحمد» (٣٦/ ٨٩: ٢١٧٥٥)، «سنن الترمذي» (٥/ ٦٧٧: ٣٨١٧)، وقال: «حديث حسن غريب»، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (٦/ ١٩٨: ٥٩٩٠). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٢٤): «رجاله رجال الصحيح». وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٣٢٢).

يُصَلّون جماعة في المسجد، صفوفهم متراصّة، وقلوبهم متّحدة، وبِرَبِّهم متعلقة، فتبسَّم ﷺ واستنار وجهه، فظنُّوا أنه بدأ يتعافى من مرضه، وسيتماثل للشفاء، وأنه سيعود إليهم فيصلِّي بهم، وينعمون برؤيته وصحبته، ففرحوا فرحًا شديدًا، يقول أنس بن مالك ﷺ: إن أبا بكر كان يصلي لهم في وَجَعِ رسول الله ﷺ، الذي تُوُفِّيَ فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صُفُوفٌ في الصلاة، فكَشَفَ رسول الله ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ، فنظر إلينا وهو قائم كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مصحف ـ أي: في حسنه وصفائه واستنارته ـ، ثم تَبَسَّمَ رسول الله ﷺ ضاحكًا، فَبُهِتْنَا ـ أي: دُهِشنا وتَحَيَّرنا ـ ونحن في الصلاة، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ ـ أي: كدنا أن نخرج من الصلاة ـ من الفرح برؤية النبي ﷺ، وَنَكَصَ ـ أي: رجع ـ أبو بكر على عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصف، وظنّ أن رسول الله ﷺ خَارِجٌ للصلاة، فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده أن أَتِمُّوا صلاتكم، ثم دخل رسول الله ﷺ فَأَرْخَى السِّتْرَ»[١].

وفي رواية عن أنس بن مالك ﷺ قال: «لم يَخْرُجِ النبي ﷺ ثلاثًا، فَأُقِيمَت الصلاة، فذهب أبو بكر يَتَقَدَّمُ، فقال نبي الله ﷺ بِالحِجَابِ فَرَفَعَهُ، فلما وَضَحَ وَجْهُ النبي ﷺ، ما نَظَرْنَا مَنْظَرًا كان أَعْجَبَ إِلَيْنَا من وجه النبي ﷺ حِينَ وَضَحَ لَنَا، فَأَوْمَأَ النبي ﷺ بِيَدِهِ إلى أبي بكر أن يَتَقَدَّمَ، وَأَرْخَى النبي ﷺ الحجاب، فَلَمْ يُقْدَرْ[٢] عليه حتى مات»[٣].

---

(١) «صحيح البخاري» (١/ ١٣٧ : ٦٨٠)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١٥: ٤١٩).

(٢) **يُقْدَرْ عليه**: قال العيني في «عمدة القاري» (٥/ ٢٠٥): «يُقْدَرْ: بضم الياء وفتح الدال بلفظ المفرد الغائب على صيغة المجهول، ويُروى: (فلم نقدر)، بفتح النون وكسر الدال، بلفظ المتكلم». وقال السندي في «حاشية المسند» (٢٠/ ٤٢٦): أي: فما قدرنا على مشاهدته ومطالعة جماله مرّةً ثانية.

(٣) «صحيح البخاري» (١/ ١٣٧ : ٦٨١)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١٥: ٤١٩).

وقال أنس رضي الله عنه في رواية أخرى: «آخِرُ نظرة نَظَرْتُهَا إلى رسول الله ﷺ كَشَفَ السِّتَارَة والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه، فأراد أبو بكر أن يَرْتَدَّ، فأشار إليهم أن امكثوا وألقى السّجْفَ[١]، وَتُوُفِّيَ من آخر ذلك اليوم، وذلك يوم الاثنين»[٢].

وهذا صريح في بقاء أبي بكر رضي الله عنه إمامًا يصلي بالناس إلى أن تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ.

صلاة الرسول ﷺ خلف أبي بكر

ثم وجد الرسول ﷺ خفّةً في الركعة الثانية، «فخرج في صلاة الصبح من يوم الاثنين، حتى وقف إلى جنب أبي بكر، فَصَلَّى خَلْفَهُ ركعة، فَلَمَّا سَلَّمَ أبو بكر أَتَمَّ رسول الله ﷺ الركعة الآخرة»[٣]. وبه جزم البيهقي[٤]، وأيّد ذلك الحافظ ابن رجب فقال: وقد صَحّ هذا المعنى عن عُبَيْدِ بن عمير، ورُوِي صريحًا من حديث عائشة وأمّ سلمة وأبي سعيد عن الواقدي[٥].

وقد ذكر صلاته ﷺ خلف أبي بكر كثير من أهل المغازي والسير، منهم: موسى بن عقبة، وهو أجلّ أهل المغازي، وذكر أن صلاته خلفه كانت صلاة الصبح يوم الاثنين، وهي آخر صلاة صلاها[٦].

---

(١) **السّجْف** (بفتح السين وكسرها وسكون الجيم): السِّتْرُ أو السِّتْرَانِ الْمَقْرُونَان بينهما فُرجة، أو كل باب سُتِرَ بِسِتْرَيْنِ مَقْرُونَيْنِ، مشقوق بينهما، فكل شِقٍّ منهما سجف. [«تاج العروس» (٢٣/ ٤١٤)، مادة: (سجف)].

(٢) «صحيح مسلم» (١/ ٣١٥: ٤١٩)، «سنن النسائي» (٤/ ٧: ١٨٣١).

(٣) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ١٩٧).

(٤) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ١٩٧).

(٥) «فتح الباري» لابن رجب (٦/ ١١٨).

(٦) «فتح الباري» لابن رجب (٦/ ٧٨).

ويدل عليه ما رواه أنس بن مالك ﷺ فقال: «آخر صلاةٍ صلّاها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوبٍ واحدٍ مُتَوَشِّحًا[١] به - يريد قاعدًا - خلف أبي بكر»[٢].

ورُوي هذا المعنى عن عائشة ﷺ أيضًا، فروى مَسْرُوقٌ عنها وكذلك شُعبة، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة ﷺ: «أن أبا بكر صَلَّى بالناس ورسول الله ﷺ في الصَّفِّ خَلْفَهُ»[٣].

وأما قول أنس ﷺ: «فَلَمْ يُقْدَرْ عليه حتى مات»؛ فهو محمول على أن المراد نفي الرؤية بعد هذه الصلاة، لا بعد هذه اللحظة، ومثل هذا الاختصار في الروايات كثير، والله أعلم. وسيأتي ذكر الخلاف فيه وأدلة كل فريق في بحث مفصل في آخر الكتاب[٤].

اللَّهُمَّ هل بلّغت

وكان مما قاله - حين كشف الستر - ما رواه ابن عباس ﷺ فقال: كشف رسول الله ﷺ السِّتَارَةَ، ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه،

---

(١) **مُتَوَشِّحًا به**: مُلْتَحِفًا به، والتَّوَشُّحُ: المخالفة بين طرفَي الثوب، بأن يأخذ طرف الثوب الأيسر من تحت يده اليسرى فيلقيه على منكبه الأيمن، ويلقي طرف الثوب الأيمن من تحت يده اليمنى على منكبه الأيسر، ثم يعقد طرفيهما على صدره. انظر: «إرشاد الساري» للقسطلاني (١/ ٣٨٨).

(٢) «سنن الترمذي» (٢/ ١٩٧ : ٣٦٣) وقال: «حديث حسن صحيح»، «سنن النسائي» (٢/ ٧٩: ٧٨٥)، «صحيح ابن حبان» (٥/ ٤٩٦ : ٢١٢٥)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(٣) «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ٧٧٧: ١٦٢٠، ١٦٢١)، «صحيح ابن حبان» (٥/ ٤٨٣ : ٢١١٧).

(٤) انظر: الملحق الأول (ص٢٤٧).

والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه فقال: «**اللَّهُمَّ هل بَلَّغْتُ**، ثلاث مَرَّاتٍ. **أيها الناس، إنه لم يبق من مُبَشِّرَاتِ النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو تُرَى له، ألا وإني نُهِيتُ أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فَعَظِّمُوا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فَقَمِنٌ** ـ أي: حقيق وجدير ـ **أن يُسْتَجَابَ لكم**»[1].

«**أيها الناس، سُعِّرَت النار، وأقبلت الفتن كَقِطَعِ الليل المظلم**[2]**، وإني والله لا تمسكون عَلَيّ بِشَيء، إني لا أُحِلُّ إلا ما أحل الله، ولا أُحَرِّمُ إلا ما حَرَّمَ الله، يا فاطمة بنت رسول الله، يا صَفِيَّة عَمَّة رسول الله، اعملا لما عند الله، إني لا أُغْني عنكما من الله شيئًا**»[3].

قال ابن حزم بعد أن ساقه من طريق ربيعة: «وهذا مرسل، إلا أن معناه صحيح؛ لأنه عليه السلام إنما أخبر في هذا الخبر بأنه لم يقل شيئًا من عند نفسه بغير وحي من الله تعالى به إليه، وأحال بذلك على قول الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]، فنصّ كتاب الله تعالى يقضي بأنّ كلّ ما قاله عليه السلام فهو عن الله تعالى»[4].

استئذان أسامة رضي الله عنه بالبقاء حتى الشفاء

ودعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد فقال: «**اغد على بركة الله والنصر والعافية، ثم أَغِر حيث أَمَرْتُكَ أن تُغِيرَ**». قال: بأبي أنت يا

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ٣٤٨: ٤٧٩).
(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٥٣).
(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٢٥٦). وفي سنده انقطاع، لكن له شواهد يتقوى بها.
(٤) «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم (٢/ ٧٧).

رسول الله، قد أصبحتَ مُفِيقًا، وأرجو أن يكون الله ﷻ قد عافاك، فَأْذَنْ لي فَأَمْكُثَ حتى يشفيك الله، فَإِنِّي إن خرجتُ على هذه الحال خرجتُ وفي نفسي قُرْحَةٌ من شأنك، وأكره أن أسأل عنك الناس. فسكت عنه رسول الله ﷺ[١].

اسْتِئْذَان الصّديق بالخروج إلى أهله

انصرف الصحابة ﵃ من صلاة الفجر وهم فرحون مستبشرون، يظنون أن رسول الله قد أفاق من وجعه، واستأذن أبو بكر ﵁ فقال: «يا نبي الله، إني أراك قد أصبحتَ بنعمةٍ من الله وفضل كما نُحِبّ، واليوم يوم بنت خارجة ـ إحدى زوجتيه ـ، أَفَآتِيهَا؟. قال: **نعم**»[٢]، ودخل أبو بكر على ابنته عائشة فقال: قد أصبح رسول الله ﷺ مُفِيقًا، وَأَرْجُو أن يكون الله ﷻ قد شفاه. ثم رَكِبَ فَلَحِقَ بِأَهْلِهِ بِالسُّنْح[٣]، وهنالك كانت امرأته حَبِيبَةُ بنت خارجة، وَانْقَلَبَتْ كُلُّ امرأة من نساء رسول الله ﷺ إلى بيتها وذلك يوم الاثنين[٤].

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٠٠)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٥٦٦).
(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٥٤).
(٣) **السُّنح** (بضم المهملة وسكون النون وتُضم): موضع في عوالي المدينة، فيه منازل بني الحارث بن الخزرج، وبينه وبين المسجد النبوي ميل، وسكن هناك أبو بكر لما تَزَوّج ابنة خارجة الأنصارية. «فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٢٩)، «عمدة القاري» (١٦/ ١٨٥).
وكانت منازل بني حارثة في جانب الحرة الشرقية المحاذي لوادي الشظاة، وموقعها الآن قريب من شارع سيدنا حمزة ﵁، مما يلي مسجد المستراح غربي مسجد الشيخين. «المساجد الأثرية» لمحمد إلياس.
(٤) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٠٠).

ولكن الأمر كان خلاف ظنِّهم، فما مضى إلا وقت يسير حتى «وُعِك عليه الصلاة والسلام أَشَدَّ الْوَعْكِ، واجتمع إليه نساؤه، وأخذ بالموت»[١]، «فَتُوُفِّيَ رسول الله ﷺ من يومه ذلك»[٢]، فتبين لهم أنه أرخى السّتر إلى الأبد فلن يخرج منه أبدًا، وأن نظرته كانت نظرة الوداع الأخيرة التي لن يراه صحبه وأحباؤه بعدها في الدنيا، وأن ابتسامته كانت ابتسامة الاستبشار بأن ما زرعه قد آتى ثماره، وأن أصحابه سيتبعون آثاره، ويبلّغون دين ربه من بعده. ولو فطن أصحابه لذلك لتفطرت قلوبهم من شدة الحزن والألم.

فراسة العباس بن عبد المطلب

حدّث عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وَجَعه الذي تُوُفِّيَ فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟. فقال: أصبح بحمد الله بارئًا. فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عَبْدُ العَصَا[٣]، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يُتَوَفَّى من وجعه هذا، إني لأَعْرِف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فَلْنَسْأَلْهُ فيمن هذا الأمر، إن كان فينا عَلِمْنَا ذلك، وإن كان في غيرنا عَلِمْنَاهُ فأوصى بنا. فقال عَلِيّ: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٠٠).

(٢) «صحيح البخاري» (١/ ١٣٧ : ٦٨٠)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١٥: ٤١٩).

(٣) قوله: **«أنت والله بعد ثلاث عبد العصا»**: هو كناية عَمَّنْ يصير تابعًا لغيره، والمعنى: أنه يموت بعد ثلاث، وتصير أنت مأمورًا عليك. وهذا من قوة فراسة العباس رضي الله عنه. «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٤٣).

(٤) «صحيح البخاري» (٦/ ١٢ : ٤٤٤٧).

قال العلَّامة ابن كثير: وقد رواه محمد بن إسحاق، عن الزهري، به، وقال في آخره: فَتُوُفِّيَ رسول الله ﷺ حين اشتدّ الضحى من ذلك اليوم. قلتُ ـ أي: ابن كثير ـ: فهذا يكون في يوم الاثنين يوم الوفاة، فَدَلَّ على أنه عليه الصلاة والسلام تُوُفِّيَ عن غير وصية في الإمارة[١].

الأعمال بالخواتيم

عن حذيفة رضي الله عنه قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو مريض في مرضه الذي مات فيه، وعَلِيٌّ قد أسنده إلى صدره، فقلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله كيف تجدك؟ قال: «**صالح**». قلت لِعَلِيٍّ: ألا تَدَعُنِي فَأُسْنِدَ رسول الله ﷺ إلى صدري، فإنك قد سَهِرْتَ وَأَعْيَيْتَ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا، هو أحق بذلك، يا حذيفة ادنُ مِنِّي**». فدنوت منه، فقال: «**يا حذيفة، من خُتم له بصوم يوم يبتغي به وجه الله أدخله الله الجنة. يا حذيفة، من خُتم له بصدقة على مسكين يبتغي به وجه الله أدخله الله الجنة. يا حذيفة، من خُتم له بلا إلٰه إلا الله مخلصًا أدخله الله الجنة**» قلت: بأبي وأمي، أُعْلِنُ أَمْ أُسِرُّ؟ قال: «**بل أَعْلِنْ**»[٢].

آخر الرجال عهدًا بالرسول ﷺ

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: والذي أحلف به، إن كان عَلِيّ لأقرب الناس عهدًا برسول الله ﷺ. عُدْنَا رسول الله ﷺ غداة وهو يقول: «**جَاءَ عَلِيٌّ؟**»، مرارًا، قالت: وأظنه كان بعثه في حاجة، فجاء بعد فظننتُ أن

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٩٦).

(٢) «مسند الشاميين» للطبراني (٣/ ٣٥١: ٢٤٤٩)، «ترتيب الأمالي» للشجري (١/ ٣٤: ١٠٣)، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٢٠٠).

له إليه حاجة، فخرجنا من البيت، فقعدنا عند الباب، فكنت من أدناهم إلى الباب، فَأَكَبَّ عليه عليّ ـ أي: مال برأسه عليه ولازمه ـ، فجعل يُسَارُّهُ وَيُنَاجِيهِ، ثم قبض رسول الله ﷺ من يومه ذلك، فكان أقرب الناس به عهدًا[١]؛ أي: من الرجال[٢].

أما آخر الناس عهدًا به فهي عائشة ﵂، كما سيأتي بيانه في محله.

استئذان مَلَك الموت للدخول عليه ﷺ

قال زين العابدين علي بن الحسين ﵀: لما مرض رسول الله ﷺ أتاه جبريل فقال: يا محمد، إن الله أرسلني إليك تكريمًا لك، وتشريفًا لك، وخاصةً لك، أسألك عما هو أعلم به منك، يقول: كيف تجدك؟ قال: «**أَجِدُنِي يا جبريل مغمومًا، وأَجِدُنِي يا جبريل مكروبًا**»، ثم جاءه اليوم الثاني، وقال له ذلك، فردّ عليه النبي ﷺ كما ردّ أول يوم، ثم جاءه اليوم الثالث فقال له كما قال أوّل يوم، وردّ عليه كما رد، وجاء معه مَلَكٌ يقال له إسماعيل على مائة ألف، كل مَلَك على مائة ألف ملك، استأذن عليه، فسأل عنه، ثم قال جبريل: هذا مَلَك الموت يستأذن عليك، ما استأذن على آدميّ قبلك[٣]، ولا يستأذن على آدمي بعدك،

(١) «مسند أحمد» (٤٤/ ١٩٠ : ٢٦٥٦٥)، «المستدرك» للحاكم (٣/ ١٤٩ : ٤٦٧١)، وصحّحه ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١١٢): «رجاله رجال الصحيح غير أم موسى، وهي ثقة».

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٣٩).

(٣) المقصود: لم يستأذن على أحدٍ قبلك في الدخول، أما التخيير فهو ثابت لجميع الأنبياء؛ كما في «صحيح البخاري» (٦/ ١٥ : ٤٤٦٣)، ومسلم (٤/ ١٨٩٤ : ٢٤٤٤) أن النبي ﷺ قال: «**إنه لم يُقْبَضْ نَبِيٌّ حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُخَيَّر**»؛ أي: بين الدنيا والآخرة.

فقال ﷺ: «**ائذن له**»، فَأَذِنَ له، فَسَلَّمَ عليه ثم قال: يا محمد، إنّ الله أرسلني إليك، فإن أَمَرْتَنِي أن أقبض روحك قبضتُه، وإن أمرتني أن أَتْرُكَهُ تركتُه. فقال: «**أَوَتَفْعَل يا مَلَك الموت؟**». قال: نعم، بذلك أُمِرْتُ. وأُمِرْتُ أن أُطِيعَكَ. فَنَظَرَ النبي ﷺ إلى جبريل، فقال له جبريل: يا محمد، إن الله قد اشتاق إلى لقائك. فقال النبي ﷺ لِمَلَكِ الموت: «**امضِ لما أُمِرْتَ به**»[(١)]. وزاد الطبراني: فقال له جبريل: هذا آخر وَطْأَتِي الأرضَ، إنما كنتَ حاجتي في الدنيا[(٢)].

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢١٠، ٢٦٧). أخرجه البيهقي في موضعين من طريقين: أما الأول فعن محمد بن علي بن الحسين، قال أبو منصور ابن عساكر في كتابه «الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (ص٨٠١) عنه: «حسن مرسل». وأما الموضع الثاني فأخرجه عن أبيه علي بن الحسين بسند فيه القاسم العُمَري، قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ١٦٦): «مرسل، وفي إسناده ضعف بحال القاسم العُمَري هذا، فإنه قد ضعّفه غير واحد من الأئمة، وتركه بالكلية آخرون»، اهـ. ورواه الطبراني أيضًا بسند قال فيه الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٥): «فيه عبد الله بن ميمون القداح، وهو ذاهب الحديث». ولكن أورده البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٢/ ٥٢٦) عن ابن أبي عمر وقال: «رجاله ثقات»، اهـ.

والخلاصة: أن سند الطبراني ضعيف جدًّا، وكذلك رواية القاسم بن عبد الله؛ لأنه متروك، وبعض طرق الحديث ضعيفة؛ للانقطاع، وبعضها مقبولة، قال الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١٢/ ٢٦٣): «رواه محمد بن يحيى وبقي بن مخلد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب موصولًا، ورجاله ثقات»، وأورد الحافظ ابن حجر طرقه في أجوبته على بعض الأسئلة المطبوعة مع «الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع» (ص١٠٧) وقال: «وإذا ضمت بعض هذه الطّرق إلى بعض عرفتَ أن للحديث أصلًا»، اهـ. وذكره الحافظ ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص١٥٩) وسكت عليه. وبهذا يتبين أن الحكم عليه بالوضع فيه تعسّف لا يخفى.

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (٣/ ١٢٩: ٢٨٩٠). قال السيوطي كما في «السيرة =

قال البيهقي: والمراد بقوله: إن الله اشتاق إلى لقائك؛ أي: أراد رَدَّكَ من دنياك إلى آخرتك لِيَزِيدَ في كرامتك، ونعمتك وَقُرْبَتِكَ[١].

فائدة:

جاءت تفاصيل أخرى في استئذان مَلَك الموت في حديث طويل عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٥٩ ـ ٦٤: ٢٦٧٦)، وعنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٧٣ ـ ٧٩) عن جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم مرفوعًا، وفيه قصة طلب عُكَّاشَةَ القصاص من رسول الله ﷺ، وخُرور أبي بكر رضي الله عنه مغشيًّا عليه عند استخلافه في الصلاة، وقدوم مَلَك الموت في صورة أعرابي، وغير ذلك، وقد ضربتُ عن ذكرها صفحًا؛ لأنها من كذب الوضّاعين، وألفاظ الحديث ظاهرة النكارة؛ قال ابن الجوزي عنه: «هذا حديث موضوع محال، كافأ الله مَن وضعه، وقبَّح من يشين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد، والكلام الذي لا يليق بالرسول ﷺ، ولا بالصحابة، والمتهم به عبد المنعم بن إدريس»[٢]، وقال الذهبي: «حديث موضوع، وأراه من افتراء عبد المنعم»[٣]، وكذا قال السيوطي[٤].

اهتمامه ﷺ بالسواك عند وفاته

ولما بدأ الاحتضار برسول الله ﷺ أحب أن يكون آخر عهده

= الحلبية» (٣/ ٤٩٨): «هو حديث ضعيف جدًّا، ولو صحّ لم يكن فيه معارضة؛ أي: لما ورد أنه ينزل ليلة القدر مع الملائكة يصلّون على كل قائم وقاعد يذكر الله؛ لأنه يحمل على أنه آخر نزوله بالوحي».

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٦٨).

(٢) «الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ٣٠١).

(٣) «العُلُوّ» للذهبي (ص٥١).

(٤) انظر: «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١/ ٢٥٧).

بالسواك، استعدادًا للقاء الله ﷻ، قالت عائشة ﵂: دَخَلَ عَلَيَّ عبد الرحمٰن بن أبي بكر، وبيده سواك رطب، وأنا مُسْنِدَةٌ رسولَ الله ﷺ إلى صدري، فَرَأَيْتُهُ ينظر إليه، وَعَرَفْتُ أنه يُحِبُّ السواك، فقلتُ: آخذه لك؟ فأشار برأسه: **«أن نعم»**، فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عليه، وقلتُ: أُلَيِّنُهُ لك؟ فأشار برأسه: **«أن نعم»**، فَقَصَمْتُهُ ـ أي: قطعته ـ ثُمَّ مَضَغْتُهُ، فَاسْتَنَّ ـ أي: استاك ـ به، فما رأيتُ رسول الله ﷺ اسْتَنَّ اسْتِنَانًا قط أحسن منه. قالت عائشة: فَجَمَعَ الله بين رِيقِي وَرِيقِهِ في آخر يوم من الدنيا، وأَوَّل يوم من الآخرة[(١)].

إنّ للموت سَكَرَات

وكان بين يديه ﷺ رَكْوَةٌ أو عُلْبَةٌ فيها ماء، فجعل يُدْخِلُ يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سَكَرَاتٍ**[(٢)]، **اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ**»[(٣)] ـ أي: شدائده وأهواله ـ. وجعل يَبْسُطُ رجلًا ويقبض أخرى، ويَبْسُطُ يدًا ويقبض أخرى[(٤)]. قالت عائشة ﵂: ما رأيت أحدًا أشدّ عليه الوجع من رسول الله ﷺ[(٥)]، فما أَغْبِطُ أحدًا بِهَوْنِ موت ـ أي: خِفّته وسهولته ـ بعد الذي رأيت من شدّة

---

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ٥: ٨٩٠، ٦/ ١٣: ٤٤٥١، ٤٤٤٩، ٦/ ١٠: ٤٤٣٨).
(٢) «صحيح البخاري» (٨/ ١٠٧: ٦٥١٠).
(٣) «مسند أحمد» (٤٠/ ٤١٥: ٢٤٣٥٦)، «سنن الترمذي» (٣/ ٢٩٩: ٩٧٨)، «المستدرك» للحاكم (٢/ ٥٠٥: ٣٧٣١)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وحسّنه ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٦٢).
(٤) «مسند أبي يعلى الموصلي» (٦/ ١١١: ٣٣٨٠). وقال محققه: «إسناده صحيح».
(٥) «صحيح البخاري» (٧/ ١١٥: ٥٦٤٦)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٩٠: ٢٥٧٠).

موت رسول الله ﷺ(١)، ولا أكره شِدَّةَ الموت لِأَحَدٍ أَبَدًا(٢).

وقال أنس رضي الله عنه: لما تَغشَّى رسولَ الله ﷺ الكرب كان رأسه في حِجر فاطمة فقالت فاطمة: واكرباه! لِكَرْبِكَ اليوم يا أبتاه! فرفع رأسه ﷺ وقال: «**لا كَرْبَ على أبيك بعد اليوم يا فاطمة، إنه قد حَضَرَ مِن أبيكِ ما ليس الله بِتَارِكٍ منه أحدًا، الْمُوَافَاةُ** - أي: الملاقاة - **يوم القيامة**»(٣).

ورُوي أنه قال لها: «**لا تبكي يا بُنَيَّةُ، قولي إذا ما متُّ:** ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، **فإن لكل إنسان بها من كل مصيبة مَعْوَضَةً**»، قالت: ومنك يا رسول الله؟ قال: «**وَمِنِّي**»(٤).

شِدّة بلاء الأنبياء

يشتدّ البلاء على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ رفعًا لدرجاتهم ومنزلتهم عند الله تعالى، روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في مرضه وهو يُوعَكُ وَعْكًا شديدًا، فَمَسِسْتُهُ بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لَتُوعَكُ وَعْكًا شديدًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أجل، إنِّي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رجلان منكم**»، فقلت: ذلك أنّ لك أجرين؟

---

(١) «سنن الترمذي» (٣/ ٣٠٠: ٩٧٩)، وصحَّحه الألباني في «مختصر الشمائل» برقم (٣٢٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٦/ ١٢: ٤٤٤٦). والمعنى: أنها لما رأت شدّة وفاته ﷺ علمت أن هون الموت وسهولته ليس من المكرمات، وإلا لَكَان ﷺ أولى الناس به. «تحفة الأحوذي» للمباركفوري (٤/ ٤٨).

(٣) «مسند أحمد» (١٩/ ٤٢٣: ١٢٤٣٤)، «سنن ابن ماجه» (٢/ ٥٥٢: ١٦٢٩)، «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٩٢: ٦٦٢٢)، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه لها. وأخرجه البخاري (٦/ ١٥: ٤٤٦٢) مختصرًا.

(٤) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٣١٢)، «فتح الباري» لابن حجر (٥/ ٣٦٢). وفي سنده الواقدي، وهو مرسل.

فقال رسول الله ﷺ: «**أجل**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى، مرض فما سواه، إلا حَطَّ الله له سيئاته، كما تَحُطُّ الشجرة ورقها**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو مَوْعُوكٌ، عليه قَطِيفَة(٢)، فوضع يده عليه، فوجد حرارتها فوق القطيفة، فقال أبو سعيد: ما أشد حُمَّاكَ يا رسول الله؟! قال: «**إنا كذلك، يَشْتَدُّ علينا البلاء، وَيُضَاعَفُ لنا الأجر**»، فقال: يا رسول الله، أَيُّ الناس أَشَدُّ بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثم الصالحون، وقد كان أحدهم يبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يُجوِّبُهَا** ـ أي: يقطع وسطها ليدخل رأسه فيه ـ **فيلبسها، وَيُبْتَلَى بالقمل حتى يقتله، وَلَأَحَدُهُمْ كان أَشَدَّ فرحًا بالبلاء من أحدكم بالعطاء**»(٣).

إدراكه ﷺ مع النبوة فضيلة الشهادة

واشتدّ عليه ﷺ أثر السُّم من الشاة التي أكلها في خيبر في السَّنة السابعة، حتى قال لعائشة رضي الله عنها: «**يا عائشة ما أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطعام الذي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فهذا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي**(٤) **من ذلك السُّم**»(٥).

---

(١) «صحيح البخاري» (٧/ ١١٥: ٥٦٤٧، ٧/ ١١٨: ٥٦٦٠)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٩١: ٢٥٧١).

(٢) **قَطِيفَة**: كِسَاء له خَمْل، يجعل دثارًا. «سبل الهدى والرشاد» (٧/ ٤٢). **والخَمْل**: الهُدْب، وهو الخيوط التي تكون في طرفيه.

(٣) «الأدب المفرد» للبخاري (ص١٧٩: ٥١٠)، «المستدرك» للحاكم (١/ ٩٩: ١١٩)، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٤) **الأَبْهَرُ**: عِرْقٌ إذا انقطع مات صاحبه؛ وهما أَبْهَرانِ يخرجان من القلب ثم يَتَشَعَّبُ منهما سائر الشَّرايين. [«لسان العرب» لابن منظور (٤/ ٨٣)، مادة: (بهر)].

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦/ ٩: ٤٤٢٨) معلقًا.

فجمع الله له بذلك إلى منصب النبوة مقام الشهادة، ولذلك كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «لَأَنْ أَحْلِفَ تسعًا أنّ رسول الله ﷺ قُتِلَ قتلًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِن أن أحلف واحدة أنه لم يُقتل، وذلك بأن الله جعله نبيًّا، وَاتَّخَذَهُ شهيدًا»[١].

وقال ابن إسحاق: فكان المسلمون يرون أن رسول الله مات شهيدًا، مع ما أكرمه الله به من النبوة[٢].

تخيير النّبيّ ﷺ عند قبضه

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «**إنه لم يُقْبَضْ نبيّ قطّ حتى يَرَى مقعده من الجنة، ثم يُخَيَّرُ**»[٣]. وفي رواية: سمعته يقول: «**ما من نبي يَمْرَضُ إلا خُيِّرَ بين الدنيا والآخرة**»، وكان في شكواه الذي قُبِضَ فيه، أخذته بُحَّةٌ[٤] شديدة، فسمعته يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩]، فَعَلِمْتُ أنه خُيِّرَ[٥].

وأَخْبَرَتْ رضي الله عنها أنها سَمِعَت النبي ﷺ وَأَصْغَتْ إليه قبل أن يموت، وهي مُسْنِدَتُهُ إلى صدرها، يقول: «**اللَّهُمَّ اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**»[٦].

---

(١) «مسند أحمد» (٦/ ٤١٨ : ٣٨٧٣)، «المستدرك» للحاكم (٣/ ٦٠ : ٤٣٩٤) وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٣٨).

(٣) «صحيح البخاري» (٨/ ١٠٦ : ٦٥٠٩)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٩٤ : ٢٤٤٤).

(٤) **البُحَّة**: غلظ في الصَّوْت وخشونة في الحلق. «عمدة القاري» للعيني (١٨/ ١٧٨).

(٥) «صحيح البخاري» (٦/ ٤٦ : ٤٥٨٦)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٩٣ : ٢٤٤٤).

(٦) «صحيح البخاري» (٦/ ١١ : ٤٤٤٠)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٩٣ : ٢٤٤٤)، =

قال الحسن البصري: لمّا كرهت الأنبياءُ الموتَ، هوَّن الله عليهم بلقاء الله، وبكلِّ ما أَحَبّوا من تحفةٍ أو كرامة حتّى إنَّ نَفْسَ أحدهم تُنْزَعُ من بين جنبيه وهو يُحِبُّ ذلك لما قد مُثِّلَ له(١).

المراد بالرفيق الأعلى:

والمراد بالرفيق الأعلى هو الله ﷻ على الراجح؛ إذ الرفيق اسم من أسماء الله تعالى؛ كما روت عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: **«يا عائشة، إن الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْق في الأمر كله»**(٢).

والأعلى أيضًا من أسمائه ﷻ، كما في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]؛ ويؤيده قوله ﷺ لأبي مُوَيْهِبَةَ عند تخييره بين الدنيا ولقاء الله: **«يا أبا مويهبة، لقد اخترتُ لقاء ربي والجنة»**(٣).

قال ابن علان الصديقي نقلًا عن «الحرز الثمين» للمُلّا علي القاري: «أما بالنسبة إليه ﷺ فالأولى أن يراد بالرفيق الأعلى فيه المولى أو وجه ربه الأعلى إذا ثبت أن هذا منه عليه الصلاة والسلام آخر كلامه»(٤).

وأما قوله ﷺ في مرضه: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩](٥)، وقوله: **«أسأل الله الرفيق**

= «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٨٥: ٦٦١٨).

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٣٥٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٩/ ١٦: ٦٩٢٧)، «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٠٣: ٢٥٩٣).

(٣) «مسند أحمد» (٢٥/ ٣٧٦: ١٥٩٩٧)، «المستدرك» للحاكم (٣/ ٥٧: ٤٣٨٣)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٤) «الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية» لابن علان الصديقي (٤/ ١٠١).

(٥) «صحيح البخاري» (٦/ ١٠: ٤٤٣٥)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٩٣: ٢٤٤٤).

الأعلى الْأَسْعَدَ، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل»[١]، فيجمع بينها بأن يقال: المراد بقوله ﷺ: «**ألحقني بالرفيق الأعلى**»: ألحقني بالله تعالى، في جملة الرفقاء الذين سَعِدوا بلقاء الله، وخُصّوا بالمكانة الرفيعة في أعلى الجنان، وهم الملائكة المقربون والمذكورون في آية النساء. والله أعلم.

وسيأتي ذكر الخلاف في معنى الرفيق الأعلى في بحث مفصل في آخر الكتاب[٢].

الرُّقْيَة تنفع مَن لم يحضره أجله

قالت عائشة رضي الله عنها: أُغْمِيَ على رسول الله ﷺ ورأسه في حِجري، فجعلتُ أَمْسَحُهُ وأدعو له بالشفاء، فلما أفاق قال ﷺ: «**لا، بل أسأل الله الرفيق الأعلى الْأَسْعَدَ، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل**»[٣].

وفي رواية قالت: لما مرض النبي ﷺ أخذتُ يده، فجعلتُ أُمِرُّهَا على صدره، ودعوتُ بهذه الكلمات: أَذْهِبِ البأس ربّ الناس. فَانْتَزَعَ يده من يدي، وقال: «**أسأل الله الرفيق الأعلى الْأَسْعَدَ**»[٤]. وقال لها: «**ارْفَعِي يَدَكِ فإنها كانت تنفعني في المدة**»[٥]؛ أي: أن الرُّقية تنفع مَن لم

---

(١) «السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ٣٩١: ٧٠٦٧)، «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٥٦: ٦٥٩١)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(٢) انظر: الملحق الثاني (ص٢٥٤).

(٣) «السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ٣٩١: ٧٠٦٧)، «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٥٥: ٦٥٩١)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(٤) «مسند أحمد» (٤١/ ٣٨١: ٢٤٨٩١)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(٥) «صحيح ابن حبان» (٧/ ٢٢٩: ٢٩٦٢). وقال الأرنؤوط في تحقيقه له: «إسناده حسن في الشواهد». وهو في الصحيح باختصار.

يحضره أجله. «ودعا بِالطَّسْتِ[١] ليبول فيها»[٢]، ثم بال فمات ﷺ[٣].

آخر كلمة تكلّم بها النبي ﷺ

قالت عائشة رضي الله عنها: لما نزل به ﷺ (الموت) ورأسه على فَخِذِي غُشِيَ عليه سَاعَةً ثم أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إلى السقف، ثم نَصَبَ يَدَهُ فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى، اللَّهُمَّ الرفيق الأعلى**»، [قالها ثلاثًا] حتى قُبِضَ وَمَالَتْ يده، قلتُ: إذًا لا يَخْتَارُنَا، وعرفتُ أنه الحديث الذي كان يُحَدِّثُنَا به، فَكَانَتْ تلك آخر كلمة تكلّم بها[٤].

وفي رواية قالت: وجدتُ رسول الله ﷺ يَثْقُلُ في حِجْرِي، فذهبتُ أَنْظُرُ في وجهه فإذا بَصَرُه قد شَخَصَ، وهو يقول: «**بل الرفيق الأعلى من الجنة**». فقلتُ: خُيِّرْتَ فَاخْتَرْتَ والذي بَعَثَك بالحق[٥]. فلما خَرَجَتْ نَفْسُهُ لم أجد ريحًا قط أَطْيَبَ منها[٦]. ومَالَ رَأْسُهُ نحو رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أنه

---

(١) **الطَّسْت** (بفتح الطاء وقد تكسر، وسكون السين): إناء من صُفر، وهي مؤنثة، وقد تذكر. [«لسان العرب» (٢/ ٥٨)، مادة: (طست)]. «الكواكب الدراري» للكرماني (٤/ ٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٤/ ٣: ٢٧٤١)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٢٥٧: ١٦٣٦)، «السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ١٥١: ٦٤١٨).

(٣) «الشمائل المحمدية» للترمذي (ص٣٢٨: ٣٨٧).

(٤) «صحيح البخاري» (٨/ ١٠٦: ٦٥٠٩، ٨/ ١٠٧: ٦٥١٠). وما بين المعكوفتين زيادة من رواية البخاري (٦/ ١٠: ٤٤٣٨).
والحكمة في اختتام كلامه ﷺ بهذه الكلمة كونها تتضمّن التّوحيد؛ أي: لدلالتها على قطع العلائق عن غيره تعالى حيث قصر نظره على طلب الرّفيق الأعلى. «منتهى السؤل» لعبد الله اللحجي (٤/ ٢٤٨).

(٥) «مسند أحمد» (٤٣/ ٣٦٨: ٢٦٣٤٨)، «السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ٣٩٠: ٧٠٦٥)، وحسّنه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٦) «مسند أحمد» (٤١/ ٣٩١: ٢٤٩٠٥). وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» =

يُرِيدُ من رأسي حاجة، فَخَرَجَتْ من فِيهِ نُطْفَةٌ ـ أي: قطرة ـ بَارِدَةٌ، فَوَقَعَتْ عَلَى ثُغْرَةِ نَحْرِي، فَاقْشَعَرَّ لها جلدي، فَظَنَنْتُ أنه غُشِيَ عليه فَسَجَّيْتُهُ ثوبًا[(١)]، فَمَا شَعَرْتُ أنه قد مات[(٢)].

فعائشة رضي الله عنها ـ رغم رؤيتها لكل القرائن الدالة على موته ﷺ، وقولها عندما علمت بتخييره: إذًا لا يَخْتَارُنَا ـ لا تكاد تصدق بوفاته عليه الصلاة والسلام من شدة حبها له، بل تُطَمْئِن نفسها بأنه غُشي عليه، وسيفيق. لكنها حين أدركت الحقيقة لم تتحمل الفاجعة، وفقدت وعيها، وأخذت تضرب نفسها؛ قالت رضي الله عنها: «فمن سَفَهِي وحداثة سِنِّي أن رسول الله قُبض وهو في حِجري، ثم وضعتُ رأسه على وسادة، وقمتُ أَلْتَدِمُ ـ أي: ألطم ـ مع النساء، وأضرب وجهي»[(٣)].

مَنْقَبَة عظيمة لأمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها

ودّع الرسول ﷺ الدنيا وهو في بيت عائشة أحبّ النساء إليه، ومُسْتَنِد عليها، فكانت تفتخر بذلك وتقول: «إنّ من نِعَمِ الله عَلَيّ: أن رسول الله ﷺ تُوُفّيَ في بيتي، وفي يومي، وبين سَحْرِي

= (٨/ ٧١): «إسناده صحيح على شرط الصحيحين».

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤٣/ ٣٥: ٢٥٨٤١)، وحسّنه الأرنؤوط في تحقيقه له. والثوب الذي سُجّيَ به هو ثَوْب حِبَرَةٍ، كما روى البخاري (٧/ ١٤٧)، ومسلم (٢/ ٦٥١) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) «صحيح البخاري» (٤/ ٣: ٢٧٤١)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٢٥٧: ١٦٣٦).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٤٣/ ٣٦٩: ٢٦٣٤٨)، وحسّنه الأرنؤوط في تحقيقه له. وانظر: «إرواء الغليل» (٧/ ٨٦).

ويجدر التنبيه هنا إلى أن هذا اللطم اليسير إنما صدر منها رضي الله عنها في حالة فقد الوعي من شدة الفاجعة، وكان خاليًا من الصُّرَاخ وَالنُّوَاح وَالعَوِيل، ومثل ذلك لا يؤاخذ المرء عليه؛ ففاقد الوعي معذور.

وَنَحْرِي(١)، وأن الله جمع بين رِيقِي وَرِيقِهِ عند موته»(٢).

وفي رواية قالت رضي الله عنها: مات في اليوم الذي كان يَدُورُ عَلَيَّ فيه، في بيتي، فقبضه الله وإنّ رأسه لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي، وخالط ريقُه ريقي؛ دخل عبد الرحمٰن بن أبي بكر ومعه سواك يَسْتَنُّ به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقلتُ له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمٰن؛ فأعطانيه، فَقَضَمْتُهُ، ثُمَّ مَضَغْتُهُ، فأعطيته رسول الله ﷺ فَاسْتَنَّ به، وهو مُسْتَنِدٌ إلى صدري(٣)، وتُوُفِّيَ وليس عنده أحدٌ غيري(٤).

يا لَهَا مِن نعمةٍ عظيمةٍ، ومِنَّةٍ جليلةٍ كريمةٍ، اختصها الله بها دون غيرها؛ ولله دَرُّ القائل على لسانها:

إنِّي خُصِصْتُ على نِساءِ مُحَمَّدٍ ... بِصِفاتِ بِرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعانـي
مَرِضَ النَّبِيُّ وماتَ بينَ تَرَائِبي(٥) ... فالْيَوْمُ يَوْمي والزَّمانُ زَماني(٦)

وبهذا يتبين خطأ من زعم أن النبيّ ﷺ مات ورأسه في حِجر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ إذ هو معارض للأحاديث الصحيحة الثابتة عن

---

(١) **السَّحْر** (بفتح المهملة ـ ويجوز ضمها كما في القاموس ـ وسكون الحاء المهملة): هو الصدر، وهو في الأصل: الرئة. **والنَّحْر** (بفتح النون وسكون المهملة) المراد به: موضع النحر، أعلى الصدر. والمعنى: أنّه ﷺ توفّي وهو مستند لصدرها ما بين جوفها وعنقها. وهذا لا يخالف حديثها أنه كان على فخذها؛ لأنه محمول على أنها رفعته من فخذها إلى صدرها. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٣٠، ١٩٣، ٨/ ١٣٩).

(٢) «صحيح البخاري» (٦/ ١٣: ٤٤٤٩).

(٣) «صحيح البخاري» (٦/ ١٣: ٤٤٥٠).

(٤) «السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ١٥١: ٦٤١٩). وإسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٥) **التَّرَائِب**: جمع تَرِيبة، وهي: موضع القِلَادة من صدر المرأة، وقيل: عظام الصدر. [«لسان العرب» (١/ ٢٣٠)، مادة: (ترب)].

(٦) «القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها» (ص٤٢).

عائشة رضي الله عنها في الصّحيحين وغيرهما، ومن ذلك: ما رواه جُمَيْع بن عُمير، أن أُمّه وخالته دَخَلَتَا على عائشة رضي الله عنها فَقَالَتَا: يا أم المؤمنين، أَخْبِرِينَا عن عَلِيّ. قالت: «أيَّ شيء تَسْأَلْنَ؟! عن رجلٍ وَضَعَ يَدَهُ من رسول الله ﷺ موضعًا فَسَالَتْ نفسُه[1] في يده فمسح بها وجهه»[2]؛ فهذا الحديث منكر، قال الحافظ ابن كثير: «وهذا منكر جدًّا، وفي الصحيح ما يَرُدُّ هذا»[3]، وقال البوصيري: «فيه جُميع بن عمير وهو ضعيف»[4]. وهو متّهم بالتشيّع؛ قال ابن حبان: رافضيّ يضع الحديث[5].

ومن ذلك أيضًا: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ لما ثَقُلَ وعنده عائشة وحفصة رضي الله عنهما؛ إذ دخل عَلِيٌّ رضي الله عنه، فلما رآه رفع رأسه، ثم قال: «**أُدْنُ مِنِّي**» فاستند إليه، فلم يزل عنده حتى تُوُفِّيَ ﷺ، فلما قضى قام عَلِيّ رضي الله عنه، وأغلق الباب»[6]. وهو حديث منكر، فيه يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف من جهة سوء حفظه، واختلاطه بأَخَرَة، ثم إنه شيعي؛ قال الحافظ ابن حجر: «ضعيف، كَبُر فَتَغَيّر وصار يتلقن، وكان شيعيًّا»[7]. فالظاهر أنه تلقن هذا الحديث من بعض الشيعة الوضّاعين، فمثله مظنة الموضوع؛ لأنه يُلَقّن الشيء فيتوهّم أنه من حديثه، فيحدّث به مع أنه ليس لذلك أصل.

---

(١) **النّفس في اللّغة**: الرّوح، يُقَالُ: خَرَجَتْ نَفْسُهُ؛ أي: روحه. ويطلق على الدم، يُقَالُ: سَالَتْ نَفْسُهُ؛ أي: دمه، وسمي الدم بذلك لأن النفس تخرج بخروجه، والحياة تنقطع بنزفه.

(٢) «مسند أبي يعلى الموصلي» (٨/ ٢٧٩: ٤٨٦٥).

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ٩٩).

(٤) «إتحاف الخيرة المهرة» للبوصيري (٧/ ١٩١).

(٥) «ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٤٢١).

(٦) «المعجم الكبير» للطبراني (١/ ٢٢٩: ٦٢٩).

(٧) «تقريب التهذيب» لابن حجر (ص٦٠١).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر جملة من الأحاديث الدالة على هذا المعنى وقال: «ما أخرجه الحاكم وابن سعد من طُرُق أن النبي ﷺ مات ورأسه في حِجر عليّ فكل طريق منها لا يخلو من شيعي فلا يلتفت إليهم»(١).

وعلى تقدير صحتها يُحمل على أنه كان في حِجره قبيل الوفاة(٢)؛ وذلك بأن يقال إن النبي ﷺ كان في حِجر عليّ رضي الله عنه حتى غُشي عليه، فظن أنه قد مات فخرج من عنده، ثم أفاق ﷺ فأَسْنَدَتْه عائشة رضي الله عنها بعده إلى صدرها، فقُبض عليه الصلاة والسلام(٣).

الثياب التي تُوُفّي فيها رسول الله ﷺ

مات عليه الصلاة والسلام وليس على جسده إلا الخشن المرقّع من اللباس؛ روى أبو بُردة رحمه الله قال: «أَخْرَجَتْ إلينا عائشةُ رضي الله عنها إزارًا غَلِيظًا وكِسَاءً مُلَبَّدًا(٤)، فقالت: في هذا قُبِضَ رسول الله ﷺ»(٥)؛ أي: في الكساء والإزار المذكورين، وأرادت رضي الله عنها أنّهما كانا لباسه ﷺ وقت مفارقته للدّنيا، مع ما فيهما من الرّثاثة والخشونة، فلم يَكْتَرِثْ ﷺ بزخرفة الدنيا، ولا بمتاعها الفاني، مع أنّ ذلك كان بعد فتح الفتوح وفي قوّة الإسلام وكمال سلطانه(٦).

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٣٩).
(٢) «جمع الوسائل» للملا علي القاري (٢/ ٢٠٦).
(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٣٩).
(٤) **الْمُلَبَّد**: الْمُرَقَّع، يُقَال: لَبَدْتُ الْقَمِيص أَلْبُدُهُ ولَبَّدْته، وَيُقَال للخرقة التي يرقع بهَا صدر الْقَمِيص: اللِّبْدَةُ. [«النهاية» لابن الأثير (٤/ ٢٢٤)، مادة: (لبد)].
(٥) «صحيح البخاري» (٤/ ٨٣: ٣١٠٨)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٦٤٩: ٢٠٨٠).
(٦) «منتهى السول على وسائل الوصول» للّحجي (١/ ٤٦٧).

وأما ما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب، في قميصه الذي مات فيه، وَحُلَّةٍ نَجْرانِيَّةٍ»، والْحُلَّةُ ثوبان[1]، فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به؛ لأن يزيد بن أبي زياد أحد رواته مجمع على ضعفه، لا سيما وقد خالف بروايته الثقات[2].

وأما ما ورد عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن «رسول الله ﷺ غسلوه وعليه قميصُه، يَصُبُّون الماءَ فوق القميص»[3]، فيمكن الجمع بينه وبين حديث أبي بُردة بأنه ﷺ نُزعت عنه ثيابه التي مات فيها وألبس القميص بعد وفاته.

الرسول ﷺ يفوح مسكًا، حيًّا وميّتًا

كان رسول الله ﷺ طيِّب الرائحة حيًّا وميّتًا، يفوح مسكًا وإن لم يمسّ طيبًا؛ يقول أنس رضي الله عنه: «ما شَمَمْتُ عنبرًا قط، ولا مسكًا، ولا شيئًا أَطْيَبَ من ريح رسول الله ﷺ»[4].

وفاحت رائحته الطيبة الزكية عند موته، حتى وجدها كل من دنا منه، قال حُمَيْد بن عبد الرحمٰن رحمه الله: «تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ وأبو بكر في طائفة من المدينة، فجاء فَكَشَفَ عن وجهه فَقَبَّلَهُ، وقال: فدًى لك أبي وأمي، ما أَطْيَبَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا»[5]. وحين لم يَرَ عليّ رضي الله عنه من النبي ﷺ ما يُرى من

---

(١) «مسند أحمد» (٣/ ٤١٤: ١٩٤٢)، «سنن أبي داود» (٥/ ٦٧: ٣١٥٣)، وضعَّفه ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٢١).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٧/ ٨).

(٣) «مسند أحمد» (٤٣/ ٣٣١: ٢٦٣٠٦)، «سنن أبي داود» (٥/ ٦٠: ٣١٤١)، «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٩٥: ٦٦٢٧)، وصحَّحه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٥٧٥).

(٤) «صحيح البخاري» (٤/ ١٨٩: ٣٥٦١)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨١٤: ٢٣٣٠).

(٥) «مسند أحمد» (١/ ١٩٨: ١٨). قال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٩١): «رواه أحمد ـ وفي الصحيح طرف من أوله ـ ورجاله ثقات إلا أن حميد بن =

الميت عند غسله، صار يقول: «بِأَبِي وَأُمِّي، مَا أَطْيَبَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا»(١)، وقالت أمّ سلمة رضي الله عنها: وضعتُ يدي على صدر رسول الله ﷺ يوم مات، فَمَرَّ بي جُمَعٌ آكُلُ وأتوضأ، ما تذهب ريح المسك من يدي(٢).

قال الإمام الذهبي: والنبيّ ﷺ مُفَارِقٌ لِسَائِرِ أُمَّتِه، فلا يبلى، ولا تأكل الأرض جسده، ولا يَتَغَيَّرُ ريحه، بل هو الآن ـ وما زال ـ أطيب ريحًا من المسك(٣).

حيرة الصحابة واضطرابهم في أمر وفاة الرسول ﷺ

اشتدت الرَّزِيَّة والفَجِيعَة بموته ﷺ، «واضطرب المسلمون، فمنهم من دُهِش فخولط، ومنهم من أُقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتُقِل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية»(٤).

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إن رجالًا من أصحاب النبي ﷺ حين تُوُفِّيَ النبي ﷺ حَزِنُوا عليه، حتى كاد بعضهم يُوَسْوِسُ(٥)، قال عثمان: وكنت منهم، فبينا أنا جالس في ظل أُطُمٍ(٦) من الآطام مَرَّ عَلَيَّ

= عبد الرحمٰن لم يدرك أبا بكر»، اهـ. وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(١) «مسند أحمد» (٤/ ١٨٧: ٢٣٥٧)، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه.

(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢١٩)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٥٦٧).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٦١).

(٤) «لطائف المعارف» لابن رجب (ص١٦٠).

(٥) **يُوَسْوِسُ**: أي: يقع في الوسوسة بأن يقع في نفسه انقضاء هذا الدين، وانقضاء نور الشريعة الغراء بموته عليه الصلاة والسلام، ويذهل عن الحسّ من شدة الحزن. «مرقاة المفاتيح» للملا علي قاري (١/ ١١٤).

(٦) **أُطُم** ـ بضمتين، وقد يسكن الثاني ـ: بناء مرتفع، والجمع آطام، والآطام بالمدينة: حُصُون كانت لأهلها. انظر: «النهاية» لابن الأثير (١/ ٥٤)، مادة: (أطم)، «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٦٥).

عمر رضي الله عنه، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، فلم أَشْعُرْ أنّه مَرَّ ولا سَلَّمَ، فانطلق عمر حتى دخل على أبي بكر رضي الله عنه، فقال له: ما يعجبك أَنِّي مَرَرْتُ على عثمان فَسَلَّمْتُ عليه، فلم يرد عَلَيَّ السلام؟ وأقبل هو وأبو بكر رضي الله عنهما - أي: بعد أن تولى أبو بكر الخلافة -، حتى سَلَّمَا عَلَيّ جميعًا، ثم قال أبو بكر: جاءني أخوك عمر، فذكر أنه مَرَّ عليك، فسلّم فلم تَرُدَّ عَلَيهِ السَّلامَ، فما الذي حملك على ذلك؟ قال عثمان: ما فعلتُ. فقال عمر: بلى والله لقد فعلتَ، ولكنها عُبِّيَّتُكُمْ يا بني أمية. قال: قلتُ: والله ما شَعَرْتُ أَنَّكَ مَرَرْتَ بِي، ولا سَلَّمْتَ. قال أبو بكر رضي الله عنه: صدق عثمان[١].

أول داخل على النبي ﷺ بعد الوفاة

وأول من دخل عليه بعد موته عليه الصلاة والسلام عمر بن الخطاب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما، فأنكر عمر موته؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فَاسْتَأْذَنَا، فَأَذِنْتُ لهما، وَجَذَبْتُ إِلَيَّ الحجاب، فنظر عمر إليه، فقال: وَاغَشْيَاهْ، ما أشدّ غَشْيَ رسول الله ﷺ. ثم قاما، فلما دَنَوَا من الباب قال المغيرة: يا عمر مات رسول الله ﷺ، قال: كذبتَ بل أنتَ رجل تَحُوسُكَ - أي: تخالطك - فِتْنَةٌ، إن رسول الله ﷺ لا يموتُ حتى يُفْنِيَ الله عز وجل المنافقين»[٢].

إرجاف المنافقين

لما بلغ الناس خبر وفاة رسول الله ﷺ وقع منهم موقع الصاعقة،

(١) «مسند أحمد» (١/٢٠١: ٢٠). وقال الهيثمي في «المجمع» (١/١٤): «فيه رجل لم يُسَمَّ، ولكن الزهري وثقه وأبهمه»، وقال الأرنؤوط في تحقيقه للمسند: «رجاله ثقات رجال الشيخين غير الرجل الذي روى عنه الزهري، ووصف الزهري له بأنه من أهل الفقه تقوية لأمره وتوثيق له».

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٤٣/٣٥: ٢٥٨٤١)، وحسّنه الأرنؤوط في تحقيقه له.

وزلزل المؤمنون زلزالًا شديدًا، وحدثت ضجة كبيرة، وفرح المنافقون الذين كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويريدون أن يَشُقُّوا عَصَا المسلمين، فأظهروا الشقاق والنفاق، ومدوا الأعناق، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَرْجَفَ المنافقون، فقالوا: لو كان محمد نبيًّا لم يَمُت»(١).

موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه

اجتمع الناس في المسجد عند سماع الخبر، فخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إليهم وأخذ يخطب في الناس ـ وقد أخرجه الخبر عن وعيه ـ يقول: «إن رسول الله ﷺ لم يَمُتْ، ولكن ربّه أرسل إليه ـ أي: استدعاه ـ كما أرسل إلى موسى، فَمَكَثَ عن قومه أربعين ليلة، والله إني لأرجو أن يَعِيشَ رسول الله ﷺ حتى يَقْطَعَ أيدي رجال من المنافقين وَأَلْسِنَتَهُمْ يَزْعُمُونَ أن رسول الله ﷺ قد مات»(٢).

فقام العباس فقال لِعُمر: هل عند أحدٍ منكم عهد من رسول الله ﷺ في ذلك؟ قال: لا. قال: فإن رسول الله ﷺ قد مات، ولم يمت حتى حارب وسالم، ونكح وطَلَّقَ، وترككم على مَحَجّة واضحة(٣).

ولكنّ عمر لم يقتنع بكلام العباس، وظلّ مهتاجًا مندفعًا في كلامه.

---

(١) «الآثار» لأبي يوسف (ص٢١٤: ٩٥١).

(٢) «مسند أحمد» (٢٠/ ٣٣١: ١٣٠٢٨)، «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٢٩٧: ٦٨٧٥)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لهما.

(٣) أورده ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ١٤٦) وقال: «رواه ابن إسحاق وعبد الرزاق والطبراني»، وسكت عنه. ورواه الدارمي في «سننه» (١/ ٢٢٠: ٨٤). وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٢/ ٥٢٧): «رواه إسحاق ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، ورواه الطبراني من طريق ابن عيينة عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس عن العباس، فهو متصل صحيح الإسناد».

قال الحافظ ابن حجر: وهذه من موافقات العباس للصديق[١].

فإنّ الله ﷻ أيّدهما بالتّوفيق والسّداد، فلم يثبت أحد من المسلمين كثباتهما؛ قال ابن جماعة الكناني: عظم الخطب بموته ﷺ، ودهش جماعة من الصحابة، ولم يكن فيهم أثبت من العباس وأبي بكر رضي الله عنهما[٢].

وإن كان الناس لَمْ يَرْعَوُوا إلا لقول أبي بكر رضي الله عنه؛ حتى جاء العباس قبله فتكلم بنحو من كلامه، فما انتهى له أحد ممن ابتلي حتى جاء أبو بكر فانتهى الناس كلهم إلى قوله، وتفرقوا عن كلامه[٣].

ثبات أبي بكر الصديق رضي الله عنه وموقفه الحاسم

وكان أبو بكر رضي الله عنه رجل الساعة المطلوب، والجبل الرّاسي الذي لا يتزعزع، وكان عند أهله بالسُّنْح، بعوالي المدينة.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ فأصبح أبو بكر تلك الليلة، فجعل يرى الناس يَتَرَامَسُونَ[٤]، فأمر أبو بكر رضي الله عنه غلامه ليستمع ثم يخبره، فقال: سمعتُهم يقولون: مات محمد، فَاشْتَدَّ[٥] أبو بكر رضي الله عنه وهو يقول: وانقطاعَ ظهري![٦].

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٤٦).

(٢) «المختصر الكبير في سيرة الرسول» (ص١٤٤).

(٣) «سلوة الكئيب بوفاة الحبيب» لابن ناصر الدين (ص١٣).

(٤) **يَتَرَامَسُون**: يتخافتون. قال في «تاج العروس» (١٦/ ١٣٣): **الرَّمْس**: كِتْمانُ الخَبر، يقال: رَمَسَ عليه الخبر رَمْسًا، إذا لَوَاه وكَتَمه، ورَمَسْتُ الحديث: أَخْفَيْتُهُ وكَتَمْتُهُ، وأَصل الرَّمْسِ: السَّتْرُ والتَّغْطِيَةُ.

(٥) أي: اشْتَدَّ في حزنه.

(٦) «مسند الإمام الأعظم» لابن خسرو (٢/ ٩٠٩)، «الآثار» لأبي يوسف (ص٢١٤).

وقال سالم بن عُبَيْد ﷺ: أمسك الناس (حين سمعوا مقالة عمر)، فقالوا: يا سالم، انطلق إلى صاحب رسول الله ﷺ فَادْعُهُ. فأتيتُ أبا بكر وهو في المسجد فأتيته أبكي دَهِشًا ـ أي: متحيّرًا من الدهشة ـ، فلما رآني قال: أَقُبِضَ رسول الله ﷺ؟ قلتُ: إن عمر يقول: لا أسمع أحدًا يذكر أن رسول الله ﷺ قُبِضَ إلا ضربتُه بسيفي هذا؛ فقال لي: انطلق؛ فانطلقتُ معه، فجاء هو والناس قد دخلوا على رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس، أَفْرِجُوا لي، فَأَفْرَجُوا له(١).

قالت عائشة ﷺ: فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فَتَيَمَّمَ ـ أي: قصد ـ النبيَّ ﷺ وهو مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ(٢)، فقال: كيف تَرَيْنَ؟ فقلتُ: غُشِيَ عليه، فدنا منه فكشف عن وجهه فقال: يا غَشْيَاهُ! مَا أَكْوَنَ هَذَا الْغَشْيَ!(٣)، ثم كشف عن وجهه فعرف الموت(٤)، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات رسول الله ﷺ. ثم أتاه من قِبَلِ رأسه فَحَدَرَ فَاهُ(٥)، وَقَبَّلَ جبهته، ثم قال: وَانَبِيَّاهْ. ثم رفع رأسه،

---

(١) «الشمائل المحمدية» للترمذي (ص٣٣٨: ٣٩٧)، وصحّحه البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٢/ ٥٣٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٢/ ٧١: ١٢٤١). **والحِبَرَة**: وِزَان عِنَبَة، ثوب يَمَانيّ من قُطن أو كتان، مخطَّط. «عمدة القاري» (٨/ ١٤).

(٣) **مَا أَكْوَنَ هَذَا الْغَشْيَ**: هو بسكون الكاف وفتح الواو، بصيغة التعجب، وتكون «كان» تامة، بمعنى الوقوع؛ أي: ما أشد وقوع هذا الغشي. وفي المطبوع: «ما أكون هذا بغشي»، وأظنه تصحيفًا. والله أعلم.

(٤) «مسند أبي يعلى الموصلي» (٨/ ٣٧٠). وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٢/ ٥٣٣): «رواه أبو يعلى الموصلي وأحمد بن حنبل، ورواته ثقات»، اهـ. ومعناه في الصحيح.

(٥) **حَدَر فاه**: أي: أنزله من علوّ. **والحَدْرُ**: الحَطُّ مِن عُلْوٍ إلى سُفْل. [«تاج العروس» (١٠/ ٥٥٤)، مادة: (حدر)].

ثم حَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جبهته، ثم قال: وَاصَفِيَّاهْ. ثم رفع رأسه وَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جبهته وقال: وَاخَلِيلَاهْ[١]. فجعل يُقَبِّلُهُ ويبكي ويقول: بِأَبِي أنتَ وأمي يا نبي الله، طِبْتَ حَيًّا وميّتًا، والذي نفسي بيده لا يَجْمَعُ الله عليك مَوْتَتَيْنِ[٢]، أما الموتة التي كُتِبَتْ عليكَ فقد متَّها[٣]. وصدق الله ورسوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥][٤]. انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء، وهو النبوة، فعظمتَ عن الصّفة، وَجَلَلْتَ عن البكاء، ولو أنّ موتك كان اختيارًا منك ـ أي: لو خُيِّرنا فيه وفي فدائك ـ لَـجُدْنَا لموتك بالنّفوس،

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤٣/ ٣٥: ٢٥٨٤١)، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(٢) في معناه أقوال:

قيل: هو على حقيقته؛ أي: لا تكون لك في الدنيا إلا موتة واحدة، وأشار بذلك إلى الرد على من زعم أنه سيحيا فيقطع أيدي رجال من المنافقين؛ لأنه لو صح ذلك لَلَزِم أن يموت موتة أخرى، وهو أكرم على الله من أن يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره؛ كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وكالذي مَرّ على قرية. وهذا أوضح الأجوبة وأسلمها.

وقيل: أراد لا يموت موتة أخرى في القبر كغيره، إذ يحيا ليُسأل ثم يموت، وهذا أحسن من الذي قبله؛ لأن حياته ﷺ في القبر لا يعقبها موت، بل يستمر حَيًّا، والأنبياء أحياء في قبورهم حياة برزخية، لا تأكل أجسادهم الأرض. ولعلّ هذا هو الحكمة في تعريف الموتتين، ـ كما في إحدى روايات البخاري ـ حيث قال أبو بكر: «لا يذيقك الله الموتتين»؛ أي: المعروفتين المشهورتين الواقعتين لكل أحد غير الأنبياء. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ١١٤، ٧/ ٢٩).

(٣) «صحيح البخاري» (٢/ ٧١: ١٢٤١، ٥/ ٧: ٣٦٦٧). وانظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٢٧: ٣٧٠٢١).

(٤) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢١٥)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٥٦٤).

ولولا أنّك نهيتَ عن البكاء ـ أي: المصاحب للصّراخ والنّواح ـ؛ لأنفدنا عليك ماء العيون[١]. ثم وضع يديه على صُدْغَيْهِ، ووضع فَاه على جَبِينِه، فبكى حتى سال دُمُوعُه على وجه النبي ﷺ، ثم غَطَّى وجهه.

وخرج إلى الناس وهو يبكي[٢]، وعمر بن الخطاب يُكَلِّمُ الناس فقال: اجلس يا عمر؛ فأبى عمر أن يجلس. فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فلما تكلّم أبو بكر جلس عمر.

فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: أما بعد[٣]، أيها الناس، هل مع أحد منكم عهدٌ من رسول الله ﷺ؟ قالوا: لا[٤]. قال: فَمَن كان منكم يَعْبُدُ محمدًا ﷺ، فإن محمدًا قد مات، ومَن كان مِنكم يعبد الله فإن الله حَيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: والله لَكَأَنّ الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، فَتَلَقَّاهَا منه الناس كلهم، فما أَسْمَعُ بَشَرًا من الناس إلا يتلوها. فقال عمر رضي الله عنه: والله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكر تلاها فَعَقِرْتُ ـ أي: دُهشتُ وتحيرتُ ـ، حتى ما تُقِلُّنِي رجلاي، وحتى

---

(١) «الروض الأنف» للسهيلي (٧/ ٥٨٥). قال العراقي في «تخريج الإحياء» (ص١٨٥٥): «أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف».

(٢) «مسند أبي يعلى الموصلي» (٨/ ٣٧٠). وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٢/ ٥٣٢): «رواه أبو يعلى الموصلي وأحمد بن حنبل، ورواته ثقات».

(٣) «صحيح البخاري» (٥/ ٧: ٣٦٦٧ ـ ٣٦٦٨، ٦/ ١٤: ٤٤٥٤) مجموعًا ومنسّقًا.

(٤) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢١٥)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٥٦٤).

أَهْوَيْتُ إلى الأرض، حين سمعته تلاها علمتُ أن النبي ﷺ قد مات[١].

وبهذه الكلمات الموجزة، والآيات المحكمة التي تلاها الصديق رضي الله عنه خرج الناس من ذهولهم وحيرتهم، ورجعوا إلى صوابهم، واستيقنوا وفاة الرسول ﷺ، وأدركوا مصابهم.

وأظلمت المدينة بوفاة الرسول ﷺ وارتجّت بالبكاء

عندما تحقّقت وفاته ﷺ غرقت القلوب في بحر من الأحزان و«نَشَجَ[٢] الناس يَبْكُونَ»[٣]؛ فبكت أمهات المؤمنين، وبكت النساء، وبكى الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، يقول أبو ذُؤَيْبٍ الْهُذَلِيُّ الشاعر: قدمتُ المدينة ولِأَهلها ضَجِيجٌ بالبكاء، كضجيج الحجيج إذا أَهَلُّوا جميعًا بالإحرام، فقلت: مَهْ؟ ـ أي: ماذا حصل؟ ـ قالوا: قُبض رسول الله ﷺ[٤].

مات نبيّ الأمة، وخير البرية، وأحبّ الخلق إلى الله، مات الذي بمجالسته تطيب القلوب، وبالأخذ من علمه تستنير العقول، مات الذي كانت الأبصار تنعم برؤياه، والآذان تتشنّف بسماع جميل حديثه، وبذكره تتعطر الأفواه، مات الذي كان كلامه بلسمًا للروح ودواءً للنفوس، مات الشفيق الرحيم بأُمّته، مات شمس الحياة وبدرها، مات مَن كان للأيتام أبًا، وللأرامل عونًا وسندًا، مات الذي لم تغلق أبواب بِرّه وجوده يومًا على البائسين والمحتاجين.

دَعْ مُقْلتي تبْكي عَلَيْك بأدمُعِ ... إِنّ الْبكاء شِفَاء قلب الموجَعِ

(١) «صحيح البخاري» (٥/٦: ٣٦٦٧، ٦/١٤: ٤٤٥٤).

(٢) **نَشَجَ الباكِي**: إذا غُصَّ بالبُكاءِ فِي حَلْقِه من غير انْتحاب. [«القاموس المحيط» (ص٢٠٧)، مادة: (نشج)].

(٣) «صحيح البخاري» (٥/٧: ٣٦٦٨).

(٤) «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/١٦٤٩)، «الإصابة» لابن حجر (٧/١١١).

ودع الدُّمُوع تكفّ جفني في الْهوى | من غَابَ عَنهُ حَبِيبُه لـم يَهْجَع
وَلَقد بَكَيْتُ عَلَيْك حَتَّى رَقّ لي | من كَانَ قبلُ يلومني وَبكى معي[(١)]

وانتشر النبأ الفادح العظيم في الناس، فتفطّرت القلوب، وتوجّعت النفوس، وأظلمت على أهل المدينة أرجاؤها وآفاقها؛ قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «لَمَّا كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أَضَاءَ منها كلُّ شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلُّ شيء، وما نَفَضْنَا عن رسول الله ﷺ الأيدي وَإِنَّا لَفِي دفنه حتى أَنْكَرْنَا قلوبَنا»[(٢)]؛ أي: تغيّرت حالها بوفاة الرسول ﷺ، ولم تبق على ما كانت من الرّقّة والصّفاء؛ لانقطاع الوحي وبركة الصحبة[(٣)]، وفقدان ما كان يَمُدُّهُمْ به من النور والعلم والهداية والاطمئنان، وكان من أثر ذلك ما حكاه أُبَيُّ بن كعب رضي الله عنه فقال: «كُنّا مع رسول الله ﷺ وَإِنَّمَا وَجْهُنَا واحد[(٤)]، فلما قُبِض نَظَرْنَا هكذا وهكذا»[(٥)]؛ أي: تَفَرَّقَتِ المقاصد والمَهَامّ، فَيَمِيلُ مائلٌ إلى الدنيا، وآخر إلى غيرها[(٦)].

---

(١) «الوافي بالوفيات» للصفدي ٢١/ ١٩٧)، «سلوة الكئيب بوفاة الحبيب» لابن ناصر الدين (ص١٦٦).
(٢) «سنن الترمذي» (٥/ ٥٨٨: ٣٦١٨) وصحَّحه، «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٦٠١: ٦٦٣٤). قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ١٥٨): «إسناده على شرط الصحيحين».
(٣) «تحفة الأبرار شرح مصابيح السُّنَّة» للقاضي البيضاوي (٣/ ٥٣٢).
(٤) **وَإِنَّمَا وَجْهُنَا واحد**: أي: قصدُنا واحد وهو إقامة الدين وَإِعْلَاؤُهُ. «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (١/ ٤٩٩).
(٥) «سنن ابن ماجه» (٢/ ٥٥٤). وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٥٨): «إسناده على شرط مسلم إلا أنه منقطع بين الحسن وأبي بن كعب، يدخل بينهما عُتَيّ بن ضَمْرَة».
(٦) «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (١/ ٤٩٩).

حزن فاطمة رضي الله عنها وندبها

حين تحقّقت فاطمة رضي الله عنها وفاته ﷺ بكت وأخذت تَنْدُبُ أباها وتقول: «يا أَبَتَاهُ، أجاب ربًّا دعاه، يا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل نَنْعَاهْ»(١). وهو ندب مباح، ليس فيه تسخّط من قضاء الله وقدره.

ورُوي أنها رضي الله عنها ما رُئِيَتْ ضاحكةً بعد رسول الله ﷺ حتى ماتت، ومَكَثَتْ بعده ستة أشهر، إلا أنها تبسّمت يوم وفاتها؛ فرحًا بالنعش الذي صُنع لها، حيث إنه غُطّي بأعواد مُقَوّسة، يستر جسدها، فلا يراها أحد، وكان النعش قبل ذلك مجرد خشبة يوضع عليها الميت ثم يطرح عليه ثوب، فاستقبحت فاطمة رضي الله عنها أن يصف الثوب جسدها؛ رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: مَرِضَتْ فاطمة مرضًا شديدًا فقالت لأسماء بنت عُميس: ألا تَرَيْنَ إلى ما بَلَغْتُ، أُحْمَلُ على السرير ظاهرًا؟ فقالت أسماء: ألا لَعَمْرِي، ولكن أصنع لكِ نعشًا كما رأيتُ يُصنع بأرض الحبشة. قالت: فَأَرِنِيهِ. فَأَرْسَلَتْ أسماء إلى جرائد رطبة، فَقُطِّعَتْ وجُعلت على السَّرِيرِ نعشًا، وهو أولّ ما كان النعش، فَتَبَسَّمَتْ فاطمة، وما رأيتها مُبْتَسِمَةً بعد أبيها إلا يومئذ»(٢). وقالت: سَتَرَكِ الله كما سَتَرْتِنِي(٣).

تعزية الملائكة

ونزلت الملائكة من السماء تُعَزّي في وفاة الرسول ﷺ؛ روى

(١) «صحيح البخاري» (٦/ ١٥: ٤٤٦٢).
(٢) «المستدرك» للحاكم (٣/ ١٧٧: ٤٧٦٣). ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٥٦: ٦٩٣٠) عن أم جعفر، وحسّن الحافظ إسناد البيهقي في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٨٥).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٣٢).

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لما تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ عَزَّتْهُمُ الملائكة يسمعون الْحِسَّ ولا يرون الشخص، فقالت: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وَخَلَفًا من كل فائت، فَبِاللهِ فَثِقُوا، وَإِيَّاهُ فارجوا، فإنما المحروم من حُرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»(١).

هل عزّى الخَضِر(٢) عليه السلام؟

رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «لما قُبِض النبي ﷺ قعد أصحابه حِزانًا يبكون حوله، فجاء رجل طويل صبيح ـ أي: جميل ـ فصيح، في إزار ورداء، أَشْعَر المنكبين والصدر، فَتَخَطَّى أصحابَ رسول الله ﷺ حتى أخذ بِعِضَادَي(٣) الباب، فبكى على رسول الله ﷺ ساعة، ثم قال: إن في الله عَزَاءً من كل مصيبة، وَخَلَفًا من كل هالك، وعوضًا من كل ما فات، فإلى الله فأنيبوا، وإليه فارغبوا، فإنما المصاب من لم يَجْبُرْهُ الثواب. فقال القوم: أتعرفون الرجل؟ فنظروا يمينًا وشمالًا فلم يروا أحدًا، فقال أبو بكر: هذا الخَضِر أخو النبي ﷺ»(٤).

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٣/ ٥٩: ٤٣٩١)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٦٩)، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي. وخالفه البيهقي فضعَّفه، لكنه قبله بشاهده، فساقه في «دلائل النبوة» بإسنادين، ثم قال: «**هذان الإسنادان وإن كانا ضعيفين، فأحدهما يتأكد بالآخر، ويَدُلّك على أن له أصلًا من حديث جعفر**. والله أعلم».

(٢) **الخَضِر**: بفتح الخاء وكسر الضاد، ويجوز إسكان الضاد مع كسر الخاء وفتحها. «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ١٧٦).

(٣) هكذا في المطبوع، والأصل فيه التأنيث، قال الجوهري في «الصحاح» (٢/ ٥٠٩): «عِضَادَتا الباب: هما خَشَبتاه من جانبيه».

(٤) «المعجم الأوسط» للطبراني (٨/ ١٠٩ ـ ١١٠: ٨١٢٠) واللفظ له، «المستدرك» للحاكم (٣/ ٦٠: ٤٣٩٢). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» =

وهذه الرواية شديدة الضعف، لا يمكن الاستناد عليها، وقد روى الإمام الشافعي هذه التعزية دون أن يذكر الخَضِر عليه السلام[(١)]، قال الإمام النووي: وأما قصة تعزية الخَضِر عليه السلام فرواها الشافعي في «الأُمّ» بإسناد ضعيف إلا أنه لم يقل: «الخَضِر عليه السلام»، بل: «سمعوا قائلًا يقول» فذكر هذه التعزية، ولم يذكر الشافعي الخَضِر عليه السلام، وإنما ذكره أصحابنا وغيرهم[(٢)].

كنتُ أريدهما لِأَنظر إلى النبي ﷺ

عن القاسم بن محمد، أن رجلًا من أصحاب محمد ﷺ ذهب بَصَرُه، فَعَادُوهُ، فقال: كنتُ أُرِيدُهُمَا لِأَنْظُرَ إلى النبيّ ﷺ، فأمّا إذْ قُبِضَ النبيّ ﷺ فوالله ما يَسُرُّنِي أنّ ما بهما بِظَبْيٍ من ظِبَاءِ تَبَالَةَ[(٣)].

وتَبَالَةَ: واد ذو قرى ومياه ونخل، يقع جنوب شرقي الطائف على مسافة مائتي كيل؛ في تهامة عسير، وهي أيضًا بلدة[(٤)]، وقال ابن حجر:

= (ص١٨٥٥): «إسناده ضعيف جدًّا»، وقال الحافظ في «فتح الباري» (٦/ ٤٣٥): «في إسناده عَبَّاد بن عبد الصمد، وهو واهٍ».

قلت: قال العقيلي عن عبّاد هذا كما في «الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ١٨٨): «يروي عن أنس نسخة عامتها مناكير»، وقال ابن حبان كما في «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٦٩): «حدثنا عن أنس بنسخة أكثرها موضوعة».

(١) ومما يجدر التنبيه إليه: أن مسألة حياة الخضر عليه السلام من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم قديمًا وحديثًا. انظر: «تفسير القرطبي» (١١/ ٤١ ـ ٤٥)، «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ١٣٥)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٢/ ٢٥٠ ـ ٢٧١)، «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٤٣٤)، «الإصابة» لابن حجر (٢/ ٢٦٤ ـ ٢٨٢).

(٢) «المجموع» للنووي (٥/ ٣٠٥).

(٣) «الأدب المفرد» للبخاري (ص١٨٨). وفي سنده علي بن زيد مختلف فيه، روى له مسلم مقرونًا بغيره، وهو حسن الحديث في المتابعات والشواهد.

(٤) «المعالم الأثيرة في السُّنَّة والسيرة» (ص٦٩).

بفتح المثناة وتخفيف الموحدة، هي قرية بين الطائف واليمن بينهما ستة أيام، وهي التي يُضرب بها المثل؛ فيقال: أهون من تَبَالَة على الحَجّاج؛ وذلك أنها أول شيء وَلِيَه، فلما قرب منها سأل مَن معه عنها، فقال هي وراء تلك الأَكَمَة[١]، فرجع فقال: لا خير في بلد يسترها أَكَمَة[٢].

وقد رُوي عن عبد الله بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أنه لما مات النبي ﷺ قال: اللَّهُمَّ أَعْمِنِي حتى لا أرى شيئًا بعد حبيبي حتى ألقى حبيبي؛ فَعَمِيَ مكانَه[٣]، وذلك من شدة حبه لرسول الله ﷺ.

ولكنه لم يثبت عنه، حكاه عنه طائفة من المفسرين بغير إسناد، وهو حديث منكر، مناف لما أرشد إليه الرسول ﷺ من الدعاء بالعافية، وعدم دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله؛ روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تَدْعُوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا تُوَافِقُوا من الله ساعة يُسْأَلُ فيها عطاء، فَيَسْتَجِيب لكم»**[٤].

حزن العَضْبَاء ناقة رسول الله ﷺ ووفاتها

ذكر الإسفرائيني: أنّ العَضْبَاء ناقة رسول الله ﷺ لم تأكل ولم تشرب بعد وفاته حتى ماتت غمًّا عليه ﷺ[٥].

---

(١) **الأَكَمَة** (بِفَتَحَات): ما ارتفع من الأرض؛ كالتراب المجتمع، أو الهضبة الضخمة أو الجبل الصغير. انظر: «شرح القسطلاني» (٢/ ٢٤١).
(٢) «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٧٦).
(٣) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٧١).
(٤) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٣٠٤: ٣٠٠٩).
(٥) «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٣١٣). ولم أجدها مسندة؛ قال الملا علي القاري في «شرح الشفا» (١/ ٦٤٠): «قال الدلجي: وأما قصة العضباء فلم أدرِ من رواها».

هل مات الحمار يَعْفُور[١] جزعًا وحزنًا عليه ﷺ؟

عن أبي منظور قال: لما فتح الله على نبيه ﷺ خيبر أصابه من سهمه أربعة أزواج نِعَال، وأربعة أزواج خِفَاف، وعشر أَوَاق ذهب وفضة، وحمار أسود، ومِكْتَل، فَكَلَّمَ النبيُّ ﷺ الحمار فَكَلَّمَهُ الحمارُ، فقال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جَدِّي ستين حمارًا، كلهم لم يركبهم إلا نبيّ، ولم يبق من نسل جَدِّي غيري، ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنت أَتَوَقَّعُكَ أن تركبني، قد كنت قبلك لِرَجُلٍ يهودي، وكنت أَعْثُرُ به عمدًا، وكان يُجِيعُ بطني ويضرب ظهري. فقال له النبي ﷺ: قد سمّيتك يَعفورًا، يا يَعفور؛ قال: لبيك. قال: أَتَشْتَهِي الإناث؟ قال: لا. فكان النبي ﷺ يركبه لحاجته، فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل، فيأتي الباب فَيَقْرَعُهُ برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أَوْمَأَ إليه أن أَجِبْ رسول الله ﷺ، فلما قبض النبي ﷺ جاء إلى بئر كانت لِأَبِي الْهَيْثَمِ بن التِّيهَانِ فَتَرَدَّى فيها فصارت قبرَه؛ جزعًا منه على رسول الله ﷺ[٢].

وهذا الحديث منكر، أخرجه ابن حبان في «المجروحين» عند ترجمة محمد بن مَزْيَد، وقال: «هذا حديث لا أصل له، وإسناده ليس بشيء، ولا يجوز الاحتجاج بهذا الشيخ»[٣]؛ أي: بمحمدِ بن مَزْيَد الذي روى الحديث، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» وقال: «هذا

---

(١) **يَعْفُور**: اسم حمار النبي ﷺ. وهو ثابت عند أهل الحديث والسِّيَر من وجوه متعددة؛ منها: ما رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٤٥: ١٩٨٠٦) عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: «كانت ناقة النبي ﷺ تسمى العضباء، وبغلته الشهباء، وحماره يعفورًا، وجاريته خَضِرَةً»، وهو مرسل صحيح.

(٢) «المجروحين» لابن حبان (٢/ ٣٠٨)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/ ٤١).

(٣) «المجروحين» لابن حبان (٢/ ٣٠٩).

حديث مَوْضُوع فلعن الله واضِعَه؛ فإنه لم يقصد إلا القدح في الإسلام والاستهزاء به!»[١]، وقال أبو موسى المديني بعد تخريجه له: «هذا حديث منكر جدًّا، إسنادًا ومتنًا، لا أُحِلُّ لِأَحَد أن يرويه عَنِّي إلا مع كلامي عليه»[٢]، وحكم الذهبي ببطلانه في «ميزان الاعتدال»[٣]، وقال السيوطي في «اللآلئ المصنوعة»: موضوع[٤].

ثم إن المعروف عند أهل السِّيَر أن يعفورًا مات قبل ذلك؛ قال الواقدي: نَفَقَ يَعْفُور ـ أي: مات ـ مُنْصَرَف النبي ﷺ من حجة الوداع، وبه جزم النووي عن ابن الصلاح[٥].

تاريخ وفاته ﷺ

كانت وفاته ﷺ في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة بلا خلاف[٦].

وقال سليمان التَّيْمِيّ وأبو مِخْنَف والكلبي: تُوُفِّيَ ﷺ في الثاني من ربيع الأول[٧]، واعتمده الحافظ ابن حجر، وغلَّط غيره فقال: المعتمد ما قال أبو مِخْنَف، وكأنّ سبب غلط غيره أنهم قالوا مات في ثاني شهر

---

(١) «الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ٢٩٤).

(٢) «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٧/ ٣٢١).

(٣) انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٤/ ٣٤).

(٤) «اللآلىء المصنوعة» للسيوطي (١/ ٢٥٣).

(٥) «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٥٩).

(٦) «التمهيد» لابن عبد البر (٣/ ٢٦)، «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ١٠٠)، «سبل الهدى والرشاد» (١٢/ ٣٠٥).

(٧) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٥٦٨ ـ ٥٦٩)، «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٢٩).

ربيع الأول فَتَغَيَّرَتْ فصارت ثاني عشر، واستمرّ الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضًا من غير تأمل[١].

وجزم موسى بن عقبة والليث والخوارزمي بأنه ﷺ تُوُفِّيَ في أول يوم من ربيع الأول، ورجحه السُّهيلي فقال: وهذا أقرب في القياس[٢]؛ لأنه لا يلزم منه نقص ثلاثة أشهر متوالية، بل يكون شهران ناقصين وواحد كاملًا[٣].

وقال أبو الفضل العراقي: تُوُفِّيَ ثالث عشر شهر ربيع الأول[٤]. وأقرّه السّهيلي احتمالًا[٥]. وذلك يصحّ على جعل الشهور الثّلاثة كوامل.

والجمهور أن وفاته ﷺ كانت في الثاني عشر من الشهر[٦]، وهو مرويّ عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم وعمر بن علي بن أبي طالب رحمه الله[٧]. وجزم به إمام المغازي ابن إسحاق[٨]، قال الواقدي: «وهو الثَّبْتُ عندنا»، وجزم به محمد بن سعد الكاتب[٩]، والحافظ ابن حِبّان والنووي والذهبي[١٠]،

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٣٠).
(٢) «الروض الأنف» للسهيلي (٧/ ٥٧٩). وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٢٩).
(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٣٠).
(٤) «طرح التثريب في شرح التقريب» للعراقي (١/ ٢٥).
(٥) انظر: «الروض الأُنُف» للسهيلي (٧/ ٥٧٧).
(٦) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٢٩)، «سبل الهدى والرشاد» (١٢/ ٣٠٥)، «جمع الوسائل» للملا علي القاري (٢/ ٢٠٢).
(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٥٦٩).
(٨) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٣٥)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٥٦٩)، «عمدة القاري» للعيني (١٨/ ٦٠).
(٩) «البداية والنهاية» (٨/ ١٠٧).
(١٠) انظر: «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٣٧)، «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ١٠٠)، =

وصحّحه ابن الجوزي[١]، واختاره ابن كثير[٢]، وابن الملقن[٣]. وهو يوافق ٨ يونيو سنة ٦٣٣م[٤].

وأنكر ذلك السُّهيلي، واحتج بإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة تاسع ذي الحجة، ولا يمكن أن يكون يوم الاثنين موافقًا للثاني عشر من ربيع الأول بعده، سواء حُسبت الشهور كاملةً أم ناقصةً، أم بعضها كاملًا وبعضها ناقصًا[٥]، وأجاب عنه الحافظ ابن كثير بجواب حسن وقال عنه: هو **في غاية الصحة**، وهو أن هذا إنما وقع بسبب اختلاف رؤية هلال ذي الحجة في مكة والمدينة، فرآه أهل مكة قبل أولئك بيوم، وعلى هذا يتمّ القول المشهور، ولله الحمد والمنة[٦]. وبنحو ذلك أجاب الذهبي[٧].

ويؤيد هذا قول عائشة رضي الله عنها: «خَرَجْنَا مع رسول الله ﷺ لِخَمْسٍ بَقِينَ من ذي القعدة»[٨]؛ يعني: من المدينة إلى حجة الوداع. ويَتَعَيَّنُ أنه خرج يوم السبت، وليس كما زعم ابن حزم أنه خرج يوم الخميس؛ لأنه قد بقي أكثر من خمس بلا شك، ولا جائز أن يكون خرج يوم الجمعة؛ لأن أنسًا رضي الله عنه قال: «صلَّى رسول الله ﷺ الظهر بالمدينة أربعًا،

= «العبر في خبر من غبر» للذهبي (١/ ١١).

(١) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» لابن الجوزي (ص٥٩).

(٢) انظر: «الفصول في السيرة» لابن كثير (ص٢٢٠).

(٣) انظر: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (٢/ ٢٢).

(٤) انظر: «نور اليقين» للخضري (ص٢٤٣). ولكنه اختار أنه يوافق الثالث عشر من ربيع الأول.

(٥) انظر: «الروض الأُنُف» للسهيلي (٧/ ٥٧٨).

(٦) «الفصول في السيرة» لابن كثير (ص٢٢٠).

(٧) «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٥٧١).

(٨) «صحيح البخاري» (٢/ ١٧١: ١٧٠٩)، «صحيح مسلم» (٢/ ٨٧٦: ١٢١١).

والعصر بذي الحليفة ركعتين»[١]، فتَعَيّن أنه خرج يوم السبت لخمسٍ بَقِينَ، فعلى هذا إنما رأى أهل المدينة هلال ذي الحجة ليلة الجمعة[٢].

وعليه، فيكون غرة ذي الحجة عند أهل مكة يوم الخميس، وعند أهل المدينة يوم الجمعة، وكان وقوف عرفة واقعًا برؤية أهل مكة، ولما رجع إلى المدينة اعتبروا التاريخ برؤية أهل المدينة، وكان الشهور الثلاثة كوامل، فيكون أوّل ربيع الأول يوم الخميس، ويوم الاثنين الثاني عشر منه[٣].

واستبعد ذلك الحافظ ابن حجر فقال: هذا الجواب بعيد من حيث إنه يلزم توالي أربعة أشهر كوامل[٤]. والصواب أن هذا لا بُعد فيه؛ لأن تتابع النقص أو الكمال في الأشهر لا تحديد له في الشريعة، وإنما التحديد فيه عند أهل النجوم، والذي قالوه هو عدم توالي خمسة كاملة، لا أربعة. قال العلامة عليّ الأُجْهُوريّ ناظمًا لكلامهم[٥]:

لا يتوالى النقصُ في أكثر من   ثلاثةٍ من الشهور يا فَطِن
كذا توالي خَمْسَةٍ مُكَمَّلَةْ   هذا الصوابُ وسِواهُ أبطِلَه

وأما من زعم أن الأشهر الثلاثة في تلك السَّنة كانت ناقصة أو

---

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ١٣٨: ١٥٤٦)، «صحيح مسلم» (١/ ٤٨٠: ٦٩٠).
(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ١٠٩).
(٣) «جمع الوسائل» للملا علي القاري (٢/ ٢٠٢).
(٤) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٢٩).
(٥) «كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري» للشنقيطي (٨/ ٤١٦ ـ ٤١٧). وكذا قال العلَّامة ابن عابدين في «منحة الخالق» (٢/ ٢٨٨) نقلًا عن الشيخ عبد الباقي: «لا يتوالى خمسة أشهر على الكمال، كما لا يتوالى أربعة على النقص».

اثنين منها فهذا ليس عليه دليل صحيح، وقول سليمان التَّيْمِي رَحِمَهُ اللهُ ليس فيه حجة؛ لأنه مرسل، وقد عارضه مَن هو مثله، ثم إنه من المتفق عليه أن قول بعض أهل العلم لا يكون حجة على الآخرين.

وذكر الحافظ ابن رجب جوابًا آخر فقال: وأجيب عن هذا بجوابٍ حسنٍ، وهو أن ابن اسحاق ذكر أن النبيّ ﷺ تُوُفِّيَ لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول، وهذا ممكن فإن العرب تؤرخ بالليالي دون الأيام، ولكن لا تؤرخ إلا بليلة مضى يومها، فيكون اليوم تبعًا لليلة، وكل ليلة لم يمض يومها لم يعتد بها، كذلك إذا ذكروا الليالي في عدد فإنهم يريدون بها الليالي مع أيامها، فإذا قالوا: عشر ليال؛ فمرادهم بأيامها، وحينئذٍ فيوم الاثنين الذي توفي فيه النبي ﷺ كان ثالث عشر الشهر، لكن لما لم يكن يومه قد مضى لم يؤرخ بليلته، إنما أَرَّخُوا بليلة الأحد ويومها وهو الثاني عشر[١].

وقت الوفاة:

أما الوقت الذي تُوُفِّيَ فيه رسول الله ﷺ؛ فقال أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بينما المسلمون في صلاة الفجر لم يَفْجَأْهُمْ إلا رسول الله ﷺ «كشف سِتْرَ حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم صفوف، فتبسم يضحك، وَنَكَصَ أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ له الصف، فظن أنه يريد الخروج وَهَمَّ المسلمون أن يَفْتَتِنُوا في صلاتهم، فأشار إليهم أتموا صلاتكم، فأرخى الستر، وتُوُفِّيَ من آخر ذلك اليوم»[٢]. فهذا الحديث يدل على أن الوفاة وقعت بعد الزوال.

---

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب (ص١٦٠).

(٢) «صحيح البخاري» (١/ ١٥١: ٧٥٤).

وقال أكثر أهل السير: تُوُفِّيَ حين اشتدّ الضحى من يوم الاثنين في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة حين هاجر إليها[١]، وبه جزم ابن إسحاق[٢]، وصححه ابن رجب[٣].

وأما رواية البخاري فقال الذهبي عنها: وقوله: «وتُوُفِّيَ من آخر ذلك اليوم» غريب، إنما المحفوظ أنه تُوُفّي في أوائل النهار، قبل الظهر، يوم الاثنين[٤]. ومن أجل ذلك لم يذكر البخاري هذا اللفظ في باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، وهو موضعه المناسب، بل ذكره في باب لا يدل عليه. وقد وردت الرواية في الصحيحين بلفظ: «فَتُوُفِّيَ رسول الله ﷺ من يومه ذلك»[٥]. وهو الأصح.

وذهب الحافظ ابن حجر إلى الجمع بينهما فقال: ويجمع بينهما بأن إطلاق الآخر بمعنى ابتداء الدخول في أول النّصف الثاني من النهار وذلك عند الزوال، واشتداد الضّحى يقع قبل الزوال ويستمر حتى يتحقق زوال الشمس، وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمس وكذا لأبي الأسود عن عُروة، فهذا يؤيد الجمع الذي أشرت إليه[٦].

معرفة أهل الكتاب بيوم وفاة النبي ﷺ:

كان أهل الكتاب يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، بما

---

(١) انظر: «المختصر الكبير في السيرة» لابن جماعة (ص١٤٩)، «جمع الوسائل» للملا علي القاري (٢/ ٢٠٥).
(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٥٤).
(٣) «لطائف المعارف» لابن رجب (ص١٥٩).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦٢٠).
(٥) «صحيح البخاري» (١/ ١٣٧ : ٦٨٠)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١٥: ٤١٩).
(٦) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

يجدونه مكتوبًا عندهم في كتبهم من صفته ونعته، وبلده ومهاجره، ووقت ظهوره ومبعثه؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقد دلت الروايات الصحيحة أنهم كانوا يعرفون يوم وفاته أيضًا، **ومن ذلك:**

١ ـ ما رواه جرير بن عبد الله البَجَلِي رضي الله عنه قال: قال لي حَبْرٌ(١) بِالْيَمَنِ: إن كان صَاحِبُكُمْ نَبِيًّا فقد مات اليوم. قال جرير: «فمات يوم الاثنين ﷺ»(٢). والحبر قد علم ذلك بما وجده مكتوبًا عندهم في التوراة(٣).

٢ ـ وعن جرير رضي الله عنه قال: كنتُ باليمن، فلقيتُ رجلين من أهل اليمن، ذَا كَلَاعٍ، وَذَا عَمْرٍو(٤)، فجعلتُ أُحَدِّثُهُمْ عن رسول الله ﷺ، فقال له ذو عمرو: لَئِن كان الذي تَذْكُرُ من أمر صاحبك، لقد مَرَّ على أجَلِهِ مُنْذُ ثلاثٍ(٥). فَأقبَلْتُ، وَأقْبلا مَعِي حتى إذا كُنَّا في بعض الطريق، رُفِعَ لَنَا رَكْبٌ من قِبَل المدينة فسألناهم، فقالوا: «قُبِض رسول الله ﷺ،

---

(١) **الحَبْر** (بفتح الحاء وبكسرها): واحد أحبار اليهود، وهو العالم. «الكواكب الدراري» (١٨/ ٦٩).

(٢) «مسند أحمد» (٣١/ ٥٥٩: ١٩٢٣٢)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(٣) «الفتح الرباني» للساعاتي (٢١/ ٢٥٩).

(٤) **ذو الكَلَاع** (بفتح الكاف واللام المخففة)، اسمه: أَسْمَيْفَع (بسكون السين المهملة وفتح الميم وسكون التحتية وفتح الفاء)، ويقال: أَيْفَع بن باكوراء، ويقال: ابن حوشب بن عمرو. **وذو عَمرو** (بفتح العين)، وكانا من ملوك اليمن من حِمْيَرَ، وأرسل إليهما النبيّ ﷺ جرير بن عبد الله يَدْعُوهُمَا إلى الإسلام فَأَسْلَمَا. «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٧٦).

(٥) أي: مضى على وفاته ثلاثة أيام.

وَاسْتُخْلِفَ أبو بكر، والناس صالحون»، فقالا: أخبر صاحبك أنَّا قد جِئنا ولَعَلَّنَا سَنَعُودُ إن شاء الله؛ وَرَجَعَا إلى اليمن، فأخبرتُ أبا بكر بِحَدِيثِهِمْ، قال: أَفَلا جئتَ بهم؛ فلمّا كان بَعْدُ قال لي ذو عَمرو: يا جرير إنّ بكَ عَلَيَّ كَرَامَةً ـ أي: فضلًا ـ، وإني مُخْبِرُكَ خَبَرًا: «إنكم معشر العرب، لَنْ تَزَالُوا بِخيرٍ ما كنتم إذا هلك أمير تَأَمَّرْتُمْ[1] في آخر، فإذا كانت بِالسَّيْفِ كانوا مُلُوكًا، يَغضَبُونَ غضب الملوك ويَرضَون رضا الملوك»[2].

قال الحافظ ابن حجر: «وهذا ـ أي: إخباره بيوم وفاته ﷺ ـ قاله ذو عمرو عن اطِّلَاعٍ من الكتب القديمة؛ لأنّ اليمن كان أقام بها جماعة من اليهود فَدَخَلَ كثير من أهل اليمن في دينهم وتَعَلَّمُوا منهم، وذلك بَيِّنٌ في قوله ﷺ لِمُعَاذٍ لَمّا بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قومًا أهل كتاب»[3][4].

٣ ـ عن كعب بن عَدِيٍّ رضي الله عنه قال: أقبلتُ في وفد من أهل الْحِيرَةِ إلى النبي ﷺ، فَعَرَضَ علينا الإسلام فَأَسْلَمْنَا، ثم انصرفنا إلى الْحِيرَةِ[5] فلم نَلْبَثْ أن جاءتنا وفاة النبي ﷺ، فارتاب أصحابي، وقالوا: لو كان نبيًّا لم يمت. فقلتُ: قد مات الأنبياء قبله. وثبتُّ على إسلامي، ثم

---

(١) **تَأَمَّرْتُمْ** (بالقصر وتشديد الميم)؛ أي: أقمتم أميرًا منكم عن رضًا منكم أو عهدٍ من الأَوَّل، أو (بِمَدِّ الهمزة وتخفيف الميم)؛ أي: تشاورتم. «فتح الباري» (٨/ ٧٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٥/ ١٦٦: ٤٣٥٩).

(٣) «صحيح البخاري» (٢/ ١٢٨: ١٤٩٦)، «صحيح مسلم» (١/ ٥٠: ١٩).

(٤) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٧٦ ـ ٧٧).

(٥) **الْحِيرَة** (بكسر الحاء المهملة): مدينة معروفة بالعراق قريب الكوفة، كانت للنعمان بن المنذر. «عمدة القاري» (١٣/ ٢٦٠).

خرجتُ أريد المدينة فمررتُ بِرَاهِبٍ كُنَّا لا نقطع أمرًا دونه، فقلتُ له: أخبرني عن أمرٍ أَرَدْتُهُ لَقِح في صدري منه شيء. فقال: ائتِ باسمكَ من الأسماء، فَأَتَيْتُهُ بِكَعْبٍ، فقال: ألقه في هذا السِّفْرِ[1] - لِسِفْرٍ أَخْرَجَهُ -، فألقيتُ الكعب فيه فصفح فيه، فإذا بِصِفَة النبي ﷺ كما رأيتُه، وإذا هو يموت في الحين الذي مات فيه، فَاشْتَدَّتْ بصيرتي في إيماني، وقدمتُ على أبي بكر رضي الله عنه، فَأَعْلَمْتُهُ وأقمتُ عنده[2].

٤ - روى ابن سعد بإسناده قال: كان عمرو بن العاص رضي الله عنه عاملًا لرسول الله ﷺ على عُمان، فجاءه يهوديّ فقال: أرأيتَ إن سألتك عن شيء أيُخشَى عليَّ منك؟ قال: لا. قال اليهودي: أنشدك بالله من أرسلك إلينا؟ قال: اللَّهُمَّ رسول الله ﷺ. فقال اليهودي: آلله إنك لَتَعْلَم أنه رسول الله ﷺ. فقال له عمرو: اللَّهُمَّ نعم. قال اليهودي: إن كان ما تقول حقًّا لقد مات اليوم، ثم بلغ عمرو وفاة رسول الله ﷺ بعد ذلك[3].

قال سبط ابن الجوزي: فإن قيل: فمن أين علمَ اليهوديُّ بوفاةِ رسولِ الله ﷺ؟! قلنا: قد كانت صفته على الحقيقة عندهم في التوراة، ومقدار عُمْره، فلما انقضت أيَّامُه عرفوا ذلك[4].

---

(١) **السِّفْر** (بسين مهملة مكسورة ففاء ساكنة فراء)، المراد به هنا: جزء من أجزاء التوراة. «سبل الهدى والرشاد» (١٢/ ٢٧٠).

(٢) «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٥/ ٢٣٧٥: ٥٨٣٠)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٧١). وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ١٧٣): «هذا أثر غريب، وفيه نبأ عجيب، وهو صحيح».

(٣) «سبل الهدى والرشاد» (١٢/ ٢٦٨ - ٢٦٩)، «الخصائص الكبرى» للسيوطي (٢/ ٤٨١).

(٤) «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» لسبط ابن الجوزي (٧/ ٣١).

سِنّه ﷺ عند الوفاة:

وتُوُفِّيَ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنة[(١)]، قاله الجمهور من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم، وصححه ابن عبد البر[(٢)]. قال الذهبي: وهو الصحيح الذي قطع به المحققون[(٣)]. منها أربعون قبل النبوة، وثلاثة وعشرون نبيًّا رسولًا.

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية: أن رسول الله ﷺ تُوُفِّيَ وهو ابن خمس وستين[(٤)]. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: تَوَفَّاهُ الله على رأس ستين سنة[(٥)].

وجاء عنهما ما يوافق الجمهور، ففي «الصحيح» عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين[(٦)]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قُبِض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين، وعمر وهو ابن ثلاث وستين»[(٧)].

وجمع النووي بين هذه الأقوال فقال: قال العلماء: الجمع بين الروايات أن من روى ستين لم يعتبر الكسور، ومن روى خمسًا وستّين عَدّ سنة المولد والوفاة، ومن روى ثلاثًا وستين لم يعدهما، والصحيح

(١) «صحيح البخاري» (٤/ ١٨٦ : ٣٥٣٦)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٢٥ : ٢٣٤٩) عن عائشة رضي الله عنها.
(٢) «تدريب الراوي» للسيوطي (٢/ ٨٦٧). وانظر قول ابن عبد البر في: «التمهيد» (٣/ ٢٥).
(٣) «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٥٧٤).
(٤) «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٢٧ : ٢٣٥٣)، «سنن الترمذي» (٥/ ٦٠٤ : ٣٦٥٠).
(٥) «صحيح البخاري» (٧/ ١٦١ : ٥٩٠٠)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٢٤ : ٢٣٤٧).
(٦) «صحيح البخاري» (٥/ ٥٧ : ٣٩٠٣)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٢٦ : ٢٣٥١).
(٧) «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٢٥ : ٢٣٤٨).

ثلاث وستون. وكذا الصحيح فى سنّ أبي بكر، وعمر، وعلي، وعائشة رضي الله عنهم، ثلاث وستون سنة(١).

مدة مرضه ﷺ

وقد استغرق مرضه ثلاثة عشر يومًا على المشهور، وقيل بزيادة يوم، وقيل بنقصه، وقيل: عشرة أيام؛ وبه جزم سليمان التَّيْمِيّ في «مغازيه»، وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح(٢)؛ أي: صحيح عن سليمان التَّيْمِيّ، وهو من ثقات التابعين، فحديثه مرسل، لا يقاوم قول الجمهور، ولذلك رجح الحافظ ابن رجب قول الجمهور وضعف قول التّيمي وقال: هو غريب(٣).

وقال الزرقاني: وجمع شيخنا ـ أي: علي الشّمرلِسِيّ ـ بجواز اختلاف أحواله ﷺ في ابتداء مرضه، فذكر كلّ منهم اليوم الذي علم بحصول ما رآه من حاله.

وشدّة مرضه ﷺ التي انقطع بها عن الخروج في بيت عائشة رضي الله عنها كانت: سبعة أيام، وما زاد عليها قبل اشتداده الذي انقطع به ﷺ(٤).

فتنة الردّة وتكالب الأعداء

عظُم الخطب بوفاة الرسول ﷺ، واشتدّ الكرب، وأحاطت الأخطار بالمسلمين من كل حدب وصوب، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب، وتكالب اليهود والنصارى والمنافقين على المسلمين؛ قالت

---

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ٢٣).
(٢) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٢٩).
(٣) «لطائف المعارف» لابن رجب (ص١٥٠).
(٤) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (١٢/ ٨٣).

عائشة ﵂: لما تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ ارتدّت العرب، وَاشْرَأَبَّت اليهودية والنصرانية، وَنَجَمَ النفاق، وصار المسلمون كالغنم الْمَطِيرَة في الليلة الشَّاتِيَة، لِفَقْدِ نبيهم ﷺ(١).

وفي رواية: وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم مِعْزى(٢) مَطِيرَةٌ في حِفْشٍ(٣) في ليلة مَطِيرة بأرض مَسْبَعة(٤)؛ أي: كثيرة السباع.

أي: أصبح حال الصحابة ﷺ في ضعفهم وقلّتهم وتكالب عدوّهم عليهم واحتمائهم بالمدينة كقطيع المَعْز عندما يصيبه المطر في أرض مخوفة وليلة مطيرة باردة، فينزوي بعضه إلى بعض في مكان ضيق تجنّبًا للعدوّ والبرد والمطر.

موقف مَعْن بن عَدِي ﵁:

قال عروة بن الزبير ﵀: بكى الناس على رسول الله ﷺ حِين توفاه الله ﷻ، وقالوا: لَوَدِدْنَا أَنّا مِتْنا قبله، نخشى أَن نُفْتَنَ بعده، فقال مَعْن بن عَدِي ﵁: لَكِنِّي وَالله مَا أحبّ أَنِّي مِتّ قبله حَتَّى أُصَدِّقَهُ مَيّتًا كَمَا صدّقتُه حيًّا(٥)، ثم استشهد مَعْن بن عدي يوم اليمامة في قتال مُسَيْلِمَة الْكذَّاب في خلافة أبي بكر ﵁.

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٥).

(٢) **مِعْزًى** (بكسر الميم) بمعنى: الْمَعْزِ، وهو اسم جِنْس، وواحد الْمِعْزَى: مَاعِزٌ، وهو خلاف الضَّأْنِ. «مرقاة المفاتيح» (٢/ ٥٦٢).

(٣) **الحِفْشُ** (بالكسر): البيت الضيق الصغير جدًّا، وهو القريب السقف من الأرض، سُمي به لضيقه. ويُروى أيضًا بالفتح والتحريك. [انظر: «تاج العروس» (١٧/ ١٥٤)، مادة: (حفش)].

(٤) «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/ ٤٢٣).

(٥) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٠)، «البداية والنهاية» (٩/ ٥٠٢). وهو صحيح مرسل عن عروة بن الزبير. قال ابن حجر في «الإصابة» (٦/ ١٥١): «هذا هو =

سهيل بن عمرو يُثَبّت أهل مكة ويقضي على فتنة الردّة بها:

لمّا عَلِم أهل مكة بوفاة الرسول ﷺ هَمَّ ضعفاء الإيمان منهم بالرجوع عن الإسلام، فقام سهيل بن عمرو خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وقال: إنّ ذلك لم يَزِد الإسلام إلا قُوَّة، فمن رَابَنَا ضَرَبْنَا عُنُقَه، فتراجع الناس وَكَفُّوا عَمَّا هَمُّوا به(١).

وكان سهيل بن عمرو من خطباء قريش وفصحائها وطالما هجا الإسلام وآذى المسلمين بلسانه في جاهليته، فلما أُسِر يوم بدر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دَعْنِي يا رسول الله أنزع ثَنِيَّتَيْ سُهَيْل بن عمرو، يَدْلَعْ(٢) لسانه، فلا يقوم عليك خطيبًا في موطن أبدًا. فقال عليه الصلاة والسلام في سماحة وسمو: «**لا أُمَثِّلُ به فَيُمَثِّلُ الله بي وإن كنتُ نبيًّا**»، ثم قال لِعُمر: «**إنَّهُ عَسَى أن يقوم مَقَامًا لَا تَذُمُّهُ**»(٣).

وقد صَدَقَت نبوءة الرسول الكريم ﷺ في سهيل، فوقف موقفًا كريمًا يوم وفاة الرسول ﷺ حمده الناس له، قال الحافظ ابن كثير: هذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة، حين مات رسول الله ﷺ

= المحفوظ، عن الزهري عن عروة مرسلًا. وقد وصله سعيد بن هاشم المخزومي، عن مالك، عن الزهري، فقال: عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه. أخرجه ابن أبي خيثمة عنه، وسعيد ضعيف، والمحفوظ هو مرسل عروة».

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٦).

(٢) **يَدْلَع** أي: يخرج لسانه ويسترخي ويسقط على العَنْفَقَة كلسان الكلب. [«تاج العروس» (٢٠/ ٥٦٢)، مادة: (دلع)].

(٣) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٤٩). وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢٠٣): «حديث مرسل بل معضل»، اهـ. وأما الجزء الأخير منه فمن بلاغات ابن إسحاق، ولكن له قرائن تعضده وتدل على أن له أصلًا، ومن أجل ذلك أقرّه الحافظ ابن كثير، وجعله من النبوءات، كما هو ظاهر من تعليقه على الحديث.

وارتدّ من ارتد من العرب، ونجم النفاق بالمدينة وغيرها، فقام بمكة فخطب الناس، وَثَبَّتَهُمْ على الدين الحنيف[١].

موقف الجَارُود بن المُعَلّى في ردّة أهل البحرين:

بعث رسول الله ﷺ الْعَلَاء بن الحَضْرَمِيّ إلى ملك البحرين، الْمُنْذِرِ بن ساوى العَبْدِيّ، فأسلم وأقام فيهم الإسلام والعدل.

فلما تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ، تُوُفِّيَ المنذر بعده بقليل.

فلمّا مات المنذر ارتدّ أهل البحرين، وقال قائلهم: لو كان محمد نبيًّا ما مات!

فقام فيهم رجل من أشرافهم ـ وهو الْجَارُودُ بن الْمُعَلَّى ـ خطيبًا، فقال: يا معشر عبد القيس، إني سائلكم عن أمر، فأخبروني إِنْ عَلِمْتُمُوهُ وَلَا تُجِيبُونِي إِنْ لَمْ تَعْلَمُوه. فقالوا: سَلْ.

قال: أَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ كان لِلّهِ أنبياء قبل محمد؟

قالوا: نعم. قال: تَعْلَمُونَهُ أَمْ تَرَوْنَه؟ قالوا: نَعْلَمُهُ.

قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا.

قال: فإن محمدًا ﷺ مات كما ماتوا، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

فقالوا: ونحن أيضًا نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأنتَ أفضلنا وسيدنا. وَثَبَتُوا على إسلامهم، وَتَرَكُوا بَقِيَّةَ الناس فيما هم فيه[٢].

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ٢٠٢).

(٢) «المنتظم» لابن الجوزي (٤/ ٨٣)، «البداية والنهاية» (٩/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦).

دروس وعبر

١ ـ حرص النبي ﷺ على العدل بين الزوجات، حتى إنه كان في حال مرضه الشديد وعجزه عن المشي يتنقل بين حجرات زوجاته، يُحمل من حجرة إلى حجرة عليه الصلاة والسلام، إحياءً للعدل، ولم يتخذ بيت عائشة لِيُمَرّض فيه حتى استأذن نساءه، وطابت نفوسهن بذلك.

٢ ـ فضل عائشة رضي الله عنها على غيرها من أزواج النبي ﷺ؛ حيث اختار عليه الصلاة والسلام أن يُـمَرَّض في بيتها، فقامت بخدمته حتى مات بين سحرها ونحرها، ويكفيها فخرًا أنها عقلت من النبي ﷺ ما لم يعقل غيرها من النساء، وروت عنه ما لم يرو مثلها أَحد من الرجال، غير أبي هريرة وابن عمر وأنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين، فهي في المرتبة الرابعة باعتبار كثرة الرواية.

٣ ـ مشروعية الاستشفاء بالقرآن والأذكار والتعوُّذات النبوية، وقد كان ﷺ يرقي نفسه بالمعوذات إذا مرض، وكانت عائشة رضي الله عنها ترقيه ﷺ بهن في مرض وفاته عندما ثقل؛ وذلك «لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملةً وتفصيلًا، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق فيدخل فيه كل شيء، ومن شر النفاثات فى العُقد ومن السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس»(١). وروى عُقبة بن عامر رضي الله عنه قال: بينا أنا أسيرُ معَ رسول الله ﷺ بين الجُحفَة والأبواء؛ إذ غَشِيَتْنا رِيح وظُلمة شديدة، فجعل رسولُ الله ﷺ يتعوذ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ١٨٣).

﴿ٱلۡفَلَقِ﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ويقول: «**يا عُقبةُ، تَعَوَّذْ بهما، فما تَعَوّذَ مُتَعَوِّذٌ بمثلهما**»(١).

٤ ـ التحذير الشديد من اتخاذ المساجد على القبور؛ سدًّا لذريعة الشرك، وحمايةً لجناب التوحيد؛ فقد كرّر النبي ﷺ التحذير منه في مناسبات مختلفة، وحذّر منه قبل موته بخمس ليال، ثم ما زال يحذّر منه حتى وهو في سياق الموت، وكان يدعو ربه فيقول: «**اللهم لا تجعل قبري وَثَـنًا يُعْبَدُ. اشْتَدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٢). وقد استجاب الله دعوته فلم يُتَّخَذْ قبره وَثَنًا كما اتُّخِذَ قبر غيره.

٥ ـ تعظيم حقوق العباد، والحرص على تبرئة الذمة منها، قال ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه فَلْيَتَحَلَّلْهُ منها، فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم، من قبل أن يُؤْخَذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أُخِذ من سيئات أخيه فَطُرِحَت عليه**»(٣).

والرسول ﷺ طبَّق ذلك عمليًّا، فأبرأ ذمته من حقوق الناس في مرض موته، حتى يلقى الله وليس لِأَحدٍ عليه شيء، وعرض نفسه للقصاص على الملأ؛ خشية أن يكون لأحد عليه حق نَسِيَه، مع أنه ﷺ لم يظلم في حياته أحدًا، ولم يماطل في حق أبدًا، ولم ينتقم لنفسه قط. فكيف يكون حال من لقي الله وفي ذمته دماء المسلمين وأموالهم؟

هذا الرسول مع الوجاهة والعُلى ... يخشى مظالمَ إن جَرَتْ ويُقيد
من نفسه أو ماله أو عرضه ... وهو المبرّأ عفة ويجود

---

(١) «سنن أبي داود» (٢/ ٥٩١: ١٤٦٣)، «السنن الكبرى» للنسائي (٧/ ١٩٥: ٧٧٨٩)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لأبي داود.

(٢) «موطأ الإمام مالك» (٢/ ٢٤١: ١٨٣)، «مسند الإمام أحمد» (١٢/ ٣١٤: ٧٣٥٨). وقال الأرنؤوط في تحقيقه للمسند: «إسناده قوي».

(٣) «صحيح البخاري» (٨/ ١١١: ٦٥٣٤).

لكنه التّأديب حتى نَتّقِي   ظلمَ العِباد فإنه لَشَدِيد[١]

٦ ـ مشروعية شكر المحسن على إحسانه، والتنويه بفضله، والثناء عليه من غير إطراء ولا مبالغة؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يَشْكُرُ الله مَن لا يَشْكُرُ النَّاس**»[٢]، وقد نَوَّه الرسول ﷺ بمواقف الصدّيق الخالدة في نُصرة الرسول ﷺ ودينه، وأكرمه فقال في خطبة الوداع: «**إن أَمَنَّ الناس عَلَيَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنتُ متّخذًا خليلًا من أمتي لَاتَّخَذْتُ أبا بكر، ولكن أُخُوَّةُ الإسلام وَمَوَدَّتُهُ، لا يَبْقَيَنَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر**»[٣].

٧ ـ تولية رسول الله ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما قيادة جيش فيه كبار الصحابة، وهو شابٌ حدث لم يبلغ العشرين من عمره فيه دليل على العناية بالشباب والاستفادة من كفاءاتهم في بناء الأمة، وتوليتهم المناصب القيادية والمسؤوليات الكبرى إذا كانوا أهلًا لذلك، فالشباب هم عماد المستقبل، وسبيل نهضة الأمة.

٨ ـ مشروعية ضيافة الوافد والزائر وإكرامه وإنزاله المنزلة اللائقة به، مسلمًا كان أم كافرًا، وقد كان النبي ﷺ يكرم الوفود، ويحتفي بهم، ويزودهم بما يحتاجونه، ومن شدة اهتمامه بهم أوصى بإكرامهم وهو يودّع أمته عليه الصلاة والسلام.

٩ ـ أهمية الصلاة؛ وعظم شأنها، فهي آخر وصية وصى بها الرسول ﷺ، حيث كان يكرر الأمر بها وهو يعاني سكرات الموت، حتى

---

(١) «الإخبار في وفاة المختار» لابن ناصر الدين (ص٣٥).
(٢) «سنن أبي داود» (٧/ ١٨٨ : ٤٨١١)، «سنن الترمذي» (٤/ ٣٣٩ : ١٩٥٤) وقال: «حديث صحيح»، «صحيح ابن حبان» (٨/ ١٩٩ : ٣٤٠٨)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لأبي داود وابن حبان.
(٣) «صحيح البخاري» (١/ ١٠٠ : ٤٦٦)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٥٤ : ٢٣٨٢).

جعل يُغَرْغِرُ بها عليه الصلاة والسلام. ولا غرو فهي عمود الإسلام، وأوّل ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، ولا حَظَّ في الإسلام لمن تركها.

١٠ ـ تعظيم حقوق المماليك والخدم ونحوهم من الضعفاء، فالنبي ﷺ أوصى بهم وهو يفارق هذه الدنيا، ومن حقهم الإحسان إليهم، وعدم تكليفهم ما لا يطيقون، وإعطاؤهم مستحقاتهم كاملة دون تسويف أو مماطلة؛ قال النبي ﷺ: «**إن إخوانكم خَوَلُكُمْ** ـ أي: خدمكم وعبيدكم ـ **جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فَلْيُطْعِمْهُ مما يأكل، وَلْيُلْبِسْهُ مما يلبس، ولا تُكلِّفوهم ما يَغلبهم، فإن كَلَّفْتُمُوهُمْ ما يغلبهم فأعينوهم**»[١].

١١ ـ المؤمن يسير إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، فيرجو فضل الله ورحمته، ويخاف عقابه، فإذا مرض غلّب جانب الرجاء فعسى أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو يعلم أنه قادمٌ إلى ربّ عَفُوٍّ كريمٍ رؤوفٍ رحيمٍ فيحسن الظن بالله ﷻ؛ كما أوصى بذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام قبل موته، والله عند ظنّ عبدِه به.

١٢ ـ أهمية صلاة الجماعة وعظم شأنها، ويدل على ذلك شدة حرصه ﷺ عليها، مع شدة مرضه وتوجعه، حتى أُغمي عليه وهو يحاول القيام لحضور الصلاة، فلما أفاق من غشيه كان أول ما سأل عنه: «**أَصَلَّى الناس؟**»، قالت عائشة: لا، هم ينتظرونك. فَاغْتَسَلَ، فذهب لِيَنْهَض فَأُغْمِيَ عليه، وتكرر ذلك معه ثلاث مرات. بل لما وجد ﷺ من نفسه خِفَّةً خرج إلى الصلاة محمولًا بين رجلين، يمشي معتمدًا عليهما من شدة ضعفه، تَخُطُّ رِجْلَاهُ في الأرض، وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم، قال ابن مسعود ﵁: «ولقد رَأَيْتُنَا وما يَتَخَلَّفُ عنها

(١) «صحيح البخاري» (٣/ ١٤٩: ٢٥٤٥).

ـ أي: الصلاة جماعة في المسجد ـ إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُؤْتَى به يُهَادَى بين الرجلين حتى يُقام في الصف»[١]؛ أي: أن الرجل الذي لا يستطيع المشي من شدة المرض، يتحامل على غيره حتى يحضر إلى المسجد، ويؤدي الصلاة جماعة.

١٣ ـ الدنيا دار ابتلاء وامتحان، فقد يُبتلى المرء في نفسه، وقد يُبتلى في أهله وماله؛ تطهيرًا لذنوبه، ورفعًا لدرجاته، وتعظيمًا لثوابه. ويشتد البلاء على قدر دين المرء، ومن أجل ذلك ابتلي النبي ﷺ مدة حياته منذ بداية دعوته ابتلاءً شديدًا، وهو صابر محتسب، وظل به البلاء حتى في مرض وفاته عليه الصلاة والسلام، وشُدّد عليه في ذلك؛ لأن الأنبياء عليهم السلام أشدّ الناس بلاء؛ روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، أَيُّ الناس أشدّ بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل من الناس، يُبْتَلَى الرجل على حَسَب دينه، فإن كان في دينه صلابة زِيد في بلائه، وإن كان في دينه رِقَّةٌ خُفِّفَ عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة**»[٢].

وحين يرى أهل العافية جزاء أهل البلاء، وما لهم عند الله تَمَنَّوْا مكانهم، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَوَدُّ أهل العافية يوم القيامة أنَّ جلودهم قُرِضَتْ بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء**»[٣].

فالمؤمن في خير دائم، إن ابتلي صبر، وإن عُوفي شكر؛ قال رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لِأَحَدٍ**

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ٤٥٣ : ٦٥٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣/ ٧٨ : ١٤٨١)، «سنن الترمذي» (٤/ ٦٠١ : ٢٣٩٨) وقال: «حديث حسن صحيح، وحسنه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند».

(٣) «سنن الترمذي» (٤/ ٦٠٣ : ٢٤٠٢)، «السنن الكبرى» للبيهقي (٣/ ٥٢٦ : ٦٥٥٣)، وحسَّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٢٤٠).

إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صَبَرَ فكان خيرًا له»(١)؛ إذ «الصبر نصف الإيمان»(٢).

١٤ ـ كان الرسول الكريم ﷺ أرحم الناس بالخلق وأعظمهم شفقة عليهم، وأشدهم حبًّا للخير لهم، ومن شدة رحمته وشفقته بالناس كان حريصًا جدًّا على هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، عاش حياته وهو يحمل هَمَّ إيمانهم ونجاتهم من عذاب الله، وما زال ينصح أمَّته ويرشدهم إلى الخير، ويحذِّرهم من الشر حتى آخر لحظة من لحظات حياته، وقد شهد له الحق ﷻ في كتابه العزيز بذلك فقال في وصفه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن شدة حرصه على هداية الناس كان يحزن حزنًا شديدًا عند امتناع أحدهم من قبول الحق والخير الذي جاء به، حتى تكاد نفسه تهلك من الهم والغم، كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]؛ أي: مهلك نفسك بحزنك عليهم، وقال له رحمة به وإشفاقًا عليه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]؛ أي: لا تهلك نفسك حسرة عليهم، بل هَوِّن عليك، فما عليك إلا البلاغ، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥]

١٥ ـ المسلم يغتنم الأوقات، ويشغلها بالطاعات، والتزود بالباقيات الصالحات، حتى آخر الأنفاس واللحظات، ولا يفتر عن أداء النصيحة، والقيام بواجب الدعوة حتى في أشد الأوقات، فالرسول ﷺ

---

(١) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٢٩٥: ٢٩٩٩).

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (٩/ ١٠٤: ٨٥٤٤)، «المستدرك» للحاكم (٢/ ٤٨٤: ٣٦٦٦)، وصحَّحه ووافقه الذهبي. وقال البيهقي في «الآداب» (ص٣٠٧): «روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا وموقوفًا، والموقوف أصح».

كان قائمًا بواجب التبليغ والدعوة لآخر يوم من أيام حياته، ولم يمنعه مرضه من ذلك، ولا علمه بقُرب الموت ودُنُوّ أجله.

١٦ ـ أهمية السواك، والعناية بنظافة الفم وتطييبه، فالنبي ﷺ اهتمّ بالسواك واستنّ به أحسن ما كان استنانًا، وهو في سكرات الموت وشدّته؛ إذ السواك «**مَطْيَبَةٌ للفم، ومَرْضَاةٌ للرب**»[(١)]، وهذا يدل على تأكد استحبابه، حتى قال عليه الصلاة والسلام: «**أُمِرْتُ بالسواك حتى خَشِيتُ أن يُكتب عليّ**»[(٢)].

١٧ ـ من أحب الله ﷻ جَدَّ في طاعته، وَأَنِس بذكره، وتلذّذ بمناجاته، وحرص على مرضاته، واشتاق إلى لقائه؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: «**من أَحَبَّ لقاء الله أَحَبَّ الله لقاءه، ومن كَرِهَ لقاء الله كره الله لقاءه**»[(٣)].

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «**أسألك لَذَّةَ النظر إلى وجهك، وَالشَّوْقَ إلى لقائك في غير ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولا فتنة مُضِلَّة**»[(٤)]، وعندما خُيّر ﷺ قبل موته اختار الله والدار الآخرة، وجعل يقول وهو في السكرات: «**في الرفيق الأعلى**».

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (١٠/ ١٠٦: ٥٨٦٥)، وصحّحه الأرنؤوط في تحقيقه له. وفي لفظ عند أحمد (٤٠/ ٢٤١: ٢٤٢٠٣)، والنسائي (١/ ١٠: ٥)، وابن حبان (٣/ ٣٤٨: ١٠٦٧) بسند صحيح عن عائشة ﵂: «**السواك مَطْهَرَةٌ للفم، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ**». وأخرجه البخاري (٣/ ٣١) معلّقًا مجزومًا به.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٥/ ٣٨٩: ١٦٠٠٧)، وحسّنه العراقي في «طرح التثريب» (٢/ ٧٠)، والأرنؤوط في تحققيه للمسند.

(٣) «صحيح البخاري» (٨/ ١٠٦: ٦٥٠٨)، «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٦٧: ٢٦٨٦).

(٤) «السنن الكبرى» للنسائي (٢/ ٨١: ١٢٢٩)، «صحيح ابن حبان» (٥/ ٣٠٥: ١٩٧١)، «المستدرك» للحاكم (١/ ٥٢٤)، وصحّحه ووافقه الذهبي.

١٨ ـ الموت نهاية كلِّ حيٍّ، ويستوي فيه كل البشر، كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، حتى الأنبياء والرسل وهم صفوة الله من خلقه، ولا يتفرد بالبقاء إلا الله وحده، فالعاقل يستعد للموت ويتجهَّز له قبل نزوله، فإن الآجال تنزل بلا استئذان، وتحلّ بلا إعلان.

١٩ ـ موقف الصديق رضي الله عنه وثباته يوم وفاة الرسول ﷺ ـ حين فقد كبار الصحابة رشدهم وذهلوا من صدمة الخبر ـ كان سببًا في ثبات الأمة ونجاتها من الفرقة والاختلاف، وفي ذلك دليل على أنه الأقدر على قيادة الأمة بعد نبيّها ﷺ، وأولى الناس بها، وأنه صاحب الإيمان واليقين الثابت الذي لا يهتزّ ولا يتزعزع في أشد المحن والبلايا؛ قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]: «هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجرأته، فإن الشجاعة والجرأة حدّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ، فظهرت عنده شجاعته وعلمه. قال الناس: لم يمت رسول الله ﷺ! ـ منهم عمر ـ، وخرس عثمان، واستخفى عليّ، واضطرب الأمر؛ فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسُّنح»(١).

٢٠ ـ كان موقف عمر رضي الله عنه يوم وفاة النبي ﷺ وخطبته لِحِكْمَةٍ أرادها الله تعالى، حيث نفع الله به الإسلام، وذلك أن المنافقين الّذين كانوا يتربصون الدوائر بالإسلام والمسلمين، لما سمعوا خبر الوفاة أرادوا زعزعة الإسلام والقضاء عليه وتأجيج نار الفرقة والاختلاف بين المسلمين، فلما وقف الفاروق وقال في خطبته مُهدّدًا ومتوعّدًا للمنافقين: «إني لَأَرْجُو أن يقطع رسول الله ﷺ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه

(١) «تفسير القرطبي» (٤/ ٢٢٢).

مات»(١) خاف المنافقون وفزعوا، وردَّ الله كيدهم في نحورهم؛ قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «فما كانت من خطبتهما ـ أي: من خطبتي أبي بكر وعمر ـ من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوّف عمر الناس، وإن فيهم لَنِفَاقًا فَرَدَّهُمُ الله بذلك، ثم لقد بَصَّرَ أبو بكر الناس الهُدى، وَعَرَّفَهُمُ الحق الذي عليهم، وخرجوا به يتلون: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]»(٢).

٢١ ـ الإسلام لا يرتبط بالأشخاص، ولا بالزمان أو المكان، وإنما يرتبط بالله الواحد الذي كَتَبَ للإسلام البقاء، مهما تصرّمت السنون، وتتابعت القرون، وتوالت المحن، فلا يموت الإسلام بموت أحد، ولا يذهب بذهابه، فمات الرسول الأعظم ﷺ الذي جاء بالإسلام وجاهد في سبيله، لكن رسالته لم تمت، فدينه باقٍ إلى قيام الساعة، مات البشير النذير، لكن ما ماتت البشارة والنذارة، فدعوته قائمة وباقية إلى قيام الساعة.

٢٢ ـ مصاب المسلم بالنبي ﷺ لا يعدله مصاب؛ فإذا أصيب أحد بمصيبة فليتذكّر مصابه بالنبي ﷺ فإن مصيبته تهون عليه؛ إذ هو عزاء لكل مسلم؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**يا أيها الناس أَيُّمَا أحد من الناس أو من المؤمنين أُصِيبَ بمصيبة، فَلْيَتَعَزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تُصِيبُهُ بغيري، فإن أحدًا مِن أمتي لن يُصَابَ بمصيبةٍ بعدي أَشَدّ عليه من مُصِيبَتِي**»(٣).



(١) «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٨٨: ٦٦٢٠)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحققيه له.
(٢) «صحيح البخاري» (٥/ ٧: ٣٦٦٩ ـ ٣٦٧٠).
(٣) «سنن ابن ماجه» (٢/ ٥٣١: ١٥٩٩)، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه له.

الفصل الثالث

استخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه

هل أوصى الرسول ﷺ بالخلافة؟

لم يثبت أن النبي ﷺ أوصى بالخلافة لِأَحَدٍ بعينه صراحةً.

قالت عائشة رضي الله عنها «قُبِضَ رسول الله ﷺ ولم يَسْتَخْلِفْ أحدًا، ولو كان مُسْتَخْلِفًا أحدًا لَاسْتَخْلَفَ أبا بكر أو عمر»(١).

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: حضرتُ أبي حين أُصيب، فَأَثْنَوْا عليه، وقالوا: جزاك الله خيرًا؛ فقال: راغبٌ وراهبٌ؛ قالوا: اسْتَخْلِفْ؛ فقال: «أَتَحَمَّل أمركم حَيًّا وميّتًا، لَوَدِدْت أن حَظِّي منها الكفاف، لا عَلَيَّ ولا لِي، فإن أستخلف فقد استخلَفَ من هو خير مِنِّي - يعني: أبا بكر -، وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مِنِّي، رسول الله ﷺ»(٢).

ولم يدّع أحد من الصحابة أن الرسول ﷺ أوصى له بالخلافة، ولا ادّعاه عليّ رضي الله عنه، بل نفى ذلك صراحة؛ حدّث عمرو بن سفيان فقال: لما ظهر عليّ رضي الله عنه على الناس يوم الجمل قال: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ لم يَعْهَدْ إلينا في هذه الإمارة شيئًا، حتى رأينا من الرَّأْيِ أن نستخلف أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضى لِسَبِيلِه، ثم إن أبا بكر

(١) «مسند أحمد» (٤٠/ ٤٠٤: ٢٤٣٤٦)، «المستدرك» للحاكم (٣/ ٨٣: ٤٤٦٤)، وصحّحه ووافقه الذهبي.

(٢) «صحيح البخاري» (٩/ ٨١: ٧٢١٨)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٥٤: ١٨٢٣).

رأى من الرأي أن يستخلف عمر، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بِجِرَانِهِ»[١]؛ أي: قَوِي واشتد أمره.

إشارات في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه

مع أنه ﷺ لم يوص لأحدٍ صراحةً، لكنه أشار إلى استخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه إشارات قوية يفهمها كلّ ذي لُبّ وعقل، بل أراد أن ينصّ على خلافته كتابةً ثم ترك ذلك اكتفاء بالإشارة وعلمه بأن المسلمين لن يرضوا بغيره.

قالت عائشة رضي الله عنها: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «**ادعِي لي أبا بكر أباك وأخاك، حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنَّى مُتَمَنٍّ ويقول قائل: أنا أَوْلَى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[٢]. وفي رواية للبخاري قال ﷺ: «**لقد هَمَمْتُ أن أُرْسِلَ إلى أبي بكر وابنه فَأَعْهَدَ، أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلتُ: يأبى الله ويدفع المؤمنون**»[٣].

ومن تلك الإشارات المفهمة الدالَّة على أحقِّيَّة الصِّدِّيق بالخلافة ما يلي:

١ ـ ما رواه جبير بن مطعم رضي الله عنه أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئًا، فأمرها أن تَرْجِعَ إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيتَ إن جئتُ فلم

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٢٤٤: ٩٢١)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٢٣)، وحسَّنه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٥٨٥). وقد روي هذا المعنى عن علي رضي الله عنه من عدة وجوه، يتقوى الحديث به. ومعنى: **حتى ضرب بجرانه**: أي: قَرَّ قراره واستقام، كما أن البعير إذا برك واستراح مَدَّ عنقه على الأرض. **والجِرَانُ**: باطن العنق. [«النهاية» لابن الأثير (١/ ٢٦٣)، مادة: (جرن)].
(٢) «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٥٧: ٢٣٨٧).
(٣) «صحيح البخاري» (٩/ ٨٠ ـ ٨١: ٧٢١٧).

أجدك؟ ـ كأنها تعني الموت ـ قال: «**فإن لم تَجِدِينِي فأتي أبا بكر**»[١]. وهذا الحديث «فيه دليل قاطع في خلافة أبي بكر»[٢]، وهو كالنص الصريح على ذلك.

٢ ـ ما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ من بعدي: أبي بكر وعمر**»[٣]. ففي هذا الحديث دلالة جليَّةٌ على كونهما الخليفتين بعده.

٣ ـ أن الرسول ﷺ جعله أميرًا على الحجيج في السَّنة التاسعة من الهجرة خَلَفًا عنه ﷺ، ثم أردفه عليًّا رضي الله عنه بصدر سورة براءة التي نزلت بقطع العهد بين الرسول ﷺ وبين المشركين ليقرأها على الناس في الحج، وجعله تحت إمرة الصديق[٤]، وأمره أن ينادي «**بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مُسلمة، ولا يطوف بالبيت عُرْيَانٌ، ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامهم هذا، ومَن كان بينه وبين النبي ﷺ عَهْدٌ فَعَهْدُهُ إلى مُدَّتِهِ، ومَن لا مُدَّةَ له فأربعة أشهر**»[٥].

٤ ـ قوله ﷺ: «**لا يَبْقَيَنَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر**»[٦]، وفي رواية للبخاري قال: «**سُدُّوا عَنِّي كل خَوْخَةٍ**[٧] **في هذا**

---

(١) «صحيح البخاري» (٩/ ٨١: ٧٢٢٠)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٥٦: ٢٣٨٦).
(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٨/ ٢٨٢).
(٣) «مسند أحمد» (٣٨/ ٢٨٠: ٢٣٢٤٥)، «سنن الترمذي» (٥/ ٦٠٩: ٣٦٦٢) وحسّنه، «المستدرك» للحاكم (٣/ ٧٩: ٤٤٥١) وصحّحه، ووافقه الذهبي.
(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦).
(٥) «سنن الترمذي» (٣/ ٢١٣: ٨٧١) وصحَّحه، «المستدرك» للحاكم (٣/ ٥٤: ٤٣٧٦) وصحَّحه، ووافقه الذهبي.
(٦) «صحيح البخاري» (١/ ١٠٠: ٤٦٦)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٥٤: ٢٣٨٢).
(٧) **الخَوخة**: باب صغير كالنافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين ينصب عليها باب. «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٨٦).

المسجد، غير خَوْخَةِ أبي بكر»[١]. فيه «إشارة إلى خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه وكرَّم وجهه؛ لأن الخليفة يحتاج إلى القرب من المسجد لشدة احتياج الناس إلى ملازمته له للصلاة بهم وغيرها»[٢].

وقال الإمام ابن حِبَّان: فيه دليل على أن الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه بعد النبي ﷺ؛ لأنه حَسَم ـ بقوله: «**سُدّوا عني كل خوخة في المسجد**» ـ أطماع الناس كلهم عن أن يكونوا خلفاء بعده، غير أبي بكر[٣].

٥ ـ أن النبي ﷺ قدمه في حياته في إمامة الصلاة، وأقامه مقام نفسه، فقال: «**مُرُوا أبا بكر فَلْيُصَلِّ بالناس**»[٤]، فاستمر يصلي بالناس إلى أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

وفي ذلك دليل على أنه أحق بالإمامة العظمى، ومن ثَـمّ قال الصحابة رضي الله عنهم: رَضِيَه رسول الله ﷺ لِدِيننا أفلا نرضاه لِدُنيانا[٥].

بيعة أبي بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة

اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة[٦] ليبايعوا سعد بن عبادة رضي الله عنه، فيلي أمور المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ. . .

---

(١) «صحيح البخاري» (١/ ١٠١: ٤٦٧).
(٢) «الصواعق المحرقة» لابن حجر الهيتمي (١/ ٥٨).
(٣) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٢٧٦).
(٤) «صحيح البخاري» (١/ ١٣٤: ٦٦٤)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١٣: ٤١٨).
(٥) «طرح التثريب» للعراقي (٨/ ٧٦)، «مرقاة المفاتيح» للملا علي قاري (٣/ ٨٧٧).
(٦) **السَّقِيفَة**: الصُّفَّة، وهي المكان الْمُظَلَّل بجانب الدار، كانوا يجتمعون فيه لفصل القضايا وتدبير الأمور. «فتح الباري» لابن حجر (٥/ ١٠٩)، «عمدة القاري» (٢٤/ ١٠).
وتقع سقيفة بني ساعدة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد النبوي الشريف، شمالي المناخة الآن، وقد أنشئت عليه حديقة جميلة. «من معالم المدينة المنورة» لمحمد علي كاتبي (ص٩٦).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تَخَلَّفَتِ الأنصار عَنَّا بِأَسْرِهَا حين تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ، واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليّ والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فبينا نحن في منزل رسول الله ﷺ؛ إذ رجل ينادي مِن وَرَاءِ الْجِدَارِ: اخْرُجْ إِلَيَّ يا ابن الخطاب. فقلتُ: إليك عَنِّي فَإِنَّا مشاغيل عنك. فقال: إنه قد حدث أمر لا بُدَّ منك فيه، إن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، فأدركوهم قبل أن يُحْدِثُوا أمرًا. فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نَؤُمُّهُمْ، فَلَقِيَنَا أبو عبيدة بن الجَرّاح، فأخذ أبو بكر بيده، فمشى بيني وبينه، فانطلقنا حتى أتيناهم، فإذا هم في سقيفة بني ساعدة، فإذا بين أظهرهم رَجُلٌ مُزَمَّلٌ، فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة، قلت: فما له؟ قالوا: هو وَجِعٌ.

فلما جلسنا تَكَلَّمَ خطيب الأنصار، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم، قال: أما بعد، فنحن أنصار الله، وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دَفَّتْ دَافَّةٌ(١) من قومكم؛ فإذا هم يريدون أن يَخْتَزِلُونَا من أصلنا(٢)، وأن يَحْضُنُونَا من الأمر(٣).

قال عمر رضي الله عنه: فلما قضى مقالته، أردتُ أن أتكلم، وكنتُ قد زَوَّرْتُ مقالة أعجبتني، أريد أن أقوم بها بين يدي أبي بكر رضي الله عنه، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رِسْلِكَ؛ فكرهت أن أغضبه.

---

(١) **الدَّافَّة**: الجماعة تسير سيرًا رقيقًا. والمعنى: جاءت جماعة من قومكم. «سبل الهدى والرشاد» (١٢/ ٣١٨).

(٢) **يَخْتَزِلُونَا من أصلنا**: أي: يقتطعونا عن الأمر وينفردوا به دوننا. «فتح الباري» لابن حجر (١٢/ ١٥١).

(٣) **يَحْضُنُونَا من الأمر**: يخرجوننا من الأمر. أي: أمر الإمارة والحكومة. «عمدة القاري» للعيني (٢٤/ ١١)

فتكلم أبو بكر، وهو كان أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا تكلم بمثلها أو أفضل في بديهته حتى سكت.

فتشهد أبو بكر، وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، أيها الأنصار، فما ذكرتم فيكم من خير فأنتم أهله، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الْحَيِّ من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين، فَبَايِعُوا أيهما شئتم. فأخذ بيدي وبِيَد أبي عبيدة بن الجراح، فلم أكره من مقالته غيرها، كان والله أن أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي لا يُقَرِّبُنِي ذلك إلى إثم، أحبّ إليّ من أن أُؤَمَّر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه.

فقال قائل من الأنصار: أنا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ[1]، وَعُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ[2]، مِنَّا أمير ومنكم أمير، يا معشر قريش.

فقال أبو بكر لسعد بن عبادة رضي الله عنهما: لقد علمتَ يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «**قريش ولاة هذا الأمر، فَبَرُّ الناس تَبَعٌ لِبَرِّهِمْ، وفاجرهم تبع لفاجرهم**»، فقال له سعد: صدقتَ نحن الوزراء، وأنتم الأمراء.

قال عمر رضي الله عنه: فكثر اللَّغَطُ، وارتفعت الأصوات، حتى فَرِقْتُ من

---

(١) **جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ**: هو تصغير جذل، وهو العود الذي ينصب للإبل الجربى لتحتك به، وهو تصغير تعظيم؛ أي: أنا ممن يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود. «النهاية» لابن الأثير (١/ ٤١٨).

(٢) **عُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ**: مصغر العَذق (بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة): النخل، و(بالكسر): القنو منها. **والمُرَجَّبُ**: اسم مفعول من قولك رَجَّبتُ النخلة ترجيبًا إذا دعمتها ببناء أو غيره خشية عليها لكرامتها وطولها وكثرة حملها أن تقع أو ينكسر شيء من أغصانها أو يسقط شيء من حملها. «عمدة القاري» (٢٤/ ١٢)، «إرشاد الساري» للقسطلاني (١٠/ ٢٤). والمقصود أنه الذي ينبغي الرجوعُ إلى قوله.

الاختلاف، فقلتُ: ابْسُطْ يدك يا أبا بكر نبايعك، فأنتَ سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، يا معشر الأنصار! ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يؤمّ الناس؟ فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نفسه أن يتقدم أبا بكر؟

فقالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر.

فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار(١). فكشف الله بالصدِّيق الكربة، ووقى به المسلمين شرّ الفرقة، وأقام به الدين.

وإنما سارع المسلمون إلى تعيين الخليفة «حتّى لا يجد الشيطان سبيلًا إلى تفريق كلمتهم، وتمزيق شملهم، ولا تلعب الأهواء بقلوبهم، وليفارق رسول الله ﷺ هذه الدّنيا وكلمة المسلمين واحدة، وشملهم منتظم، وعليهم أمير يتولّى أمورهم، ومنها تجهيز رسول الله ﷺ ودفنه»(٢).

البيعة العامة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

وعندما كان الغد ـ أي: يوم الثلاثاء ـ جلس عمر رضي الله عنه على المنبر، فقام وتكلّم قبل أبي بكر رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني كنتُ قلت لكم بالأمس مقالةً ما كانت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدًا عَهِدَهُ إِلَيّ رسول الله ﷺ، ولكني قد كنتُ أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يَدْبُرَنَا(٣)، فإن يَكُ محمد ﷺ قد مات، فإنّ الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورًا تهتدون به، قد أبقى فيكم

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (١/ ١٩٩: ١٨، ٤٥٢: ٣٩١، ٦/ ٣٠٩: ٣٧٦٥)، «صحيح البخاري» (٥/ ٧: ٣٦٦٨، ٨/ ١٦٩: ٦٨٣٠)، «صحيح ابن حبان» (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٧: ٤١٤). (مجموعًا منسقًا).

(٢) «السيرة النبوية» لأبي الحسن الندوي (ص٤١٣).

(٣) **يَدْبُرَنَا**: أي: يَخْلُفَنا بعد موتنا، ويبقى حتى يكون آخرنا وفاة. يقال: دَبَرْتُ الرجل إذا بقيت بعده. [انظر: «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٩٨)، مادة: (دبر)].

كتابه الذي به هَدَى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فإنه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا فبايعوه. وقال لأبي بكر: «اصعد المنبر»، فلم يزل به حتى صَعِدَ المنبر، فبايع الناس أبا بكر رضي الله عنه بيعة العامة بعد بيعة السقيفة(١).

فرحم الله عمر فقد وقف موقفًا عظيمًا حين حثّ الناس على بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبيَّن فضله ومكانته، حتى جمعهم الله عليه، فأيّد الله به الإسلام، وأنقذ به المسلمين من الاختلاف والفرقة، وردّ كيد الكائدين؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «لما تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ ارتدّت العرب، وَاشْرَأَبَّت اليهودية والنصرانية، وَنَجَمَ النفاق، وصار المسلمون كالغنم الْمَطِيرَة في الليلة الشَّاتِية، لِفَقْدِ نبيهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبي بكر رضي الله عنه»(٢).

زهد أبي بكر رضي الله عنه في الخلافة

لم يكن أبو بكر رضي الله عنه حريصًا على الإمارة بل كان كارهًا لها، متهيّبًا وَجِلًا من عظم المسؤولية وثقل الأمانة، فاعتذر إلى الناس بعد البيعة وقال: «والله ما كنتُ حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلةً قط، ولا كنت فيها راغبًا، ولا سألتها الله عز وجل في سِرّ ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، ولكن قُلِّدْتُ أمرًا عظيمًا ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، وَلَوَدِدْتُ أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم»(٣).

---

(١) «صحيح البخاري» (٩/ ٨١: ٧٢١٩)، «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٠ ـ ٦٦١).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٥).

(٣) «المستدرك» للحاكم (٣/ ٧٠: ٤٤٢٢) وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي. «السنن الكبرى» للبيهقي (٨/ ٢٦٣: ١٦٥٨٧). وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٩٣): «إسناده جيد».

وقال رافع الطَّائِيّ[(١)] رفيق أبي بكر رضي الله عنهما في غزوة السلاسل: «سألتُ أبا بكر عمّا قيل من بيعتهم، فقال ـ وهو يُحَدِّثُهُ عَمَّا تَكَلَّمَتْ به الأنصار وما كَلَّمَهُمْ به، وما كَلَّمَ به عمر بن الخطاب الأنصار، وما ذَكَّرَهُمْ به من إمامتي إيَّاهُمْ بأمر رسول الله ﷺ في مرضه ـ: فبايعوني لذلك، وقبلتُها منهم، وَتَخَوَّفْتُ أن تكون فتنة، وتكون بعدها رِدَّةٌ»[(٢)].

قال ابن كثير: ومعنى هذا أنه رضي الله عنه إنما قَبِلَ الإمامة؛ تَخَوُّفًا أن تقع فتنة أَرْبى من تَرْكِه قبولها رضي الله عنه وأرضاه[(٣)].

مبايعة علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما

الثابت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه بايع أبا بكر رضي الله عنه في المسجد يوم البيعة العامة، كما حدّث أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن بيعة السقيفة فقال: «لما قعد أبو بكر على المنبر نَظَر في وجوه القوم فلم يَرَ عليًّا فسأل عنه، فقام ناس من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وخَتَنه أردتَ أن تَشُقَّ عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ؛ فَبَايَعَه، ثم لم يَرَ الزبير بن العوام فسأل عنه حتى جاءوا به، فقال: ابن عمة رسول الله ﷺ وحَوَارِيَّه أردتَ أن تَشُقَّ عصا المسلمين؟ فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ؛ فَبَايَعَاهُ»[(٤)].

---

(١) اختلف في صحبة رافع الطائي؛ قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٣٦٦): «قال مسلم وأبو أحمد الحاكم: له صحبة؛ وقال ابن سعد: لم ير النبي ﷺ؛ وكذا عدّه العِجليّ في التابعين».

(٢) «مسند أحمد» (١/ ٢١٥: ٤٢). قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٨٨): «إسناده جيد قوي».

(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ٨٨).

(٤) «المستدرك» للحاكم (٣/ ٨٠: ٤٤٥٧) وصحَّحه، «السنن الكبرى» للبيهقي (٨/ ٢٤٦: ١٦٥٣٨)، وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٥/ ٤٩٠: ٢١٦١٨)، =

ولكن روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لِعَلِيٍّ من الناس وجهٌ حياة فاطمة[(١)]، فلما تُوُفِّيَت استنكر عَلِيٌّ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر: أن ائتنا ولا يأتنا أحد معك، كَرَاهِيَةً لِمَحْضَرِ عمر[(٢)]. فقال عمر: لا والله، لا تدخل عليهم وحدك. فقال أبو بكر: وما عَسَيْتَهُمْ أن يفعلوا بي، والله لآتِيَنَّهُمْ؛ فدخل عليهم أبو بكر، فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ رضي الله عنهما، فقال: إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم نَنْفَسْ عليك خيرًا[(٣)] ساقه الله إليك، ولكنك اسْتَبْدَدْتَ علينا بالأمر[(٤)]، وكنا نرى لِقَرَابَتِنَا من رسول الله ﷺ

= والطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ١١٤: ٤٧٨٥) مختصرًا، وصحّحه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٩٢)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٨٣): «رجاله رجال الصحيح». وقال البيهقي في «السنن الكبرى»: «قال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة، يقول: جاءني مسلم بن الحجاج ـ صاحب الصحيح ـ فسألني عن هذا الحديث، فكتبته له في رقعة وقرأت عليه، فقال: هذا حديث يَسْوِي بَدَنَة ـ أي: ناقة عظيمة ـ. فقلت: بل هو يسوي بَدْرَةً ـ أي: كيسًا مملوءًا من الدنانير ـ».

(١) أي: كان الناس يحترمونه إكرامًا لفاطمة رضي الله عنها، فلما ماتت واستمر عَلِيّ رضي الله عنه على عدم الحضور عند أبي بكر رضي الله عنه قصر الناس عن ذلك الاحترام، وكأنهم كانوا يعذرونه في التخلف عن أبي بكر مدة حياة فاطمة لِشُغْلِهِ بها وتمريضها وَتَسْلِيَتِهَا عَمَّا هي فيه من الحزن على أبيها ﷺ. «فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٤٩٤).

(٢) وذلك لِمَا عرفوه من قُوَّةِ عُمَرَ وَصَلَابَتِهِ في القول والفعل، فربما تصدر منه معاتبة تُفْضِي إلى خلاف ما قصدوه من المصافاة. «إرشاد الساري» للقسطلاني (٦/ ٣٧٦).

(٣) **لَمْ نَنْفَسْ** (بفتح النون الأولى وسكون الثانية وفتح الفاء)؛ أي: لم نحسدك على خير ساقه الله إليك، وهو الخلافة. «عمدة القاري» (١٧/ ٢٥٩).

(٤) يقصد علي رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه لم يستشره في عقد الخلافة له يوم السَّقِيفَة، ولم ينتظر حضوره، مع قرابته من رسول الله ﷺ وفضله وسبقه. ولعل عليًّا رضي الله عنه =

نصيبًا؛ حتى فاضت عينا أبي بكر. فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده لَقَرَابَةُ رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، وأما الذي شَجَرَ بيني وبينكم من هذه الأموال، فلم آلُ فيها عن الخير، ولم أترك أمرًا رأيتُ رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعتُه، فقال عَلِيٌّ لأبي بكر: موعدك العَشِيَّةَ للبيعة، فلما صلى أبو بكر الظهر رقي على المنبر، فتشهد، وذكر شأن عَلِيٍّ وَتَخَلُّفَه عن البيعة، وعذره بالذي اعتذر إليه؛ ثم استغفر وتشهد عَلِيٌّ، فَعَظَّمَ حق أبي بكر، وَحَدَّثَ: أنه لم يحمله على الذي صنع نَفَاسَةً ـ أي: حسدًا ـ على أبي بكر، ولا إنكارًا لِلّذي فَضَّلَهُ الله به، ولكنّا نرى لنا في هذا الأمر نصيبًا، فَاسْتَبَدَّ علينا، فوجدنا في أنفسنا. فَسُرَّ بذلك المسلمون، وقالوا: أصبت. وكان المسلمون إلى عَلِيٍّ قريبًا، حين راجع الأمر المعروف(١).

فهذا الحديث في ظاهره يخالف حديث أبي سعيد الخدري المتضمّن لبيعة عليّ لأبي بكر رضي الله عنهما أوّل الأمر، ولكن يمكن الجمع بينهما بأن عليًّا رضي الله عنه بايع أوّلًا، ثم حدثت بينه وبين أبي بكر جفوة بسبب الخلاف الذي وقع بينه وبين فاطمة رضي الله عنها في أمر الميراث، فجدّد البيعة بعد وفاتها؛ إزالةً لتلك الجفوة، ودفعًا للظنون؛ قال الحافظ ابن كثير ـ بعد أن ذكر حديث أبي سعيد ـ: «وفيه فائدة جليلة وهي مبايعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه إمّا في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة. وهذا حق فإن عليّ بن أبي طالب لم يفارق الصدِّيق في وقت من الأوقات، ولم

= لم يقف على حقيقة الحال، فالصديق رضي الله عنه لم يستبد بالأمر، ولم يحضر السقيفة عن ميعاد، ولم يقبل الخلافة حرصًا عليها ولا رغبةً فيها، وإنما قبلها تخوُّفًا من أن يتعلق بها مَن لا يستحقها فيقع الشر والفتنة والفرقة.

(١) «صحيح البخاري» (٥/ ١٣٩ : ٤٢٤٠)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٣٨٠ : ١٧٥٩).

ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وخرج معه إلى ذِي الْقَصَّةِ[١]، لما خرج الصدِّيق شاهرًا سيفه يريد قتال أهل الردّة، ولكن لمّا حصل من فاطمة رضي الله عنها عتب على الصديق بسبب ما كانت مُتَوَهِّمَةً من أنها تستحق ميراث رسول الله ﷺ...، واحتاج عَلِيٌّ أن يراعي خاطرها بعض الشيء، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها ﷺ رأى عَلِيٌّ أن يُجَدِّد البيعة مع أبي بكر رضي الله عنهما، مع ما تقدّم له من البيعة قبل دفن رسول الله ﷺ»[٢].

خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد البيعة

بعد أن تمت البيعة تكلم أبو بكر رضي الله عنه، فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإني قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم[٣]، فإن أحسنتُ فَأَعِينُونِي، وإن أسأتُ فَقَوِّمُونِي، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أُرِيحَ عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يَدَعُ قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عَمَّهُم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[٤].

---

(١) **ذو الْقَصَّةِ** (بفتح القاف وتشديد الصاد): موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلًا، في طريق الرَّبَذَة. «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٢/ ١٤٢).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٩٢).

(٣) قوله هذا من باب التواضع منه رضي الله عنه، وإلا فالصحابة مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضي الله عنهم أجمعين. «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٩٠).

(٤) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦١)، وصحَّحه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٩٠).

دروس وعبر

١ ـ فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه على سائر الصحابة، وأنه أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ، وأقربهم منه.

وقد خصّه الرسول ﷺ بأمور تدل على أفضليته وأحقّيته للخلافة ومنزلته العظيمة: فاستخلفه في الصلاة بالناس عند مرضه.

وأصرّ على أن لا يصلي بهم غيره.

وأمر بِسَدّ الأبواب إلا باب أبي بكر. وقد أقرّ له الصحابة بفضله وسابقته، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قدّمه للبيعة: «أنت سيدنا، وخيرنا، وأحبّنا إلى رسول الله ﷺ»(١).

وخطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟ أبو بكر الصديق، ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها وبعد أبي بكر؟ فقال: عمر»(٢).

فلا يحبّ الصِّدِّيق إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق.

٢ ـ كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا اختلفوا سارعوا إلى ردّ الأمر المختلف فيه إلى كتاب الله وإلى سُنَّة رسوله ﷺ، وسرعان ما يرتفع الخلاف؛ فاختلفوا في وفاة الرسول ﷺ، ثم ارتفع الخلاف بآية من كتاب الله، واختلفوا في الخلافة ثم ارتفع الخلاف بحديث رسول الله ﷺ،

---

(١) «صحيح البخاري» (٥/ ٧: ٣٦٦٧).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢/ ٢٢٠: ٨٧١). وورد بنحوه في «صحيح البخاري» (٥/ ٧) عن محمد بن الحنفية عن علي.

فاتفقوا على أبي بكر. وهم مع اختلافهم كانت قلوبهم متآلفة، لا تشاحن بينهم ولا تباغض، ولا يعنّف أحدهم الآخر، ولا يسفّه رأيه؛ قال القرطبي: «وما زالت الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث وهم مع ذلك متآلفون»[١]. وذلك لأن قصدهم هو الوصول إلى الحق، وليس التغلّب وفرض الرأي على الآخرين.

٣ ـ المسلم رجّاع إلى الحق متى استبان له، ولا يمنعه من ذلك قالة الناس ولائمتُهم، فالرجوع إلى الحق فريضة وفضيلة يدل على شرف صاحبه، وعلوّ مرتبته، وإخلاصه ورغبته الصادقة في الوصول إلى الحق، وهكذا فعل عمر رضي الله عنه عند وفاة رسول الله ﷺ، فبعد أن أنكر وفاته من شدة الفزع قام في اليوم الثاني خطيبًا واعتذر عمّا بدر منه بالأمس، وأيّد أبا بكر رضي الله عنه في مقولته، واعترف له بفضله وسابقته في الإسلام.



(١) «تفسير القرطبي» (٤/ ١٥٩).

الفصل الرابع

تجهيز الجسد الشريف ودفنه ﷺ

تغسيل النبي ﷺ

حار الصحابة رضي الله عنهم في أمر غسله ﷺ، وتزاحموا عليه، «فأمرهم أبو بكر أن يغسله بنو أبيه»[١].

قالت عائشة رضي الله عنها: لما أرادُوا غسلَ النبي ﷺ اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري كيف نصنع؟ أنُجَرِّدُ رسولَ الله ﷺ مِن ثيابه كما نُجرِّد موتانا أم نُغَسِّلُهُ وعليه ثيابُه؟ فلمَّا اختلفُوا ألقى الله عز وجل عليهم النومَ حتى ما مِنهم رجل إلا وذَقَنُهُ في صدره، ثم كلَّمَهم مُكلِّم من ناحيةِ البيت لا يدرُونَ مَن هو فقال: أن اغسِلوا النبي ﷺ وعليه ثيابُه، فقامُوا إلى رسولِ الله ﷺ فغَسلوه وعليه قميصُه، يَصُبُّون الماءَ فوق القميصِ، ويدلكونه بالقميص دون أيديهم[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لما اجتمع القوم لغسل رسول الله ﷺ، وليس في البيت إلا أهله: عمه العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي

(١) «الشمائل المحمدية» للترمذي (ص٣٣٨)، وصحَّحه البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٢/ ٥٣٤). وانظر: «مختصر الشمائل» (ص١٩٨).

(٢) «مسند أحمد» (٤٣/ ٣٣١: ٢٦٣٠٦)، «سنن أبي داود» (٥/ ٦٠: ٣١٤١)، «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٩٥: ٦٦٢٧)، وصحَّحه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٥٧٥).

طالب، والفضل بن العباس، وقُثَم بن العباس، وأسامة بن زيد بن حارثة، وصالح مولاه، فلما اجتمعوا لِغَسله نادى من وراء الباب أوسُ بن خَوْلِيّ الأنصاري ـ أحد بني عوف بن الخزرج، وكان بدريًّا ـ عَلِيَّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، فقال له: يا عليّ، نَشَدْتُكَ الله، وَحَظَّنَا من رسول الله ﷺ؛ فقال له عليّ: ادخل؛ فدخل فَحَضَر غسل رسول الله ﷺ، ولم يَلِ مِن غَسله شيئًا، فأسنده ـ أي: عليّ ـ إلى صدره، وعليه قميصه، وكان العباس والفضل وقُثم يُقَلِّبُونَهُ مع علي بن أبي طالب، وكان أسامة بن زيد وصالح مولاهما يَصُبَّانِ الماء، وجعل عليّ يغسله(١).

ورُوي عن علي رضي الله عنه أنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ: أن لا يُغَسِّلَه أحد غيري، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طُمِسَتْ عيناه(٢)، قال عَليّ: فكان العباس، وأسامة يُنَاوِلَانِي الماء من وراء السّتر، قال عَلِيّ: فما تناولتُ عضوًا إلا كَأَنَّمَا يُقَلِّبُهُ معي ثلاثون رجلًا حتى فرغتُ من غسله(٣).

---

(١) «مسند أحمد» (٤/ ١٨٦ : ٢٣٥٧). قال ابن حجر في «التلخيص» (٢/ ٢١٦): «في إسناده حسين بن عبد الله وهو ضعيف»، وحسّنه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند بشواهده.

(٢) وتقدير الكلام: فإني أخشى على غيرك أن تحين منه لفتة فتطمس عيناه، وأمّا أنت يا علي فأعرف تحرزك عن ذلك، فلا أخشى عليك. «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (١٢/ ١٥٩).

(٣) «مسند البزار» (٣/ ١٣٥ : ٩٢٥)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٤٤). قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٥٧٦): «كيسان القصّار ـ أحد رواة الحديث ـ يروي عنه أيضًا القاسم بن مالك وأسباط، ومولاه كأنه مجهول، وهو ضعيف». وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٦): «رواه البزار، وفيه يزيد بن بلال، قال البخاري: فيه نظر؛ وبقية رجاله وُثّقوا، وفيهم خلاف»، اهـ. ورواية البزار ليست فيها الزيادة الأخيرة.

وقال أبو جعفر محمد بن عَلِيّ: غُسّل ﷺ ثلاث غسلات بماءٍ وسدرٍ من بئر يقال لها: الغَرْس بِقُباء[(١)]، وكانت هذه البئر لِسَعد بن خَيْثَمَة، وكان النبي ﷺ يشرب منها[(٢)]. وكان قد أوصى عليًا رضي الله عنه بذلك فقال: **«إذا أنا مُتُّ فاغسلوني بِسَبْعِ قِرَبٍ من بئري[(٣)]، بئر غَرْس»[(٤)]**.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: غَسَّلْتُ رسول الله ﷺ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ ما يكون من الميّت فَلَمْ أَرَ شيئًا، وكان صلى الله عليه وآله وسلم طَيِّبًا حيًّا وميِّتًا[(٥)].

تكفين النبي ﷺ

قالت عائشة رضي الله عنها: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بِيضٍ

---

(١) تقع بئر غرس الآن بين قربان والعوالي، على يسار الذاهب من قربان إلى العوالي، وكانت وسط الشجر والنخيل، وأصبحت اليوم في ظل مبنى معهد دار الهجرة، المعروف بمدارس الشاوي الأهلية. «من معالم المدينة» لمحمد علي كاتبي (ص٢٧).

(٢) «السنن الكبرى» للبيهقي (٣/ ٥٥٥: ٦٦٥٧). وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢١٦): «هو مرسل جيد».

(٣) الإضافة هنا إضافة تمييز لا تمليك، فالنبي ﷺ إنما أضاف البئر إلى نفسه؛ لأنه كان يشرب من مائها ويتوضأ منها.

(٤) «سنن ابن ماجه» (٢/ ٤٥١: ١٤٦٨). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص٣٠٨): «إسناده جيد». وخالفه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٢٦). ولكن يشهد له المرسل السابق، وأيضًا ما رواه ابن النجار في «تاريخه» بسند ضعيف كما في «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (ص٣٠٨) عن إبراهيم بن إسماعيل رحمه الله: «أن النبيّ ﷺ تَوَضَّأ منها وبَزَقَ فيها، وغُسِّل منها حين تُوُفِّيَ».

(٥) «المستدرك» للحاكم (٣/ ٦١: ٤٣٩٧) وصحّحه، ووافقه الذهبي، «السنن الكبرى» للبيهقي (٤/ ٨٧: ٧٠٤٣)، وصحّحه النووي في «خلاصة الأحكام» (٢/ ٩٣٦)، وابن الملقن في «البدر المنير» (٥/ ٢٠٠).

سَحُولِيَّةٍ[١]، جُدُدٍ، مِنْ كُرْسُفٍ ـ أي: القطن ـ، ليس فيها قَمِيصٌ ولا عمامةٌ[٢].

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاث رِيَاطٍ[٣] بيض سَحُولِيَّةٍ»[٤].

وكان ﷺ قد أُدْرِجَ ـ أي: كُفِّن ـ في حُلَّةٍ يَمَنِيَّةٍ كانت لعبد الله بن أبي بكر، ثم نُزِعَتْ عنه، فرفع عبد الله الْحُلَّةَ، فقال: لَأَحْبِسَنَّهَا حتى أُكَفِّنَ فيها نفسي، ثم قال: لم يُكفَّن فيها رسول الله ﷺ، وأُكَفَّنُ فيها، فَتَصَدَّقَ بها[٥]. ومن أجل ذلك توهم البعض أنه ﷺ كفّن في ثوب حِبَرَة، قال عروة رحمه الله: ذكروا لعائشة رضي الله عنها قولهم: كفّن في ثوبين وَبُرْدِ حِبَرَةٍ، فقالت: «قد أُتِيَ بِالبُرْدِ، ولكنهم رَدُّوهُ، ولم يُكفّنوه فيه»[٦].

---

(١) **السَّحُولِيَّةُ**: (بِفَتْح السِّين وضَمِّها والفَتْح أَشْهَر، وهو رواية الأكثرين)، وهي ثياب بِيضٌ نَقِيَّةٌ لا تكون إلا من القطن، ولم يَخُصَّهَا بعضهم بالقطن. «شرح النووي على مسلم» (٧/٧). وقال ابن الأثير: «والفتح: منسوب إلى السَّحُولِ، وهو القَصَّار؛ لأنه يَسْحَلُ الثياب: أي: يغسِلها، أو إلى سَحُولٍ وهي قرية باليمن، وأما الضم: فهو جمع سَحْلٍ، وهو الثوب الأبيض النَّقي، ولا يكون إلا من قُطن، وفيه شذوذ؛ لأنه نُسِبَ إلى الجمع. وقيل: إن اسم القرية بالضم أيضًا». [«النهاية» لابن الأثير (٢/٣٤٧)، مادة: (سحل)].

(٢) «صحيح البخاري» (٢/٧٥: ١٢٦٤)، «صحيح مسلم» (٢/٦٤٩: ٩٤١). ولفظ: «جدد» زيادة من «مسند الإمام أحمد» (٤١/٣٦٣: ٢٤٨٦٩).

(٣) **الرَّيْطَة**: كل مُلاءة ليست لِفْقَين؛ أي: قطعتين، كلّها نَسْج واحد، وقد يسمى كل ثوب رقيق: رَيْطَة، والجمع رَيْطٌ ورِياط. [انظر: «القاموس المحيط» (ص٦٦٨)، «المصباح المنير» للفيومي (١/٢٤٨)، مادة: (ريط)].

(٤) «سنن ابن ماجه» (٢/٤٥٢: ١٤٧٠)، وحسَّنه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/٢٧)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لابن ماجه.

(٥) «صحيح مسلم» (٢/٦٤٩، ٦٥٠: ٩٤١).

(٦) «سنن الترمذي» (٣/٣١٢: ٩٩٦) وقال: «حسن صحيح». «سنن أبي داود» =

وأما القميص الذي غُسِّلَ فيه النبي ﷺ فإنه نُزِعَ عنه عند تكفينه. قال النووي: وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره؛ لأنه لو بقي مع رطوبته لَأَفْسَد الأكفان. وأما الحديث الذي في «سنن أبي داود» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن «النبي ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة أثواب: الْحُلَّةُ ثوبان، وقميصه الذي مات فيه»[١]، فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به؛ لأنّ يزيد بن أبي زياد أحد رواته مجمع على ضعفه، لا سيما وقد خالف بروايته الثقات[٢]. ويرده أيضًا حديث عائشة رضي الله عنها السابق، حيث إنها نفت عنه القميص، وهو متفق على صحته، قال الترمذي: «قد روي في كفن النبي ﷺ روايات مختلفة؛ وحديث عائشة رضي الله عنها أصحّ الأحاديث في ذلك، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم»[٣].

كيفية الصلاة على الرسول ﷺ

لما فرغ الناس من جهاز رسول الله ﷺ وضعوه على سرير في بيته[٤]، وقال الناس لأبي بكر: يا صاحب رسول الله، أَنُصَلِّي على رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قالوا: كيف نُصَلِّي عليه؟ قال: يَدْخُلُ قومٌ فَيُكَبِّرُونَ، وَيَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ، ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ، وَيَجِيءُ آخرون، حتى يَفْرُغُوا[٥].

= (٥/ ٦٧: ٣١٥٢)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(١) «سنن أبي داود» (٥/ ٦٧: ٣١٥٣).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٧/ ٨).

(٣) «سنن الترمذي» (٣/ ٣١٣).

(٤) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٢٩٢).

(٥) «المعجم الكبير» للطبراني (٧/ ٥٧: ٦٣٦٧). وقال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٨٣): «رجاله ثقات»، وصحَّحه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ١٤٦)، وانظر: «مختصر الشمائل» (ص١٩٨).

فكان أوّلهم عليه صلاةً العباس عمّه، ثم بنو هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم سائر الناس[(١)]، أُدْخِلَ الرجال فَصَلَّوْا عليه بغير إمام أَرْسَالًا ـ أي: جماعة بعد جماعة ـ حتى فرغوا، ثم أُدْخِلَ النساء فَصَلَّيْنَ عليه، ثم أُدْخِلَ الصبيان فَصَلَّوْا عليه، ثم أُدْخِلَ العبيد فَصَلَّوْا عليه أَرْسَالًا، لم يَؤُمّهم على رسول الله ﷺ أحد[(٢)]، حتى لم يبق أحد بالمدينة حرّ ولا عبد إلا صلى عليه[(٣)]، وكانوا يدخلون من باب فيصلون عليه، ثم يخرجون من الباب الآخر[(٤)]. قال الحافظ ابن دِحْية: وكان المصلون عليه ثلاثين ألفًا[(٥)].

وروي أنّه لمّا صلّى أهل بيته لم يدر النّاس ما يقولون؟ فسألوا ابن مسعود ﷺ؛ فأمرهم أن يسألوا عليًا، فقال لهم: قولوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، لبّيك اللّهُمَّ ربّنا وسعديك، صلوات الله البرّ الرّحيم، والملائكة المقرّبين، والنّبيّين والصّدّيقين، والشّهداء والصّالحين، وما سبّح لك من شيء يا ربّ العالمين، على محمّد بن عبد الله خاتم النّبيّن، وسيّد المرسلين، وإمام المتّقين، ورسول ربّ العالمين، الشّاهد البشير، الدّاعي إليك بإذنك، السّراج المنير، وعليه السّلام[(٦)].

---

(١) «الفصول في السيرة» لابن كثير (ص٢٢٢).

(٢) «السنن الكبرى» للبيهقي (٤/ ٤٨: ٦٩٠٧)، «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٣).

(٣) «مسند أبي يعلى» (٨/ ٣٦٨: ٤٦٠). قال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٢/ ٥٣٣): «رواته ثقات».

(٤) «مسند أحمد» (٣٤/ ٣٦٥: ٢٠٧٦٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٧): «رجاله رجال الصحيح، وصحّحه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند».

(٥) «البدر المنير» لابن الملقن (٥/ ٢٧٩).

(٦) «المواهب اللدنية» للقسطلاني (٣/ ٥٨١). وحكاه الحافظ ابن حجر عن عليّ ﷺ وسكت عليه، كما في الجواب الذي نقله عنه عَصْرِيُّه الحافظ محمد =

وكان من دعائهم على الجنازة ما رواه محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمي فقال: «لَمَّا كُفِّنَ رسول الله ﷺ وَوُضِعَ على سريره دخل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقالا: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار قدر ما يَسَعُ البيت، فَسَلَّمُوا كما سَلَّمَ أبو بكر وعمر وصَفُّوا صفوفًا، لا يَؤُمُّهُمْ عليه أحد، فقال أبو بكر وعمر وهما في الصف الأول حِيَال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إنا نشهد أن قد بَلَّغَ ما أُنْزِلَ إليه، ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه، وتمت كلماته، فآمن به وحده لا شريك له، فاجعلنا يا إلٰهنا ممن يتبع القول الذي أُنْزِلَ معه، واجمع بيننا وبينه حتى يَعْرِفَنَا وَنَعْرِفَهُ، فإنه كان بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا، لا نبتغي بالإيمان بدلًا، ولا نشتري به ثمنًا أبدًا». فيقول الناس: آمين آمين؛ ثم يخرجون ويدخل آخرون، حتى صَلَّوْا عليه، الرجال ثم النساء ثم الصبيان»[1]. وإنما خصّوا هذا الدعاء بالذكر؛ لأنه الذي يليق بمقامه ﷺ.

قال العلَّامة علي الحلبي: وهذا يدل (بظاهره) على أن المراد بالصلاة عليه ﷺ الدعاء، لا الصلاة على الجنازة المعروفة عندهم، والصحيح أن هذا الدعاء كان ضمن الصلاة المعروفة التي بأربع تكبيرات[2]. وقال العلامة الشمس الشامي: والصحيح الذي عليه الجمهور أن صلاة الصحابة عليه كانت حقيقة، لا مجرد الدعاء

= الغرابيلي. انظر: «ذخيرة العقبى» لمحمد بن علي الأثيوبي (١٥/ ١٩٦)، وقال السخاوي في «القول البديع» (ص٥٤): «رويناه من حديث عليّ في الشفاء»، لكن لم أقف على أصله.

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٢٩٠). قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٥٧٩): «مرسل ضعيف، لكنه حسن المتن».

(٢) «السيرة الحلبية» (٣/ ٥٠٣).

فقط[1]، وقال الحافظ أبو الفضل العراقيّ في «ألفية السيرة» المسمّاة بـ«الدّرر السَّنية في نظم السير الزكية»[2]:

وَقِيلَ: مَا صَلَّوا عَلَيْه، بَل دَعَوْا وانصَرفُوا، وذَا ضعيفٌ، ورَوَوْا
عَن مالكٍ أن عدد الصّلاة تسعون واثنان من المرّاتِ
وليسَ ذَا متَّصِلَ الإسنَادِ عن مالكٍ في كُتُبِ النُّقّادِ

قال العلَّامة أبو عمر ابن عبد البر: وأما صلاة الناس عليه أفذاذًا فَمُجْتَمَعٌ عليه عند أهل السِّيَر وجماعة أهل النقل لا يختلفون فيه[3]. وقال الحافظ ابن كثير: وهذا الصَّنِيعُ، وهو صلاتهم عليه فرادى لم يَؤُمَّهُمْ أحد عليه، أمرٌ مُجْمَعٌ عليه، لا خلاف فيه[4].

وأما من حكى الخلاف فقد تَوَهّم وخالف الحقيقة، قال ابن دحية: «هو باطل بِيَقِينٍ»[5]، وقال العلامة الصالحي: وافق أبا عمر على ذلك خلائق من العلماء حكوا فيه الإجماع. وتعقّب أبا عمر بعضُ المغاربة بأن ابن القصّار حكى الخلاف هل صلّوا عليه الصلاة المعهودة أو دَعَوا فقط؟ وهل صلّوا أفرادًا أو جماعة؟ واختلفوا فيمن أمّ بهم، فقيل: أبو بكر؛ وروي ذلك بإسناد لا يصحّ؛ فيه حرام بن عثمان وهو ضعيف جدًّا. قال ابن دحية: وهو ضعيف بِيَقِين؛ لِضَعف رواته وانقطاعه.

وتعقّبه بعض العلماء بوجوه:

الأوّل: أن الموجود في كتب المغازي والحديث هو ما ذكره

---

(١) «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (١٢/ ٣٣٢).
(٢) «ألفية السيرة النبوية» للعراقي (ص١٥٤).
(٣) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٤/ ٣٩٧).
(٤) «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ١٣٤).
(٥) «التلخيص الحبير» لابن حجر (٢/ ٢٥١).

ـ أي: أبو عمر ـ ولم يوجد أنهم صلَّوا عليه بإمام في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف.

الثاني: قال الإمام الشافعي ويحيى بن معين والجوزجاني: الرواية عن حَرَامٍ حَرَامٌ، وقال الإمام مالك ويحيى: ليس بثقة؛ واتهمه غير واحد من الحفاظ.

الثالث: حديث ابن مسعود السابق، وقد ورد من طرق يقوي بعضها بعضًا ويرتقي بها الحديث إلى قريب من درجة الحسن، وهو نَصّ فيما قاله أبو عمر(١).

سبب الصلاة عليه فرادى:

اختلف العلماء في تعليله، فقال بعضهم: إنما لم يؤمّهم أحد؛ لِيُبَاشِرَ كل واحد من الناس الصلاة عليه منه إليه، وَلِتُكَرَّرَ صلاة المسلمين عليه مرّة بعد مرّة، من كل فرد فرد من آحاد الصحابة، رجالهم ونساؤهم وصبيانهم حتى العبيد والإماء(٢).

وقال الإمام الشافعي: صَلَّى الناس على رسول الله ﷺ أفرادًا لا يَؤُمُّهُمْ أحد، وذلك لِعِظَمِ أمر رسول الله ﷺ، وتنافسهم في أن لا يَتَوَلَّى الإمامة في الصلاة عليه واحد(٣).

وقال السُّهيلي: وجه الفقه فيه: أن الله تبارك وتعالى افترض الصلاة عليه بقوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وحكم هذه الصلاة التي تضمنتها الآية ألا تكون بإمام، والصلاة عليه عند موته داخلة

---

(١) «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (١٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٢).
(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ١٣٤).
(٣) «الأم» للشافعي (١/ ٣١٤).

في لفظ الآية، وهي متناولة لها وللصلاة عليه على كل حال.

وأيضًا فإن الرب تبارك وتعالى قد أخبر أنه يصلي عليه وملائكته فإذا كان الرب تعالى هو الْمُصَلّي والملائكةُ قبل المؤمنين، وجب أن تكون صلاة المؤمنين تبعًا لِصَلاة الملائكة، وأن تكون الملائكةُ هم الإمام[١].

وقيل: صلَّى عليه النّاس أفذاذًا؛ لأنّه كان آخر العهد به، فأرادوا أن يأخذَ كلُّ أَحَدٍ البركة بالصلاة عليه مختصًّا به، دون أن يكون فيها تابعًا لِغَيره[٢].

وقيل: لأنه كان إمام الأمة حيًّا ومَيّتًا[٣]، روى ابن سعد عن عليّ ﷺ أنه لَمَّا وُضِع رسول الله ﷺ على السَّرير قال عليّ: أَلَّا يقوم عليه أحد ـ لَعَلَّهُ يَؤُمَّ؟ ـ هو إمامكم حَيًّا ومَيِّتًا، فكان يدخل الناس رَسَلًا رَسَلًا[٤] فيصلون عليه صَفًّا صَفًّا، ليس لهم إمام[٥].

وقيل: لوصيّته ﷺ بذلك[٦]. وهو أقرب؛ قال السُّهيلي: وهذا خُصُوصٌ به ﷺ، ولا يكون هذا الفعل إلا عن تَوْقِيفٍ[٧]. وقال ابن الملقّن: «والصحيح أنهم صلّوا أفذاذًا، ولا يكون ذلك إلا بتوقيف، وقد رُوي أنه أوصى به»[٨]، وقال الحافظ ابن حجر: «وفي «مسند البزار»

---

(١) «الروض الأنف» للسهيلي (٧/ ٥٩٤ ـ ٥٩٥).
(٢) «القبس في شرح موطأ مالك بن أنس» لابن العربي (١/ ٤٤٩)، «سلوة الكئيب» (ص١٤٨).
(٣) «الحاوي الكبير» للماوردي (١٤/ ٩٦).
(٤) **رَسَلًا**: بفتح الراء والسين؛ أَيْ: فِرَقًا. «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٢٢٢).
(٥) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٩١).
(٦) «شرح الزرقاني على الموطأ» (٢/ ٩٥).
(٧) «الروض الأنف» للسهيلي (٧/ ٥٩٤).
(٨) «البدر المنير» لابن الملقن (٥/ ٢٧٧).

و«مستدرك الحاكم» بسند ضعيف أنه ﷺ أوصى أن يصلُّوا عليه أرسالًا بغير إمام»[١]. روى ذلك ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ جمع أصحابه في بيت عائشة رضي الله عنها قبل وفاته بأيام فقال لهم: «**إذا غَسَّلْتُمُونِي ثم وَضَعْتُمُونِي على سريري في بيتي هذا على شفير قبري، فاخرجوا عَنِّي ساعة، فإن أوّل من يصلي عَلَيّ خليلي وجليسي جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنوده، ثم الملائكة عليهم السلام بأجمعها، ثم ادخلوا عَلَيَّ فوجًا فوجًا فصلوا عَلَيَّ وسلموا تسليمًا، وَلْيَبْدَأْ بالصلاة عَلَيَّ رجال أهل بيتي، ثم أنتم بعد**»[٢]. وفي رواية: «**ثم لِيَبْدَأْ بالصلاة عَلَيَّ رجال أهل بيتي، ثم نساؤهم، ثم ادخلوا أفواجًا أفواجًا وفُرَادَى**»[٣].

قال الحافظ ابن كثير: «فلو صح الحديث الذي أوردناه عن ابن مسعود لكان نصًّا في ذلك، ويكون من باب التّعبّد الذي يعسر تَعَقُّل معناه، وليس لِأحد أن يقول: إنهم إنما صَلَّوْا عليه كذلك؛ لأنه لم يكن لهم إمام؛ لأنا قد قدمنا أنهم إنما شرعوا في تجهيزه عليه الصلاة والسلام بعد تمام بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه»[٤].

والخلاصة: أن الحديث وإن كان ضعيف الإسناد فإن مثله مقبول في باب السيرة، ثم إنه يتقوى بفعل الصحابة رضي الله عنهم واتفاقهم على الصلاة على النبي ﷺ بلا إمام، ولا يمكن الاتفاق إلا عن توقيف، فقد اختلفوا في أمورٍ كثيرةٍ ـ في غسله، وصفة قبره، وموضع دفنه، وغير ذلك ـ، ثم ارتفع الخلاف بِرَدّ الأمر إلى كتاب الله وإلى سُنَّة رسوله ﷺ، فاتفاقهم هنا يدل على وجود نصٍّ لديهم بذلك، ثم إنه يبعد من الصحابة أن يتركوا سنة رسول الله ﷺ

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٥/ ٣٦٣).
(٢) سبق تخريجه في (ص٦٤).
(٣) «المستدرك» للحاكم (٣/ ٦٢: ٤٣٩٩).
(٤) «البداية والنهاية» (٨/ ١٣٤).

في الصلاة على الجنازة جماعةً اجتهادًا من عند أنفسهم، والله أعلم.

اختلافهم في موضع دفنه ﷺ

وبعد أن فرغوا من الصلاة عليه تَشَاجَرُوا في دفنه أين يُدْفَنُ؟ فقال بعضهم: عند الْعُود الذي كان يُمْسِك بيده وتحت منبره. وقال بعضهم: بالبقيع حيث كان يدفن موتاه[(١)]؛ أي: أصحابه. فقال أبو بكر ؓ: سمعتُ من رسول الله ﷺ شيئًا ما نَسِيتُهُ، قال ﷺ: «**ما قَبَضَ الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يُحِبُّ أن يُدْفَنَ فيه**»، ادفنوه في موضع فراشه[(٢)]، وفي رواية: «فإن الله لم يَقْبِضْ رُوحَه إلا في مكانٍ طَيِّبٍ»[(٣)]، فَأَخَّرُوا فِرَاشَهُ، وحفروا له تحت فراشه[(٤)]، في الموضع الذي تُوُفِّيَ فيه من حجرة عائشة.

---

(١) «مسند أبي يعلى» (٨/ ٣٧١: ٤٩٦٢) واللفظ له، «سنن ابن ماجه» (٢/ ٥٥٠: ١٦٢٨). قال البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٢/ ٥٣٣): «رواه أبو يعلى الموصلي، وأحمد بن حنبل، ورواته ثقات»، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لابن ماجه.

(٢) «سنن الترمذي» (٣/ ٣٢٩: ١٠١٨) وقال: «حديث غريب، وعبد الرحمٰن بن أبي بكر الْمُلَيْكِيُّ يُضَعَّف من قِبَل حِفْظه»، اهـ.

قلت: ولكن له شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة، ولذلك قال الترمذي: «وقد رُوي هذا الحديث من غير وجه، رواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ». ورواه النسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٩٨) عن أبي بكر موقوفًا بسند صحَّحه ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٥٢٩). وهو في حكم المرفوع. وانظر: «أحكام الجنائز» (ص١٣٧).

(٣) «الشمائل المحمدية» للترمذي (ص٣٣٨: ٣٩٧)، «السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ٣٩٥: ٧٠٨١) وصحَّحه، البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٢/ ٥٣٤)، وابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٥٢٩).

(٤) «مسند أحمد» (١/ ٢٠٧: ٢٧). وقال الأرنؤوط في تحقيقه له: «حديث قوي بطرقه».

وبذلك تحققت رؤيا عائشة رضي الله عنها التي رأتها قبل وفاة النبي ﷺ، وحدّثت بذلك أباها فقالت: «رأيتُ كأنّ ثلاثة أقمار سَقَطَتْ في حُجْرَتِي، فسألتُ أبا بكر رضي الله عنه، فقال: يا عائشة، إن تَصْدُقْ رؤياك يُدْفَنُ في بيتك خيرُ أهل الأرض ثلاثة، فلما قُبِضَ رسول الله ﷺ وَدُفِنَ، قال لي أبو بكر: يا عائشة، هذا خيرُ أقمارك[1]، وهو أحدها»[2].

ولله دَرّ الشاعر الأندلسي حيث يقول على لسان أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها:

يا مُبْغِضِي لا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ ... فالبَيْتُ بَيْتي والمكانُ مَكاني
إنِّي خُصِصْتُ على نِساءِ مُحَمَّدٍ ... بِصِفاتِ بِرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعاني
وَسَبَقْتُهُنَّ إلى الفَضَائِلِ كُلِّها ... فالسَّبْقُ سَبْقي والعِنَانُ عِنَاني
مَرِضَ النَّبِيُّ وماتَ بينَ تَرَائِبي ... فالْيَوْمُ يَوْمي والزَّمانُ زَماني
أنا بِكْرُهُ العَذْراءُ عِنْدِي سِرُّهُ ... وضَجيعُهُ في مَنْزِلي قَمَرانِ[3]

(١) وكان الثاني هو الصِّدّيق رضي الله عنه فإنه دفن بجانب الرسول ﷺ بعد وفاته، والثالث هو الفاروق رضي الله عنه فإنه لما طعن أمر ابنه أن يستأذن عائشة كما في «صحيح البخاري» (٥/ ١٦ : ٣٧٠٠) فقال له: «انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لستُ اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه. فَسَلّم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنّ به اليوم على نفسي». وبهذا اختار الله عز وجل أن يكون الخليفتان بجوار نبيّه ﷺ بعد مماته، كما كانا رفيقين له في حياته ﷺ.

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (٢٣/ ٤٨ : ١٢٧)، «المستدرك» للحاكم (٣/ ٦٢ : ٤٤٠٠)، وصحّحه ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٨٥): «رجاله رجال الصحيح».

(٣) «القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها» (ص٤٢).

قال الإمام الذهبي: «وأما دفنه صلوات الله عليه وسلامه في بيت عائشة رضي الله عنها فَمُخْتَصٌّ به، كما خُصَّ بِبَسْطِ قَطِيفَةٍ تحته في لَحْدِه، وكما خُصَّ بأن صلّوا عليه فُرادى بلا إمام، فكان هو إمامهم حَيًّا وميّتًا، في الدنيا والآخرة»[(١)].

قال الزرقاني: «ولذا سأل موسى ربه عند موته أن يُدْنِيه من الأرض المقدسة[(٢)]؛ لأنه لا يمكن نقله إليها بعد موته، بخلاف غير الأنبياء فينقلون من بيوتهم التي ماتوا فيها إلى المدائن فالأفضل في حق من عداهم الدفن في المقبرة، فهذا من خصائص الأنبياء كما ذكره غير واحد»[(٣)].

فائدة:

حكى بعضهم أنّ مِن الصحابة مَن قال عند الاختلاف: ندفنه بمكة بلده الذي وُلد بها، وقال آخرون: بل في بيت المقدس مدفن الأنبياء[(٤)]، ولم يثبت ذلك، لا بسند صحيح ولا ضعيف؛ ثم إنه من المستبعد أن يقترح أحد أصحابه ﷺ أن يدفن في بيت المقدس، وهو دون المدينة فضلًا، ولم يذكر النبي ﷺ للدفن فيه مزية، ولم يدخل أهلها في الإسلام بعد.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٠).

(٢) كما جاء في البخاري (٢/ ٩٠: ١٣٣٩)، ومسلم (٤/ ١٨٤٢: ٢٣٧٢) في قصة ملك الموت حين أتاه ليقبض روحه، وفيها: «فسألَ الله أن يُدْنيَهُ منَ الأرضِ المقدَّسةِ رَميةً بحجَرٍ»؛ أي: أدنني إليها حتى يكون بيني وبينها هذا القدر. «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٢٠٧)، بحيث لو رمى رامٍ بحجر من ذلك الموضع الذي هو الآن موضع قبره لوصل إلى بيت المقدس، وما قارب الشيء يعطى حكمه.

(٣) «شرح الزرقاني على الموطأ» (٢/ ٩٥).

(٤) انظر: «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٦٠).

حفر القبر الشريف

وتردد الصحابة عند حفر القبر بين اللحد والشق، ولكن اختار الله لنبيه اللحد؛ قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «لما تُوُفِّيَ النبي ﷺ كان بالمدينة رجل يَلْحَدُ[١]، وآخرُ يَضْرَحُ[٢]، فقالوا: نستخير ربنا، ونبعث إليهما، فأيهما سُبِقَ تركناه، فَأُرْسِلَ إليهما، فَسَبَقَ صاحب اللحد، فَلَحَدُوا للنبي ﷺ»[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان أبو عبيدة بن الجراح يَضْرَحُ كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل يَحْفِرُ لأهل المدينة فكان يلحد، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة. وللآخر: اذهب إلى أبي طلحة، اللَّهُمَّ خِرْ لرسولك. قال: فَوَجَدَ صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة فجاء به، فَلَحَدَ لرسول الله ﷺ»[٤].

دفنه ﷺ

وقد مكث عليه الصلاة والسلام في بيته بَقِيَّةَ يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه، حتى انتهى المسلمون من إقامة خليفة عليهم، وتجهيزه

---

(١) **اللَّحْد**: الشَّق الذي يُعمل في جانب القبر من جهة القبلة لوضع الميت، سمي بذلك لأنه قد أميل عن وسط القبر إلى جانبه. «شرح النووي على صحيح مسلم» (٧/ ٣٤)، «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ٢٣٦).

(٢) **يضرح**: يشق الأرض للقبر. والضّرح: الشَّقّ، ومنه سمّي القبر ضريحًا. «سبل الهدى والرشاد» (٤/ ٢٩٨).

(٣) «مسند أحمد» (١٩/ ٤٠٨: ١٢٤١٥)، «سنن ابن ماجه» (٢/ ٥٠٢: ١٥٥٧)، وصحَّحه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٣٩)، وقال النووي في «خلاصة الأحكام» (٢/ ١٠١٣): «إسناده جيد».

(٤) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٢١٢: ٣٩). وقال الأرنؤوط: «صحيح بشواهده».

والصلاة عليه، ثم دُفن ليلة الأربعاء؛ أي: بعد ست وثلاثين ساعة من وفاته ﷺ تقريبًا؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «ما عَلِمْنَا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت الْمَسَاحِي[١] من جَوْفِ الليل ليلة الأربعاء»[٢].

قال الذهبي: خُصَّ ﷺ بتأخير دفنه يومين، ويكره تأخير أمَّته؛ لأنه هو أُمِنَ عليه التّغيُّر[٣]، بِخِلَافِنَا، ثم إنهم أخّروه حتى صلوا كلهم عليه داخل بيته، فطال لذلك الأمر، ولأنهم تَرَدَّدُوا شطر اليوم الأول في موته، حتى قدم أبو بكر الصديق من السُّنْحِ، فهذا كان سبب التأخير[٤].

وسُلَّ رسول الله ﷺ من قِبَلِ رأسه[٥]؛ أي: وضع سريره ﷺ عند مؤخر القبر، فكان رأسه الشريف بإزاء موضع قدميه من القبر، فلما أدخل القبر سلّ من قبل رأسه[٦].

---

(١) **المساحي**: جمع مِسحاة، وهي المجرفة من الحديد التي يقلع بها الطين ونحوه. «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٣٤٩)، «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٨٨).

(٢) «مسند أحمد» (٤٣/ ٣٧٠: ٢٦٣٤٩)، وقال الأرنؤوط في تحقيقه له: «حديث محتمل للتحسين».
ويوم دفنه محل خلاف بين أهل التاريخ والسير، فقيل: دفن ليلة الثلاثاء؛ وقيل: يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس. قال ابن الأثير في «جامع الأصول» (١٢/ ١١٠): «والأكثر أنه دفن ليلة الأربعاء وسط اللّيل». ورجّحه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ١٤٩) فقال: «وهو الذي نص عليه غير واحد من الأئمة سلفًا وخلفًا»، وهو الذي تنص عليه رواية عائشة.

(٣) وأما مارواه عبد الله الْبَهِيِّ فقال: «إن رسول الله ﷺ لما مات لم يُدفن حتى رَبَا بطنه ـ أي: انتفخ ـ وانْثَنَتْ خِنْصِرَاه» فهو حديث باطل؛ قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٦٠): «منكر، منقطع الإسناد».

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٠).

(٥) «السنن الكبرى» للبيهقي (٤/ ٩٠: ٧٠٥٤).

(٦) وأما ما ورد من أن النبي ﷺ: أُدخل من قِبَل القبلة! فلا يصح، وذلك لأن قبر الرسول ﷺ كان قريبًا من الجدار الذي في القبلة، وكان اللحد تحت الجدار، =

وَلُحِدَ رسول الله ﷺ لَحْدًا، وَنُصِبَ عَلَيْهِ اللَّبِنُ نصبًا[١]. ورُوي أن عددها تسع لَبِنات[٢]، وَسَوَّى لَحْدَهُ رجلٌ من الأنصار، وهو الذي سَوَّى لُحُودَ الشهداء يوم بدر[٣].

ماذا فُرش للرسول ﷺ في قبره

وجُعِلَ تحت رسول الله ﷺ حين دُفِن قَطِيفَةٌ حمراء[٤]، والذي ألقى القطيفة تحته شُقْرَان مولى رسول الله ﷺ[٥]، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبدًا، فَدُفِنَتْ مع رسول الله ﷺ[٦]. وقد روي أن النبي ﷺ كان قد أوصى بذلك؛ روى الحسن البصري أن رسول الله ﷺ قال: «**افرشوا لي قَطِيفَتَيْ في لحدي؛ فإن الأرض لم تُسَلَّطْ على أجساد الأنبياء**»[٧].

= فلم يكن من جهة القبلة ما يَسَعُ فيه الجنازة. انظر: «الأم» للشافعي (١/ ٣١١).

(١) «المستدرك» للحاكم (١/ ٥١٥: ١٣٣٩) وصحَّحه، «السنن الكبرى» للبيهقي (٤/ ٨٧: ٧٠٤٣)، وصحَّحه البوصيري في «الإتحاف» (٢/ ٥٢٥).

(٢) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٥٢)، «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (١٢/ ٣٣٥).

(٣) «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٦٠١: ٦٦٣٣). وقال الأرنؤوط في تحقيقه له: «إسناده جيد على شرط مسلم».

(٤) «صحيح مسلم» (٢/ ٦٦٥: ٩٦٧)، «السنن الكبرى» للنسائي (٢/ ٤٥٧: ٢١٥٠).

(٥) «سنن الترمذي» (٣/ ٣٥٦: ١٠٤٧) وقال: «حديث حسن غريب».
قلت: رجاله ثقات، وله شواهد تقوِّيه.

(٦) «سنن ابن ماجه» (٢/ ٥٥١: ١٦٢٨). وقال الأرنؤوط في تخريجه له: «صحيح لغيره».

(٧) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٢٩٩). قال المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٢١): «رواه ابن سعد مرسلًا، وإسناده حسن، وله شواهد». وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٤/ ١٥٠): «إسناده صحيح، لكنه مرسل».

وذكر ابن عبد البر أن تلك القطيفة استخرجت قبل أن يُهال التراب على القبر[١]، ورجحه العراقي فقال[٢]:

وَفُـرِشَـت فِـي قَـبْـرِه قَـطِـيـفَـةٌ   وَقِـيـل: أُخْـرِجَـتْ، وَهَـذَا أَثْـبَـتُ

ولكن لم يرد ذلك بسند صحيح، فإنه من رواية الواقدي عن عليّ بن حسين[٣]. وهذا مرسل، والكلام في الواقديّ شهير، فكيف يُرَجَّح ما هذا حاله على ما ثبت في «صحيح مسلم» وغيره؟![٤]، قال العلامة السِّندي: ويأباه لفظ: «فَدُفِنَتْ مع رسول الله ﷺ»[٥].

والصحيح: أن هذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام كما قال الذهبي[٦]. وحَقّ لِجَسَدٍ عصمه الله تعالى عن الْبِلَى والتّغير والاستحالة أن يُفْرَشَ له في قبره؛ لأن المعنى الذي يُفْرَشُ لِلْحَيِّ لِأجله لم يزل عنه ﷺ بِحُكْمِ الموت، وليس الأمر في غيره على هذا النمط[٧].

مَن نزل في قبر النبي ﷺ

اختلفوا فيمن أدخله فى قبره ﷺ؛ فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: وَلِيَ دَفْنَهُ وَإِجْنَانَهُ ـ أي: ستره بإدخاله في القبر ـ دُونَ الناس أربعةٌ: عَلِيٌّ والعباس والفضل وصالح مولى رسول الله ﷺ[٨]. قال البيهقي: صالح

(١) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٤٨).
(٢) «ألفية السيرة النبوية» للعراقي (ص١٥٥).
(٣) انظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٢/ ٢٦٣).
(٤) «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى» (١٩/ ٣٦٨).
(٥) «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (١/ ٤٩٧).
(٦) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٠).
(٧) «شرح المشكاة» للطيبي (٤/ ١٤٠٦).
(٨) «المستدرك» للحاكم (١/ ٥١٥: ١٣٣٩) وصحَّحه، «السنن الكبرى» للبيهقي =

مولى رسول الله ﷺ لقبه شُقران[١]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: دخل قبر النبي ﷺ العباسُ، وعَلِيٌّ، والفضلُ[٢]. وقال في رواية أخرى: ونزل في حفرته ﷺ عَلِيٌّ بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وقُثَم أخوه، وشُقران مولى رسول الله ﷺ. وقال أوس بن خَولِيّ - وهو أبو ليلى - لِعَلِيّ بن أبي طالب: أنشدُك الله وَحَظَّنا من رسول الله ﷺ؛ فقال له عليّ رضي الله عنه: انزل؛ فنزل مع القوم فكانوا خمسة[٣]. وزاد الشّعبيّ في روايته عنه: وأسامة[٤].

قال ابن الملقن: يُجمع بين هذه الروايات بأن كلّ واحدٍ روى ما رأى، أو مَن نَقص أراد به أوّل الأمر، ومن زاد أراد به آخره[٥]. وقد يكون هذا من تفاوت الرّواة في الحفظ والضبط، فمَن زاد فقد حفظ ما لم يحفظه الآخر، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

وعلى هذا يكون عدد الّذين نزلوا في قبره عليه الصلاة والسلام سبعة على الأصحّ، وهم: عمّه العباس وعليّ وقُثَم والفضل ابنا العباس وشُقران وأوس بن خَوْلي وأسامة بن زيد رضي الله عنهم أجمعين، واختاره ابن الأثير[٦].

= (٤/ ٨٧: ٧٠٤٣)، وصحَّحه النووي في «خلاصة الأحكام» (٢/ ٩٣٦)، وابن الملقن في «البدر المنير» (٥/ ٢٠٠).

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي (٤/ ٨٧: ٧٠٤٤).

(٢) «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٦٠١: ٦٦٣٣). وقال الأرنؤوط في تحقيقه له: «إسناده جيد على شرط مسلم».

(٣) «سنن ابن ماجه» (٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥١: ١٦٢٨)، «السنن الكبرى» للبيهقي (٤/ ٨٧: ٧٠٤٤). وقال الأرنؤوط في تخريجه لابن ماجه: «صحيح لغيره».

(٤) «مسند أبي يعلى» (٤/ ٢٥٣: ٢٣٦٧)، وصحَّحه محققه حسين سليم أسد.

(٥) «البدر المنير» لابن الملقن (٥/ ٣٠٨).

(٦) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ٤١).

وزاد بعضهم ابن عوف؛ قال عامر الشّعبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «غَسَّلَ رسول الله ﷺ عَلِيٌّ، والفضل، وأسامة بن زيد، وهم أدخلوه قبره»، وقال: حدثني (أبو) مَرْحَب أو ابن أبي مَرْحَب، أنهم أدخلوا معهم عبد الرحمٰن بن عوف، فلمّا فرغ عَلِيٌّ قال: إنما يَلِي الرَّجُلَ أَهْلُه[1].

قال ابن عبد البر: وليس يوجد أن عبد الرحمٰن بن عوف كان معهم إلّا من هذا الوجه[2]. وقال الواقدي: وهذا الحديث لا يُعرف عندنا، ولا يُعرف أبو مرحب[3]. وذكر ابن حجر أنه مختلف في صحبته[4]. وإذا ثبتت صحبته يكون الإسناد موصولًا صحيحًا، فيحمل ذكر ابن عوف على أنه وهم من أحد الرواة، والله أعلم.

وزاد ابن سعد: عقيلَ بن أبي طالب في رواية عن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[5]، وهي رواية ضعيفة سندًا؛ لأنها من طريق الواقدي، وهو متروك، ومنكرة متنًا؛ لمخالفتها لرواية الثقات عنه، ثم إن الواقدي نفسه قد أنكر مشاركته في الدفن فقال: وَالثَّبْتُ عندنا وعند أهل بلدنا ما حدّثني معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب قال: هم أربعة الذين وَلُوا غسله وَإِجْنَانَهُ صلوات الله عليه وسلامه ورحمته: العباس، وعليّ، والفضل، وشُقران رحمهم الله ورضي عنهم[6].

---

(١) «سنن أبي داود» (٥/ ١١٧ : ٣٢٠٩). قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ١٤٦): «هذا حديث غريب جدًّا، وإسناده جيد قوي»، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لأبي داود.

(٢) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٤٦٩).

(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ٥٩).

(٤) انظر: «تقريب التهذيب» (ص٥٢٤).

(٥) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٣٠١).

(٦) المصدر السابق (٦/ ٦٠).

آخر الناس عهدًا به ﷺ في القبر

وكان آخر من طلع من قبره الشريف قُثَم بن العباس رضي الله عنهما، وقيل: المغيرة بن شعبة رضي الله عنه؛ قال ابن إسحاق: كان المغيرة بن شعبة يَدَّعِي أنه أحدث الناس عهدًا برسول الله ﷺ ويقول: أخذتُ خاتمي، فألقيتُه في القبر، وقلتُ: إن خاتمي سقط مِنِّي؛ وإنما طرحتُه عمدًا لِأَمَسَّ رسول الله ﷺ، فأكون أحدث الناس عهدًا به ﷺ(١).

وأنكر ذلك عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، كما روى عبد الله بن الحارث فقال: اعتمرت مع عليّ بن أبي طالب، فَنَزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنهما، فلما فرغ من عمرته رجع، فَسُكِبَ له غسل فاغتسل، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق، فقالوا: يا أبا حسن، جِئْنَاك نسألك عن أمرٍ نحبّ أن تخبرنا عنه؛ قال: أظن المغيرة بن شعبة يحدّثكم أنه كان أحدث الناس عهدًا برسول الله ﷺ؟ قالوا: أجل، عن ذلك جِئْنا نسألك. قال: «أحدث الناس عهدًا برسول الله صلى الله ﷺ قُثَمُ بن العباس»(٢).

قال ابن كثير: وهذا الذي ذُكِرَ عن المغيرة بن شعبة، لا يقتضي أنه حصل له ما أَمَّلَه، فإنه قد يكون عَلِيٌّ رضي الله عنه لم يُمَكِّنْهُ من النزول في القبر، بل أمر غيره فناوله إياه، وعلى ما تقدم يكون الذي أمره بمناولته له قُثَم بن

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٤). وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٦١) إلى الطبراني وقال: «إسناده حسن»، وكذلك الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١٢/ ٣٣٩) وقوّى إسناده. ولم أجده بلفظه في المطبوع من معاجم الطبراني، لكنه في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣٧٠: ٨٦٣) دون ذكر الخاتم.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢/ ١٧٤: ٧٨٧)، وحسَّنه النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٥٩)، والأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

عباس، وقد روى الواقدي عن عبيد الله بن عبد الله قال: «ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في قبر رسول الله ﷺ، فقال عَلِيٌّ: إنما أَلْقَيْتَه لِتَقُول: نزلتُ في قبر النبي ﷺ؛ فَنَزَل فأعطاه أو أَمَر رجلًا فأعطاه»(١).

وأما ما رُوي من أن المغيرة نزل فأخذ الخاتم فهو ضعيف، كما في رواية ابن سعد وغيره عن المغيرة أنه قال: «أنا آخر الناس عهدًا بالنبي ﷺ، لما دفن النبي ﷺ وخرج عَلِيٌّ من القبر، ألقيتُ خاتمي(٢) فقلتُ: يا أبا حسن، خاتمي! قال: انزل فَخُذْ خَاتَمَكَ؛ فَنَزَلْتُ فَأَخَذْتُ خاتمي، ووضعت يدي على الكفن ثم خَرَجْتُ»(٣). قال البوصيري: مدار الإسناد على مُجَالِد، وهو ضعيف(٤).

ويبدو أن المغيرة رضي الله عنه بحث عن حيلة أخرى لتحصيل مراده، كما روى أبو عَسِيبٍ قال: «لما وُضِعَ في لَحْدِهِ ﷺ، قال المغيرة: قد بَقِيَ مِنْ رِجْلَيْهِ شيء لم يُصْلِحُوهُ. قالوا: فَادْخُلْ فَأَصْلِحْهُ. فَدَخَلَ، وَأَدْخَلَ يَدَهُ فَمَسَّ قَدَمَيْهِ، فقال: أَهِيلُوا عَلَيَّ التُّراب؛ فَأَهَالُوا عليه التراب، حتى بلغ أنصاف ساقيه، ثم خرج، فكان يقول: أنا أحدثكم عهدًا برسول الله ﷺ»(٥). والله أعلم بحقيقة الحال.

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٥٨)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ١٤٧).

(٢) ورواه أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ وأحمد بن منيع وأبو يعلى كما في «المطالب العالية» لابن حجر (١٧/ ٥٤٨) بلفظ: «ألقيت الفأس»، بدلًا من «ألقيت خاتمي»، وعند الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٤١٤) بلفظ: «طرحت الفأس»، ومدار إسنادهم على مجالد أيضًا وهو ضعيف.

(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٣٠٢).

(٤) «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» للبوصيري (٢/ ٥٢٨).

(٥) «مسند أحمد» (٣٤/ ٣٦٥: ٢٠٧٦٦). قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٧): «رجاله رجال الصحيح»، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

لَوْلَا ذلك لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ

لم يُجصّص قبره ﷺ، ولم يُبرز للناس؛ لِئَلّا يقصده العوام للصلاة عنده، قالت عائشة رضي الله عنها: «ولولا ذلك ـ أي: خشية اتخاذ قبره مسجدًا ـ لأبرزوا قبره عليه الصلاة والسلام»(١).

قال الإمام القرطبي: «بالغ المسلمون في سدّ الذريعة في قبر رسول الله ﷺ فأعلَوا حيطان تربته، وسدّوا المداخل إليها، وجعلوها مُحْدِقَةً بِقبره ﷺ، ثم خافوا أن يُتَّخَذَ موضع قبره قبلة ـ إذ كان مستقبلَ المصلِّين ـ فتُتصوّر الصلاة إليه بصورة العبادة، فَبَنَوا جدارين من رُكْنَيِ القبر الشّماليين، وحَرَّفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال(٢) حتى لا يتمكّن أحد من استقبال قبره، ولهذا المعنى قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره»(٣).

رشّ الماء على قبره ﷺ

ورُشَّ على قبر النبي ﷺ الماء رَشًّا، وكان الذي رشّ الماء على قبره بلال بن رباح بِقِرْبَةٍ، بدأ من قِبَلِ رأسه من شِقِّه الأيمن حتى انتهى إلى رجليه، ثم ضرب بالماء إلى الجدار، لم يقدر على أن يدور من الجدار(٤).

---

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ١٠٢: ١٣٩٠)، «صحيح مسلم» (١/ ٣٧٦: ٥٢٩).

(٢) وكان ذلك في توسعة الوليد بن عبد الملك، كما سيأتي بيانه تحت عنوان: متى دخلت الحجرة الشريفة في المسجد النبوي الشريف؟.

(٣) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٢/ ١٢٨).

(٤) «السنن الكبرى» للبيهقي (٣/ ٥٧٧: ٦٧٤٣). وضعَّفه ابن الملقن في «البدر المنير» (٥/ ٣٢٤). وله شاهد عند البيهقي (٣/ ٥٧٦) من حديث جعفر بن محمد، عن أبيه، مرسلًا. قال عنه الألباني في «الإرواء» (٣/ ٢٠٦): «هو صحيح الإسناد».

وهكذا ودّع رسول الله ﷺ الدنيا، وانتقل إلى الرفيق الأعلى، واستراح في روضة من رياض الجنة، فداه أبي وأمي.

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ القاعُ والأكَمُ
نَفْسِي الفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ العَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ(١)

ضجيج أهل المدينة بالبكاء

تقول أم سلمة رضي الله عنها: «بينا نحن مجتمعون نبكي لم نَنَم، ورسول الله ﷺ في بيوتنا، ونحن نَتَسَلَّى بِرُؤْيَتِهِ على السرير؛ إذ سمعنا صوت الْكَرَازِين - أي: الفؤوس - في السَّحَر فَصِحْنَا وصاح أهل المسجد، فَارْتَجَّتِ المدينة صيحةً واحدة»(٢).

ولما فرغوا من دفنه ﷺ قالت فاطمة رضي الله عنها: «يا أنس؛ أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب!!»(٣).

وسكت أنس رضي الله عنه عن جوابها رعايةً لها، ولسان حاله يقول: لم تطب أنفسنا بذلك، إلا أنا قهرناها على فعله امتثالًا لِأَمْره ﷺ(٤).

هذا الرسول حبيبنا ونبيُّنا خير العباد تَبِعتُه وخدمتُه
لو كان يمكن إذ تُوُفّي دفنه في مُهْجَتِي واللّه كنتُ دفنتُه
لكن شريعته التّدافن هكذا وأَوَدّ لو بالروح كنتُ فديتُه(٥)

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٤٨)، «شعب الإيمان» للبيهقي (٦/ ٦٠ : ٣٨٨٠). وهذه الأبيات صحيحة المعنى، وإن كانت الحكاية الواردة فيها ضعيفة.
(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٦٧)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ١٤٩) من رواية الواقدي.
(٣) «صحيح البخاري» (٦/ ١٥ : ٤٤٦٢).
(٤) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٤٩).
(٥) «الإخبار في وفاة المختار» لابن ناصر الدين (ص٥٦).

بكاء فاطمة رضي الله عنها ورثاؤها

ورُوِي أنه لما رُمِسَ ـ أي: دُفن ـ رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضي الله عنها فوقفت على قبره وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعته على عينيها وبكت، وأنشأت تقول(١)، وقد غلبها الحزن وأذهلها:

ماذا على مَنْ شَمَّ تُربةَ أحمدٍ ألا يَشَمَّ(٢) مدى الزّمانِ غَواليا(٣)
صُبَّتْ عَلَيَّ مصائبٌ لو أَنَّها صُبَّتْ على الأيام صِرْنَ لياليا(٤)

ورُوي أنها قالت ترثي رسول الله ﷺ(٥):

اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ(٦)

---

(١) «مثير الغرام الساكن» لابن الجوزي (ص٤٨٩)، «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٣٨٤٧).
والقصة مشهورة، ولكنها ضعيفة السند، وقد ذكرها جمع من الفقهاء مثالًا للنَّدب الجائز، وهو اليسير منه إذا كان صدقًا ولم يخرج مخرج النياحة، فجاء في «كشف اللثام» للسفاريني (٣/ ٣٦٩): قال الإمام أحمد: إذا ذكرت المرأة مثل ما حكي عن فاطمة، في مثل الدعاء، لا يكون مثل النَّوح، يعني: لا بأس به، وحكى ما رُوي عنها؛ من قولها: يا أبتاه! مِنْ رَبِّهِ ما أَدْنَاهُ، إلى جبريل أَنْعَاهُ، يا أبتاه! أجاب ربًا دعاه. قال: وروي عن عليّ عن فاطمة رضي الله عنها: أنها أخذت قبضة من تراب قبر النبي ﷺ فوضعتها على عينيها، ثم ذكر البيتين.
وانظر: «الشرح الكبير» لابن قدامة (٦/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).

(٢) ورد الفعل «شَمَّ» في اللغة من بابي عَلِم ونَصَرَ؛ ومن ثَم فمضارعه إما مفتوح العين «يَشَمّ» أو مضمومها «يَشُمّ»، والفتح أفصح. [«مختار الصحاح» (ص١٦٩)، «تاج العروس» (٣٢/ ٤٧٣)، مادة: (شمم)].

(٣) **الغوالي**: جمع غالية، وهي أخلاط من الطيب. «شرح الزرقاني على المواهب» (١٢/ ١٦٩).

(٤) وفي «عيون الأثر» (٢/ ٤٠٩)، و«سلوة الكئيب» (ص١٩١) وغيرهما: عُدْنَ لَيَالِيَا.

(٥) «الروض الأنف» للسهيلي (٧/ ٥٩٨ ـ ٥٩٩).

(٦) **كُوِّرَتْ**: أظلمت وذهب ضوءها. **والعصران**: تثنية عصر. وهو ما بين الظهر والمغرب.

فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَئِيبَةٌ أَسَفًا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجَفَانِ
فَلْيَبْكِهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلْتَبْكِهِ مُضَرٌ[(١)] وَكُلُّ يَمَانِ
وَلْيَبْكِهِ الطَّوْدُ الْمُعَظَّمُ جَوُّهُ[(٢)] وَالْبَيْتُ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ
يَا خَاتَمَ الرُّسْلِ[(٣)] الْمُبَارَكِ ضَوْءُهُ صَلَّى عَلَيْكَ مُنَزِّلُ الْقُرْآنِ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مَا لِرَأْسِكَ مَائِلًا مَا وَسَّدُوكَ وِسَادَةَ الْوَسْنَانِ[(٤)]

بِلَال رضي الله عنه يُهيّج قلوب المسلمين بالأذان ثم يودّع المدينة

ولما دُفن رسول الله ﷺ أذّن بلال بالفجر، فلما قال: «أشهد أنّ محمدًا رسول الله» ذكر النبيّ ﷺ فبكى وانتحب، فزاد المسلمين حزنًا[(٥)]، وقد اعتادوا أن يسمعوا هذا الأذان ورسول الله ﷺ بين أظهرهم.

ثم ودّع بلال رضي الله عنه الأذان والمدينة، حيث إنه لم يعد يحتمل الأذان بعد فراق رسول الله ﷺ، وسافر إلى بلاد الشام مجاهدًا مرابطًا، فكان بها حتى مات رضي الله عنه[(٦)]؛ قال محمد بن إبراهيم التَّيْمِيّ: لما تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ أَذَّنَ بلال ورسول الله ﷺ لم يُقْبَرْ فكان إذا قال: أشهد أنّ محمدًا رسول الله، انتحب الناس في المسجد، فلمّا دُفِنَ رسول الله ﷺ

---

(١) **مُضَرٌ**: مصروف لضرورة الشعر.
(٢) **الطَّوْدُ**: الجبل العظيم. **جَوُّهُ**: فضاؤه وهواؤه. والمقصود بـ«الْمُعَظَّمُ جَوُّه»: المقدس والمبارك ما حوله. ولعل المراد جبل النور الذي فيه غار حراء، حيث نزل الوحي أو جبل ثور أو أبي قبيس.
(٣) **الرُّسْل**: بإسكان السين للوزن، وهو لغة فيه.
(٤) **الوَسْنان**: النّائم الذي ليس بمُسْتَغْرِقٍ في نَوْمِه. **والوَسَن**: أوّلُ النَّوم. [«لسان العرب» (١٣/ ٤٤٩)، مادة: (وسن)].
(٥) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٦٧)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ١٤٩) من رواية الواقدي.
(٦) انظر: «البداية والنهاية» (١٠/ ١٠٣ ـ ١٠٤).

قال له أبو بكر: أَذِّنْ[١]. فقال: إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَعْتَقْتَنِي لِأَنْ أَكُونَ معك فَسَبِيلُ ذلك، وإِنْ كُنْتَ أَعْتَقْتَنِي لله فَخَلِّنِي وَمَنْ أَعْتَقْتَنِي له. فقال: ما أَعْتَقْتُكَ إلا لله. قال: فَإِنِّي لا أُؤَذِّنُ لِأَحَدٍ بعد رسول الله ﷺ. قال: فَذَاكَ إليك. فأقام بلال حتى خَرَجَتْ بُعُوث الشام فَسَارَ معهم حتى انتهى إليها[٢].



(١) هذا الحوار كان بعد أذان فجر الأربعاء الذي كان عقب الدفن؛ لأن بلالًا رضي الله عنه إنما امتنع عن الأذان بعده.
(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧).

الفصل الخامس

صفة قبره وخصائصه ﷺ الثابتة له بعد الوفاة

صفة قبره عليه الصلاة والسلام

رُفِعَ قبره ﷺ من الأرض نحوًا مِن شِبر[(١)]، وقال سفيان التَّمَّار[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ: رأيتُ قبر النبي ﷺ مُسَنَّمًا[(٣)]؛ أي: مرتفعًا من الأرض على هيئة سنام البعير.

وعن القاسمِ بن محمد قال: دخلتُ على عائشةَ، فقلتُ: يا أُمَّهْ، اكشفِي لي عن قبرِ رسول الله ﷺ وصاحبَيه، فكشَفَتْ لي عن ثلاثةِ قُبورٍ، لا مُشْرِفة ولا لاطِئة، مَبْطوحةٍ بِبَطحاء العَرْصة الحمراء[(٤)].

ومعنى **لا مشرفة ولا لاطئة**: أي: لا مرتفعة كثيرًا، ولا لاصقةً بالأرض[(٥)]. بل بينهما، وقد ثبت أنه كان مرتفعًا قدر شبر.

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٦٠٢: ٦٦٣٥)، «السنن الكبرى» للبيهقي (٣/ ٥٧٦: ٦٧٣٦)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لابن حبان.

(٢) هو من كبار أتباع التابعين وقد لحق عصر الصحابة. «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٢٥٧).

(٣) «صحيح البخاري» (٢/ ١٠٣: ١٣٩٠).

(٤) «سنن أبي داود» (٥/ ١٢٦: ٣٢٢٠)، «المستدرك» للحاكم (١/ ٥٢٤: ١٣٦٨)، وصحَّحه وسكت عنه الذهبي، وصحَّحه النووي في «خلاصة الأحكام» (٢/ ١٠٢٤).

(٥) «إرشاد الساري» للقسطلاني (٢/ ٤٧٧).

ومعنى **مبطوحة**: ملقاة فيها البطحاء، يقال: بطح المسجد: أي: ألقى فيه البطحاء، وهو الحصى الصغار.

و«الحمراء» صفة لبطحاء أو العَرْصة، **والعَرْصة** جمعها عَرَصات، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه، **والبطحاء** في الأصل مسيل واسع فيه دقاق الحصى، والمراد بها هنا الحصى لإضافتها إلى العَرْصة[١]. فيكون معنى «مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء»: أي: مفروشة بحصباء الموضع المعروف بالعَرْصة الحمراء. وهي المكان الذي يقع غربيَّ وادي العقيق في سفوح «جَمَّاءِ أُمِّ خالد» الشمالية، حيث تقع اليوم «الجامعة الإسلامية»، وكانت بطحاؤها نظيفة حمراء[٢].

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه الآثار لا تضادّ بينها، والأمر بتسوية القبور إنما هو تسويتها بالأرض وأن لا تُرفع مُشرفة عالية، وهذا لا يناقض تسنيمها شيئًا يسيرًا عن الأرض[٣]. فقبرُه ﷺ مُسَنَّم مَبْطوحٌ ببطحاء العَرْصة الحمراء، لا مَبْنِيّ وَلَا مُطَيَّن، وهكذا كان قبر صاحبيه[٤].

وقد جمع الحافظ البيهقي بين رواية سفيان التمار والقاسم بن محمد: بأن القبر كان أوّلًا مسطّحًا كما قال القاسم، ثم لما سقط الجدار في زمن الوليد بن عبد الملك ـ وقيل: في زمن عمر بن عبد العزيز ـ أُصْلِحَ؛ فَجُعِلَ مُسَنَّمًا[٥].

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح» للملا علي قاري (٣/ ١٢٢٥).
(٢) من جواب للدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، عميد كلية القرآن في الجامعة الإسلامية سابقًا في موقع الإسلام اليوم.
(٣) «تهذيب السنن» لابن القيم (٩/ ٢٦).
(٤) «زاد المعاد» لابن القيم (١/ ٥٠٥).
(٥) «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٦٥).

وهذا الذي ذكره البيهقي احتمال لا دليل عليه، وما جمع به ابن القيم أولى وأظهر.

الملائكة تَحُفّ بقبره ﷺ

أكرم الله تعالى حبيبه ﷺ فخصّه بإدامة تتابع صلوات الملائكة عليه، ووكّل بِقَبره كلّ يوم وليلة ملائكة ينزلون إليه ويُصَلّون عليه؛ فجاء عن كعب الأحبار رَحِمَهُ اللَّهُ أنه دخل على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فذكروا رسول الله ﷺ، فقال كعب: «ما من فجر يَطْلُعُ إلَّا وينزل سبعون ألفًا من الملائكة حتى يَحُفُّوا بالقبر يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُصَلُّون على النبي ﷺ، حتى إذا أَمْسَوْا عَرَجُوا وهبط سبعون ألفًا حتى يَحُفُّوا بالقبر يضربون بأجنحتهم فَيُصَلُّونَ على النبي ﷺ، سبعون ألفًا بالليل وسبعون ألفًا بالنّهار، حتى إذا انشقّت الأرض خرج في سبعين ألفًا من الملائكة يَزُفُّونَهُ»(١). وفي لفظ للبيهقي: «يُوَقِّرُونَهُ»(٢).

قبره ﷺ معلوم بالإجماع دون غيره من الأنبياء

مما خصّ الله به نبيّه ﷺ أن جعل قبره ثابتًا بالتعيين واليقين، دون غيره من النبيين، فقبورهم إنما هي ظنون لا يمكن تعيينها على وجه

---

(١) «سنن الدارمي» (١/٢٢٨: ٩٥)، «فضل الصلاة على النبي ﷺ» للجهضمي (ص٨٣: ١٠٢).

والأثر رجاله ثقات، غير ابن لهيعة، وهو ثقة فيما يرويه العبادلة عنه، وهذا منه، إلا نُبَيهًا لم يسمع من كعب. وقد ذكره ابن القيم في «جلاء الأفهام» (ص١٣٥) في المراسيل والموقوفات ولم يتعقبه بشيء، مع أنه نصّ في المقدمة أنه بيّن ما في الروايات المعلولة من العِلل بيانًا شافيًا، فكأنه رَضِيه، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٦/٤٧٩) وسكت عليه، وذلك لأن رواية مثل هذا في الفضائل والمناقب أمرٌ قريب.

(٢) «شعب الإيمان» للبيهقي (٦/٥٥: ٣٨٧٣).

القطع واليقين، قال الإمام مالك: «لا أعلم بقعة فيها قبر نبيّ معروف غير المدينة»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس في الأرض قبر نبي معلوم بالتواتر والإجماع إلا قبر نبيِّنا ﷺ، وما سواه ففيه نزاع»(٢).

وقال الحافظ العراقي: «ليس في قبور الأنبياء ما هو مُحَقَّقٌ إلا قبر نبيّنا ﷺ، وأما قبر موسى وقبر إبراهيم عليهما السلام فمظنون»(٣).

وفي هذا يقول ابن حجر الهيتمي(٤):

ولم تعلم مقابرهم بأرض   يقينًا غير ما سكن الرسول

قال الملا علي القاري: «قال العلَّامة الشيخ محمد بن الجزري: لا يصح تعيين قبر نبي غير نبينا عليه الصلاة والسلام، نعم سيدنا إبراهيم عليه السلام في تلك القرية الْمُسَمَّاةِ بالخليل، لا بخصوص تلك البقعة،اهـ. وكأنه فيه إشارة إلى أن لا وجود لِنُورِ القمر والكواكب بعد ظهور ضياء الشمس، وَإِيمَاءٌ إلى نسخ سائر الأديان في جميع الأماكن والأزمان، ولِئَلّا يشاركه أحد في زيارته ليعظم له الشأن»(٥).

النبي ﷺ حيٌّ في قبره

من خصائص الرسول ﷺ أنه حيّ في قبره حياة برزخية، أبلغ وأكمل من حياة الشّهداء، يحصل له بها التنعّم بما أعدّه الله له من

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (٢/ ٢٨٩).
(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٧/ ٢٥٤).
(٣) «طرح التثريب» للعراقي (٣/ ٣٠٣).
(٤) «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم» لمحمد حبيب الله الشنقيطي (٢/ ١٥٨).
(٥) «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» (ص٤٠٢).

النعيم، روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون**»[(١)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «هذه الصلاة ونحوها مما يَتَمَتَّعُ بها الميت وَيَتَنَعَّمُ بها كما يتنعم أهل الجنة بالتسبيح، فإنهم يُلْهَمُونَ التسبيح كما يُلْهَمُ الناس في الدنيا النَّفَس؛ فهذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل، بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذي تتنعَّم به الأنفس وَتَتَلَذَّذُ به»[(٢)].

والرسول ﷺ يسمع سلام مَن يُسَلِّم عليه عند قبره[(٣)]، روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن صَلَّى عَلَيَّ عند قبري سَمِعْتُهُ ومَن صَلَّى عَلَيَّ نَائِيًا أُبْلِغْتُهُ**»[(٤)]، وقد وكّل الله تعالى ملائكة يُبَلِّغونه

---

(١) «مسند البزار» (١٣/ ٢٩٩: ٦٨٨٨)، «مسند أبي يعلى» (٦/ ١٤٧: ٣٤٢٥).
وقد ألّف الإمام البيهقي جزءًا في حياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم جمع فيه طرق الحديث وأسانيده، وصحَّحه كما ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٤٨٧)، ولم أجد تصحيح البيهقي في المطبوع من كتابه المذكور، ولعله سقط منه أو هو مثبت في بعض النسخ الخطية دون بعض، أو يكون البيهقي صحَّحه في كتاب آخر. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢١١): «رجال أبي يعلى ثقات»، وصحَّحه المناوي في «فيض القدير» (٣/ ١٨٤). وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٢/ ١٨٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤/ ٣٣٠).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٣٣): «النبي ﷺ يسمع السلام عليه من القريب، ويُبلّغ سلام البعيد».

(٤) لهذا الحديث طريقان:

أحدهما: طريق أبي الشيخ وهو نظيف؛ قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٤٨٨): «أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب بسند جيد»، ووافقه السخاوي في «القول البديع» (ص١٦٠)، غير أن شيخ أبي الشيخ وهو الأعرج ذكره أبو الشيخ نفسه في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/ ٥٤١)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، ومن عادته أن من كان فيه جرح وخاصة من شيوخه ذكره، فروايته عنه =

صلاة المصلين عليه حيث كانوا؛ روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صَلُّوا عَلَيَّ فإن صلاتكم تَبْلُغُنِي حيث كنتم»**[١]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض، يُبَلِّغُونِي عن أُمّتي السلام»**[٢]. وزاد في رواية: قال رسول الله ﷺ: **«حياتي خيرٌ لكم تُحَدِّثُونَ وَنُحَدِّثُ لكم، ووفاتي خيرٌ لكم تُعْرَضُ عَلَيَّ أعمالكم، فما رأيتُ من خيرٍ حمدتُ الله عليه، وما رأيتُ من شَرٍّ استغفرتُ الله لكم»**[٣].

= وترجمته له مع عدم ذكر جرح فيه يدل على أنه مقبول عنده، ومن أجل ذلك صحح الأئمة حديثه، والله أعلم.

والثاني: طريق البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ١٤١)، وفي سنده محمد بن مروان السُّدّي وهو متروك متهم بالكذب، قال ابن تيمية في «الرد على الأخنائي» (ص١٤٦): «الحديث وإن كان معناه صحيحًا فإسناده لا يحتجّ به، فإنه لا يُعرف إلا من حديث محمد بن مروان السّدي الصغير عن الأعمش، وهو عند أهل المعرفة بالحديث موضوع على الأعمش»، اهـ.

وفي الجملة الحديث مقبول ثابت بالطريق الأولى، ومعناه صحيح.

(١) «سنن أبي داود» (٣/ ٣٨٥: ٢٠٤٢)، وصحَّحه الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٨٨).

(٢) «السنن الكبرى» للنسائي (٢/ ٧٠: ١٢٠٦)، «صحيح ابن حبان» (٣/ ١٩٥: ٩١٣)، «المستدرك» للحاكم (٢/ ٤٥٦: ٣٥٧٦)، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٣) «فضل الصلاة على النبي ﷺ» للجهضمي (ص٣٦: ٢٥)، «مسند البزار» (٥/ ٣٠٨: ١٩٢٥).

قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٤): «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح»، اهـ. وقال البزار عن هذه الزيادة: «وهذا الحديث آخره لا نعلمه يُروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد»، اهـ. وقد روى الحديث جماعة من ثقات أصحاب سفيان الثوري عنه دون الزيادة، فتفرَّد عبد المجيد بن عبد العزيز بها يورث شبهة، وهو مع أنه من رجال مسلم فقد وثّقه جماعة وضعّفه آخرون؛ قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص١٤٩٥): «رجاله رجال الصحيح، إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد وإن =

وعن أَوْس بن أَوْس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ من الصلاة فيه، فإنّ صلاتكم معروضة عَلَيَّ**»، فقالوا: يا رسول الله: وكيف تُعرض صلاتنا عليك، وقد أَرَمْتَ؟ - يقولون: بَلِيت - قال: «**إنّ الله تعالى حَرَّمَ على الأرض أجساد الأنبياء**»(١).

وفي رواية أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»، فَنَبِيُّ الله حَيٌّ يُرْزَقُ(٢). وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله ﷺ: «**لا تأكل الأرض جسد مَن كَلَّمَهُ رُوحُ الْقُدُس**»(٣).

= أخرج له مسلم وَوَثَّقَهُ ابن معين والنسائي فقد ضعّفه كثيرون»، اهـ. ولكن للحديث شاهد صحيح من حديث بكر بن عبد الله المزني مرسلًا أخرجه الجهضمي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (ص٣٦: ٢٥)، قال عنه ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص٢٠٤): «وهذا إسناد صحيح إلى بكر المزني، وبكر من ثقات التابعين وأئمتهم»، اهـ. ولعل ذلك هو الذي جعل وليّ الدين العراقي يردّ الوهم عن عبد المجيد بن عبد العزيز في رواية البزار ويصحّح حديثه في «طرح التثريب» (٣/ ٢٩٧) بقوله: «إسناده جيد».

(١) «سنن أبي داود» (٢/ ٦٣٦: ١٥٣١)، «المستدرك» للحاكم (٤/ ٦٠٤: ٨٦٨١)، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٢) «سنن ابن ماجه» (٢/ ٥٥٦: ١٦٣٦). قال ابن الملقن في «البدر المنير» (٥/ ٢٨٨): «إسناده حسن، إلا أنه غير متصل»، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٥٩): «رجاله ثقات إلا أنه منقطع».

ولكنه يرقى إلى الحسن بشواهده. ولذلك قال المنذري في «الترغيب»: «إسناده جيد»، وانظر: «صحيح الترغيب» (٢/ ٢٩٧).

(٣) «فضل الصلاة على النبي ﷺ» للجهضمي (ص٣٥: ٢٣). قال ابن كثير في «التفسير» (٦/ ٤٧٤): «مرسل حسن»، وصحَّحه محقق «فضل الصلاة» بشواهده.

ومن أجل ذلك قال العلماء: «يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته»[١]؛ إذ التأدب بحضرته ﷺ بعد موته كالتأدب بحضرته في حياته ﷺ.

وهو ﷺ يردّ السلام على الجميع؛ روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من أحد يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلا رَدَّ الله عَلَيَّ روحي حتى أردّ عليه السلام**»[٢].

وقد استشكل هذا الحديث، فإن ظاهره مفارقة الروح للجسد في بعض الأوقات، وهو مناف للأحاديث الواردة في حياة الأنبياء، بل ردّ روحه يلزم منه تعدد حياته ووفاته في أقل من ساعة مرات كثيرة؛ إذ الكون لا يخلو من أحد يُسَلِّمُ عليه في كل لحظة من ليل أو نهار من الثقلين وغيرهم.

وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة كثيرها، **أشهرها**:

الأول: ما ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي أن المعنى: «**إلا وقد رَدَّ الله عَلَيَّ روحي فَأَرُدَّ عليه السلام**»[٣]؛ يعني: أن النبي ﷺ بعدما مات ودفن ردّ الله عليه روحه لأجل سلام مَن يسلم عليه واستمرت في جسده ﷺ. قال السيوطي: قوله ﷺ: «**ردّ الله**» جملة حالية، وقاعدة العربية أن جملة الحال إذا وقعت فعلًا ماضيًا قُدّرت فيها «قد»، كقوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]؛ أي: قد حَصِرَتْ؛ وكذا تُقَدَّرُ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٦٨).

(٢) «مسند أحمد» (١٦/ ٤٧٧ : ١٠٨١٥)، «سنن أبي داود» (٣/ ٣٨٤ : ٢٠٤١). ولفظ أحمد: «**إِلَيَّ رُوحِي**» بدل «**عَلَيَّ**»، وصحَّحه النووي في «الأذكار» (ص١١٥)، وقال ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ١٧٤): «هذا الحديث على شرط مسلم»، وجوّد العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص٣٦٧).

(٣) «شعب الإيمان» للبيهقي (٦/ ٥٢).

هنا، والجملة الماضية سابقة على السّلام الواقع من كلّ أحد، و«حتى» ليست للتعليل، بل مجرد حرف عطف بمعنى الواو، فصار تقدير الحديث: «**ما من أحد يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلا قد رَدَّ الله عَلَيَّ روحي قبل ذلك فَأَرُدّ عليه**»، وإنما جاء الإشكال مِنْ ظَنِّ أَنَّ جملة «**رَدَّ الله عَلَيَّ**» بمعنى الحال أو الاستقبال، وظنّ أن «حتى» تعليلية؛ وليس كذلك، وبهذا الذي قرّرناه ارتفع الإشكال من أصله(١).

وقال في «فتح الودود»: «**إلا رَدَّ الله عَلَيَّ روحي**» من قبيل حذف المعلول وإقامة العلة مقامه، وهذا فن في الكلام شائع في الجزاء والخبر، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٨٤]؛ أي: فإن كذبوك فلا تحزن فقد كُذِّبَ. . . ، فحذف الجزاء وأقيم علته مقامه، فكذا هاهنا يُقَدّر الكلام؛ أي: ما مِن أحد يُسلم علي إلا أردّ عليه السلام لِأَنِّي حَيٌّ أَقْدِرُ على رَدِّ السلام، وقوله: «**حتى أَرُدّ عليه**»؛ أي: فَسَبَبُ ذلك حتى أردّ عليه، فحتى هنا حرف ابتداء تُفِيدُ السَّبَبِيَّةَ؛ مثل مرض فلان حتى لا يرجونه، لا بمعنى كي، وبهذا اتضح معنى الحديث، ولا يخالف ما ثبت من حياة الأنبياء ﷺ(٢).

الجواب الثاني: قال السخاوي: أجاب السبكي الكبير بجواب حسن جدًّا فقال: يحتمل أن يكون ردًّا معنويًا وأن تكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة الإلٰهية والملأ الأعلى عن هذا العالم، فإذا سُلّم عليه أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم ليدرك سلام من يُسلّم عليه ويردّ عليه(٣).

(١) «الحاوي للفتاوي» للسيوطي (٢/ ١٨١ ـ ١٨٢).
(٢) «عون المعبود» للعظيم آبادي (٦/ ١٩).
(٣) «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للسخاوي (ص١٧٤).

الجواب الثالث: معنى الروح هنا النطق مجازًا فكأنه قال ﷺ: «**إلا رَدَّ الله عَلَيَّ نطقي**»، وهو حيٌّ على الدوام، لكن لا يلزم من حياته نطقه، فَيُرَدُّ عليه نطقه عند سلام كل أحد، وعلاقة المجاز أن النّطق من لازمه وجود الروح كما أن الروح من لازمه وجود النطق بالفعل أو القوة، فَعَبَّرَ ﷺ بأحد المتلازمين عن الآخر(١). وذلك أنه ﷺ في البرزخ مشغول بأحوال الملكوت مستغرق في مشاهدته مأخوذ عن النطق بسبب ذلك، ولهذا قال ابن حجر: الأحسن أن يؤول ردّ الروح بحضور الفكر(٢).

ونص السيوطي على أن الوجه الأول هو أقواها(٣)، وكذا الصالحي(٤).

وهذه الحياة محل اتفاق بين أهل السُّنَّة والجماعة، قال السخاوي: «ونحن نؤمن ونصدق بأنه ﷺ حَيٌّ يُرْزَقُ في قبره، وأن جسده الشريف لا تأكله الأرض، والإجماع على هذا»(٥). وهي لا تخضع لقوانين الحياة الدنيوية من الحاجة إلى الطعام والشراب والنكاح ونحو ذلك، بل هي أعلى منها وأكمل، قال الإمام الذهبي: «والنبيّ ﷺ حَيٌّ في لَحْدِهِ، حياةَ مِثلِه في البرزخ التي هي أكمل من حياة سائر النبيين، وحياتهم بلا ريب أتمّ وأشرف من حياة الشهداء الذين هم بنص الكتاب: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وهؤلاء حياتهم الآن التي في عالم البرزخ حق، ولكن ليست هي حياة الدنيا من كل وجه، ولا حياة أهل الجنة من

---

(١) «القول البديع» للسخاوي (ص١٧٣).
(٢) «فيض القدير» للمناوي (٥/ ٤٦٧).
(٣) انظر: «الحاوي للفتاوي» للسيوطي (٢/ ١٨١). وهو عند السيوطي الوجه الثاني.
(٤) «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (١٢/ ٣٦٥).
(٥) «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للسخاوي (ص١٧٢).

كل وجه، ولهم شبه بحياة أهل الكهف»[١].

وقال العلامة العثماني: «وما ثبتت للأنبياء بعد وفاتهم إنما هو حياة جسمانية[٢] حقيقية لثبوت كثير من خصائص الحياة السابقة على الموت، ولكنها تفارق هذه الحياة الدنيوية التي كانت ثابتة لهم قبل وفاتهم في كثير من الأحكام.

وحاصل هذه الحياة الجسمانية الحقيقية تعلّق الروح بالجسد تعلّقًا قويًّا يفوق التّعلّق الذي حصل لِغيرهم من الموتى، أما الخوض في معرفة كُنْه هذا التّعلّق، فخوض فيما لا سبيل للبشر إلى معرفته، **فإن أحوال البرزخ والآخرة لا تدرك بهذه العقول**»[٣].

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أن كون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم لا يقتضي أن يثبت لهم شيء من خصائص الألوهية، من معرفة الغيب، والتصرف في الكون، وتفريج الكُرُبات، ونحو ذلك.

متى دخلت الحجرة الشريفة في المسجد النبوي الشريف؟

بقي القبر في الحجرة الشريفة خارج المسجد النبوي في عهد الخلفاء الراشدين ﵃ وصدر من ولاية بني أمية، وكان يفصل بينهما جدار فيه باب كان النبي ﷺ يخرج منه إلى المسجد، حتى كان زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك فقام بتوسعة المسجد وإعادة بنائه سنة ثمان

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٦١).

(٢) قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٣/ ٢٩٥): «ورد النص في كتاب الله في حق الشهداء أنهم أحياء يُرْزَقُونَ وأن الحياة فيهم مُتَعَلِّقَة بالجسد فكيف بالأنبياء والمرسلين».

(٣) «تكملة فتح الملهم» للعثماني (٥/ ١٩).

وثمانين من الهجرة، وأمر واليه في المدينة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ بإدخال حُجَر زوجات النبي ﷺ في المسجد[١]. فلما زيد في المسجد وأدخلت الحُجرات ومنها حجرة عائشة التي كان فيها القبر الشريف بنى عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ حول حجرتها جدارًا مُخَمَّسًا[٢]، وجعل الضلع الشمالي منه على شكل مثلّث؛ «حتى لا يَتَأَتّى لأحد أن يصلي إلى جهة القبر مع استقبال القبلة»[٣].

والحجرة النبوية الآن داخل المقصورة الشريفة التي تضم بيوت أزواج النبي ﷺ وبيت السيدة فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تعلوها القبة الخضراء، وهي محاطة بالجدران المنيعة والأستار المزخرفة الجميلة إضافةً إلى الشَّبَك الْحَدِيدِيّ الذي يمنع الزائر من الوصول إلى الحجرة والقبر الشريف.

صفة القبور الثَّلَاثة الْمُكَرَّمَة داخل الحجرة المُشَرَّفة

اختلف في صفة القبور الشريفة على سبع كيفيات[٤]، **أشهرها ثلاثة**:

الأولى: قبره ﷺ مقدّم إلى القبلة، وقبر أبي بكر حِذاء منكبيه، وقبر عمر حِذاء منكبي أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال خالد بن أبي بكر رَحِمَهُ اللَّهُ: «دُفِنَ عمر في بيت النبي ﷺ، وجُعِلَ

---

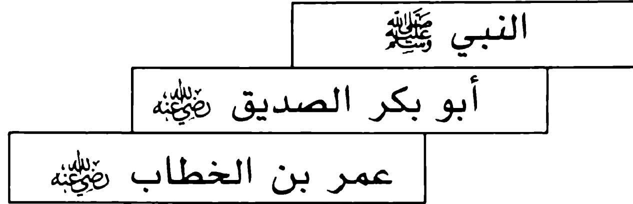
(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٦/ ٤٣٥)، «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٤١٣)، «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (١٢/ ٥٠).

(٢) انظر: «وفاء الوفاء» للسمهودي (٢/ ١٢٥).

(٣) «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٢٠٠)، «عمدة القاري» للعيني (٨/ ١٣٥).

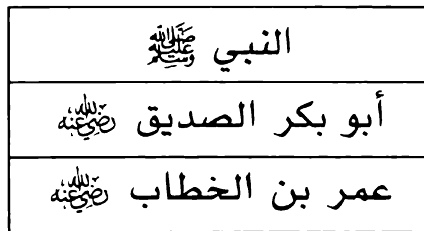
(٤) انظر: «البحر العميق» لابن الضياء المكي (٥/ ٢٨٧٢)، «وفاء الوفاء» للسمهودي (٢/ ١١٥)، «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (١٢/ ٣٤٣).

رأس أبي بكر عند كَتِفَيِ النبي، وجُعِل رأس عمر عند حَقْوَي[١] النبي ﷺ»[٢]، وبذلك يكون رأسه عند منكب أبي بكر رضي الله عنهما؛ أي هكذا:



قال النووي: هذا هو المشهور[٣]، واختاره في «المجموع» عند ذكر كيفية السلام على الرسول ﷺ[٤]، وكذا ابن الهمام[٥]، وقال السمهوديّ: هذه الرواية هي التي عليها الأكثر، وهي المشهورة[٦]، وكذا قال الصالحي، وصححها[٧].

الصفة الثانية: قال غُنَيْم بن بِسْطَام الْمَدِينِيُّ: «رأيتُ قبر النبي ﷺ في إمارة عمر بن عبد العزيز، فرأيتُه مرتفعًا نحوًا من أربع أصابع، ورأيتُ قبر أبي بكر وراء قبره، ورأيتُ قبر عمر وراء قبر أبي بكر أسفل منه»[٨]؛ أي هكذا:



(١) **الْحَقْوُ**: مَوْضِعُ شَدِّ الْإِزَارِ، وهو الْخَصْرُ. [«المصباح المنير» (١/ ١٤٥)، مادة: (حقو)].
(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٣٦٨).
(٣) «الإيضاح في مناسك الحج» للنووي (ص٤٩٨).
(٤) انظر: «المجموع» للنووي (٨/ ٢٧٤).
(٥) انظر: «فتح القدير» لابن الهمام (٣/ ١٨١).
(٦) «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» للسمهودي (٢/ ١١٦، ١٢٠).
(٧) انظر: «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (١٢/ ٣٤٣، ٣٤٥).
(٨) «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٢٥٧).

قال ابن حجر: وعليه الأكثر[١]، وهو قريب من الوصف الأول، ويمكن الجمع بينه وبين الأول بأن يقال: إن الراوي لم يقصد أنها على استقامة واحدة، وأن رأس أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند رأس النبي ﷺ تمامًا، وإنما أراد أن يبين أنها خلف بعض، ويصدُق ذلك على ما إذا كان رأس أحدهم نازلًا عن الآخر.

الصفة الثالثة: قبر أبي بكر عند رأس النبي ﷺ، وقبر عمر عند رجليه، وفي رواية محمد بن قيس: بحذاء قبر أبي بكر رضي الله عنهما[٢]؛ أي هكذا:

النبي ﷺ	
أبو بكر الصديق رضي الله عنه	عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال الصالحي: وسنده ضعيف[٣].



(١) «فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٦٨).
(٢) «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي (٤/ ٢٥٣).
(٣) «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (١٢/ ٣٤٥).

الفصل السادس

رثاء الصحابة للرسول ﷺ

* رثاء حسّان بن ثابت شاعر النبي ﷺ:

بكى حسان بن ثابت رضي الله عنه رسول الله ﷺ حين اختاره الله لجواره بقصائد مؤثرة، حيث أثارت الفاجعة مشاعره فتدفقت عبراته حين رأى مسجد الرسول ﷺ ورسوم دياره وقد خيّم عليها الأسى فبكى ورثى قائلًا[(١)]:

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ ... مُنِيرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمُدُ[(٢)]
وَلَا تَنْمَحِي الْآيَاتُ[(٣)] مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ ... بِهَا مِنْبَرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آثَارٍ وَبَاقِي مَعَالِمٍ[(٤)] ... وَرَبْعٌ[(٥)] لَهُ فِيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسْطَهَا ... مِنَ اللَّهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٦ ـ ٦٦٩)، «ديوان حسان بن ثابت» (ص٦٠ ـ ٦٤). وعند الاختلاف بينهما اخترت ما هو الأوفق للسياق والموافق للوزن.

(٢) **طيبة**: اسم مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام. **الرسم**: ما بقي من أثر الدار. **المعهد**: المنزل الذي لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه. **تعفو**: تدرس وتتغير. **تهمُد**: تبلى وتندثر، يقال همد الثوب إذا بَلِي.

(٣) **الْآيَاتُ**: العلامات.

(٤) **معالم**: نُوّنت لضرورة الوزن.

(٥) **الرَّبْعُ**: المنزل والوطن. سمّي رَبْعًا؛ لأنّهم يَرْبَعون فيه؛ أي: يطمئنّون.

مَعَالِمُ لَمْ تُطْمَسْ على الْعَهْد آيُهَا ... أَتَاهَا الْبِلَى فَالْآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ[١]
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ ... وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحِدُ[٢]
ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَأَسْعَدَتْ ... عُيُونٌ وَمِثْلَاهَا مِنَ الْجَفْنِ تُسْعِدُ[٣]
يُذَكِّرْنَ آلَاءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى ... لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبَلَّدُ[٤]
مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّهَا[٥] فَقْدُ أَحْمَدٍ[٦] ... فَظَلَّتْ لِآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدِّدُ
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ[٧] ... وَلَكِنَّ نَفْسِي بَعْضَ ما فيهِ تَحْمَدُ
أَطَالَتْ وُقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جُهْدَهَا ... عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ[٨]
فَبُورِكْتَ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ ... بِلَادٌ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
وَبُورِكَ لَحْدٌ مِنْكَ ضُمِّنَ طَيِّبًا ... عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدُ[٩]
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنٌ ... تَبَاكَتْ، وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعُدُ[١٠]
لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً ... عَشِيَّةَ عَلَّوْهُ الثَّرَى، لَا يُوَسَّدُ
وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ ... وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ[١١]

---

(١) **آيُهَا**: علاماتها. **تَجَدَّدُ**: أي: تتجدد.
(٢) **المُلْحِد**: الّذي يضع الْمَيِّت فِي لحده.
(٣) **تُسْعِدُ**: أي: تعين.
(٤) **الآلاء**: النعم. **تَبَلَّدُ**: أي: تتبلد، تتحير.
(٥) **شَفَّهَا**: أضعفها وأنحلها.
(٦) صُرفت كلمة «أحمد» لضرورة الوزن.
(٧) **العَشِير**: العُشْر.
(٨) **تَذْرِفُ الْعَيْنُ**: تسيل بالدمع. **الطَّلَل**: مَا بَقِي شاخصًا من آثار الديار.
(٩) **الصفيح**: حجارة رقيقة عريضة. **والمُنَضَّد**: الذي جعل بعضه على بعض.
(١٠) **تَهِيلُ**: تصبّ. **أَسْعُدُ**: أنجم، جمع سعد. **وسُعُودُ النُّجُومِ**: هي الْكَوَاكِب الَّتِي يُقال لكلّ وَاحِد مِنْهَا: سَعْدُ كَذَا، وَهِي عَشَرَة أنجم.
(١١) **أَعْضُدُ**: جمع عضد، وهو ما بين المِرفق إلى الكتف.

يُبَكُّونَ(١) مَنْ تَبْكِي السَّمواتُ يَوْمَهُ ... وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ(٢)
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةُ هَالِكٍ ... رَزِيَّةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ؟(٣)
تَقَطَّعَ فِيهِ مُنْزَلُ(٤) الْوَحْيِ عَنْهُمُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ(٥)
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ ... وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِدًا ... مُعَلِّمُ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
عَفُوٌّ عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ ... وَإِنْ يُحْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْلِهِ ... فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرُ مَا يَتَشَدَّدُ
فَبَيْنَا هُمُ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ ... دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ(٦)
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى ... حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثَنِّي جَنَاحَهُ ... إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ(٧)
فَبَيْنَا هُمُ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا ... إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ(٨)

---

(١) **يُبَكُّونَ**: بالتضعيف من بَكّى، وهو الموافق للوزن.
(٢) **أَكْمَدُ**: أحْزَن. من الكمد، وهو الحزن.
(٣) **عَدَلَتْ**: ساوت. **رَزِيَّةُ هَالِكٍ**: مصيبة ميت.
(٤) **مُنْزَل**: بضم الميم وفتح الزاي، مصدر، بمعنى الإنزال، تقول: أنزلتُه إنزالًا ومُنْزَلًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون: ٢٩]؛ أي: أنزلني إنزالًا مباركًا. انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ٢٦١)، «تفسير القرطبي» (١٢/ ١١٩).
(٥) **يغور**: أي: يبلغ الغَوْر، وهو المنخفض من الأرض. **وينجد**: أي: يبلغ النّجد، وهو المرتفع من الأرض. والمقصود: يَعُمّ جميع الأمكنة.
(٦) **النهج**: الطَّريق البين.
(٧) **الكنف**: الجانب والناحية. **يَمْهَدُ**: يُهَيِّئُ ويُوَطِّئُ. يقال: مَهَدت لنفسي: أي: جعلت لها مكانًا وطيئًا سهلًا.
(٨) **مُقْصِدُ**: مُصِيب، يُقَال: أقصد السّهْم: إذا أصاب.

فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا ... يُبَكِّيهِ حَقُّ الْمُرْسَلَاتِ[١] وَيَحْمَدُ
وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحُرْمِ[٢] وَحْشًا بِقَاعُهَا ... لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْهَدُ
قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا ... فَقِيدٌ يُبَكِّيهِ بَلَاطٌ وَغَرْقَدُ[٣]
وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ ... خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثَمَّ أَوْحَشَتْ ... دِيَارٌ وَعَرْصَاتٌ[٤] وَرَبْعٌ وَمَوْلِدُ
فَبَكِّي رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةً ... وَلَا أَعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعُكِ يَجْمُدُ
وَمَا لكِ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي ... عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ[٥]
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعْوِلِي ... لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوجَدُ[٦]
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ... وَلَا مِثْلُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ ... وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنَكَّدُ[٧]
وَأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ ... إِذَا ضَنَّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يُتْلِدُ[٨]
وَأَكْرَمَ صِيتًا فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى ... وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ[٩]

---

(١) **الْمُرْسَلَات**: يريد الملائكة.
(٢) **بلاد الحُرم**: يعني: مكة وما اتصل بها من الحرم.
(٣) **ضافها**: نزل بها. **بلاط**: مُسْتوٍ من الأَرْض. **الغرقد**: نوع من الشجر.
(٤) **العرصات**: بفتح العين والراء والصاد جمع عرصة، وهي الساحة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء. وسكنت الرَّاء هنا ضَرُورَة.
(٥) **سابغ**: كثير تامّ. **يَتَغَمَّدُ**: يستر، يقال: تَغَمَّده الله برحمته؛ أي: غَمَرَه بها وستره.
(٦) **أعولي**: من العويل، وهو شدة البكاء.
(٧) **النائل**: العطاء. **لا يُنَكَّدُ**: أي: لا يُكَدّر بالمنّ الذي يفسد النائل.
(٨) **الطّريف**: المال المستحدث. **التالد**: المال القديم الموروث. **ضَنّ**: بخل. **يُتْلِدُ**: من أَتْلَدَ الرجل، إذا اتَّخذ مالًا تليدًا، أي: قديمًا.
(٩) **الصّيت**: الذكر الحسن. **الأبطحي**: المنسوب إلى أبطح مكة، وهو موضع سهل متسع.

وَأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وَأَثْبَتَ فِي الْعُلَا ... دَعَائِمَ عِزٍّ شَاهِقَاتٍ تُشَيَّدُ[(١)]
وَأَثْبَتَ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبِتًا ... وَعُودًا غَذَاهُ الْمُزْنُ فَالْعُودُ أَغْيَدُ[(٢)]
رَبَاهُ[(٣)] وَلِيدًا فَاسْتَتَمَّ تَمَامُهُ ... عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ ... فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ[(٤)]
أَقُولُ وَلَا يُلْفَى لِقَوْلِيَ[(٥)] عَائِبٌ ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا عَازِبُ[(٦)] الْعَقْلِ مُبْعَدُ
وَلَيْسَ هَوَايَ نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ[(٧)] ... لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلُدُ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جِوَارَهُ ... وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه ـ أيضًا ـ **يرثي رسول الله** ﷺ[(٨)]:

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا ... كُحِلَتْ مَآقِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ[(٩)]
جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا ... يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعُدِ
وَجْهِي يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي ... غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ
بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ ... فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ النَّبِيَّ الْمُهْتَدِي
فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا ... مُتَلَدِّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُولَدِ[(١٠)]

---

(١) **الذروات**: الأعالي. **شاهقات**: مرتفعات بعيدات.
(٢) **المزن**: السّحاب. **أغيد**: نَاعِمٌ مُتَثَنٍّ.
(٣) **رَبَاهُ**: بالتخفيف للوزن.
(٤) **يُفْنَدُ**: يُعاب.
(٥) بفتح الياء للوزن.
(٦) **عازب العقل**: بعيد العقل، غائبه.
(٧) **نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ**: مُنْتَهٍ.
(٨) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٩ ـ ٦٧٠).
(٩) **مَآقِي**: جمع مُؤْقي، ومَأْقي، وهي مجاري الدُّموع من العين.
(١٠) **مُتَبَلِّدًا**: مُتَحَيِّرًا ومُتَلَهِّفًا. **ومُتَلَدِّدًا**: يقال: تَلَدَّدَ فُلانٌ؛ إذا تلفَّتَ يَمينًا وشِمالًا مُتَحَيِّرًا.

أَأُقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ ... يَا لَيْتَنِي صُبِّحْتُ سُمَّ الْأَسْوَدِ
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا ... فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدِ
فَتَقُومُ سَاعَتُنَا فَنَلْقَى طَيِّبًا ... مَحْضًا ضَرَائِبُهُ كَرِيمَ الْمَحْتِدِ(١)
يَا بِكْرَ آمِنَةَ الْمُبَارَكِ بِكْرُهَا ... وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بِسَعْدِ الْأَسْعَدِ
نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا ... منْ يُهْدَ لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا ... فِي جَنَّةٍ تَثْنِي(٢) عُيُونَ الْحُسَّدِ
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَاكْتُبْهَا لَنَا ... يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّؤْدَدِ
وَاللَّهِ أَسْمَعُ مَا بَقِيتُ بِهَالِكٍ ... إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ ... بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمُلْحَدِ
ضَاقَتْ بِالَانْصَارِ(٣) الْبِلَادُ فَأَصْبَحُوا ... سُودًا وُجُوهُهُمُ كَلَوْنِ الْإِثْمِدِ
وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ ... وَفُضُولُ نِعْمَتِهِ بِنَا لَمْ يُجْحَدِ
وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ ... أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةِ مَشْهَدِ
صَلَّى الْإِلَهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ ... وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

*** ورثاه أبو بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه بقوله(٤):**

لَمَّا رَأَيْتُ نَبِيَّنَا مُتَجَدِّلًا ... ضَاقَتْ عَلَيَّ بِعَرْضِهِنَّ الدُّورُ(٥)
وَارْتَعْتُ رَوْعَةَ مُسْتَهَامٍ وَالِهٍ ... وَالْعَظْمُ مِنِّي وَاهِنٌ مَكْسُورُ
أَعَتِيقُ وَيْحَكَ! إِنَّ حِبَّكَ قَدْ ثَوَى ... وَبَقِيتَ مُنْفَرِدًا وَأَنْتَ حَسِيرُ(٦)

---

(١) **الضرائب**: الطبائع. **والْمَحْتِد**: الأصل؛ أي: كريم الأصل.
(٢) **تثني**: تَصْرِف وتدفع.
(٣) **بالَانْصَار**: بتخفيف الهمزة، وذلك بنقل حركتها إلى ما قبلها وحذفها للوزن.
(٤) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٣٢٠).
(٥) **مُتَجَدِّلًا**: ملقيًا على الْجَدالَة وهي الأرض. **بِعَرْضِهِنَّ**: أي: سعتهنّ.
(٦) **ثَوَى بالمكان**: أقام به، والمعنى أقام واستقر في قبره. **حسير**: حزين.

يَا لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ مَهْلِكِ صَاحِبِي غُيِّبْتُ فِي جَدَثٍ[١] عَلَيَّ صُخُورُ
فَلَتَحْدُثَنَّ بَدَائِعٌ مِنْ بَعْدِهِ تَعْيَا بِهِنَّ جَوَانِحٌ[٢] وَصُدُورُ

* **وقالت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ترثي رسول الله ﷺ[٣]:**

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا وَكُنْتَ بِنَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا
وَكُنْتَ رَحِيمًا هَادِيًا وَمُعَلِّمًا لِيَبْكِ عَلَيْكَ الْيَوْمَ مَنْ كَانَ بَاكِيَا
لَعَمْرُكَ مَا أَبْكِي النَّبِيَّ لِفَقْدِهِ وَلَكِنْ لِمَا أَخْشَى مِنَ الْهَرْجِ آتِيَا[٤]
كَأَنَّ عَلَى قَلْبِي لِفَقْدِ مُحَمَّدٍ وَمَا خِفْتُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ الْمَكَاوِيَا[٥]
أَفَاطِمُ صَلَّى اللَّهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ عَلَى جَدَثٍ أَمْسَى بِيَثْرِبَ ثَاوِيَا
أَرَى حَسَنًا أَيْتَمْتَهُ وَتَرَكْتَهُ يُبَكِّي[٦] وَيَدْعُو جَدَّهُ الْيَوْمَ نَاعِيَا
فِدًى لِرَسُولِ اللَّهِ أُمِّي وَخَالَتِي وَعَمِّي وَآبَائِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا
صَبَرْتَ وَبَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ صَادِقًا وَمِتَّ صَلِيبَ الدِّينِ أَبْلَجَ[٧] صَافِيَا
فَلَوْ أَنَّ رَبَّ الْعَرْشِ أَبْقَاكَ بَيْنَنَا سَعِدْنَا، وَلَكِنْ أَمْرُهُ كَانَ مَاضِيَا
عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ تَحِيَّةً وَأُدْخِلْتَ جَنَّاتٍ مِنَ الْعَدْنِ رَاضِيَا

---

(١) **جَدَث**: بفتحتين، القبر.
(٢) **جَوَانِح**: الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر.
(٣) «تفسير القرطبي» (٤/ ٢٢٤)، «المعجم الكبير» للطبراني (٢٤/ ٣٢٠). وهو مرسل حسن عن عروة عن جدّته صفية رضي الله عنها؛ قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٩): «إسناده حسن». وعروة بن الزبير لم يدرك جدّته صفية، لكنه من أئمة المغازي الثّقات، ومعروف بشدَّة تحرِّيه في روايته.
(٤) **الهَرْج**: بفتح فسكون: الفتن واختلاط الأمور. وفسره النبي ﷺ في حديث أشراط الساعة بالقتل، وذلك لكون الاختلاط مع الاختلاف يفضي كثيرًا إلى القتل.
(٥) **المكاوي**: جمع مكواة وهي حديدة يُكوى بها البدن.
(٦) **يُبَكِّي**: بالتضعيف من بَكّى، وهو الموافق للوزن.
(٧) **صَلِيب الدِّين**: أي: قويمه. **أَبْلَج**: مُشْرِقٌ مُضِيءٌ.

الفصل السابع

تركة النبي ﷺ

فارق رسول الله ﷺ الدّنيا ولم يترك شيئًا من عرضها الزائل لِأَحدٍ بعده، قالت عائشة رضي الله عنها: «ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا، ولا درهمًا، ولا شاةً، ولا بعيرًا، ولا أوصى بشيء»[(١)]؛ أي: مما يتعلّق بالمال، أو بأمر الخلافة، وإن أوصى بأمور الدين. وقالت رضي الله عنها: «تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ وما في بيتي مِن شيء يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إلا شَطْر شعير ـ أي: شيئًا من شعير ـ في رَفٍّ لي، فَأَكَلْتُ منه حتى طال عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ»[(٢)].

وهذا يدل على أنّ الكيل في الإنفاق سبب لعدم البركة؛ قال النووي: والحكمة في ذلك أن الكيل مُضَادّ للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى، ويَتَضَمَّنُ التدبير والأخذ بِالْحَوْلِ والقوة، وَتَكَلُّفَ الْإِحَاطَة بِأَسْرَارِ حِكَم الله تعالى وفضله، فَعُوقِبَ فَاعِلُهُ بِزَوَالِه[(٣)]. فعائشة رضي الله عنها لمّا استبطأت فراغ الشعير وأرادت أن تحصيه وتعرف قدره جوزيت بفعلها.

وكانت عنده ﷺ بعض الدنانير فتصدّق بها قبل يوم من وفاته، وخرج من الدنيا وهو مَدين؛ يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ ودِرعه مَرْهُونَة عند يهودي[(٤)] بثلاثين صاعًا من شعير؛ أخذه طعامًا

(١) «صحيح مسلم» (٣/١٢٥٦ : ١٦٣٥).
(٢) «صحيح البخاري» (٤/ ٨١ : ٣٠٩٧)، «صحيح مسلم» (٤/ ٢٢٨٢ : ٢٩٧٣).
(٣) «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ٤١).
(٤) قال الحافظ في «فتح الباري» (٥/ ١٤١): «قال العلماء: الحكمةُ في عدوله ﷺ =

لِأهله»[١]. وكانت قيمة الطعام دينارًا واحدًا؛ قال أنس رضي الله عنه: «رهن رسول الله ﷺ درعًا له عند يهوديّ بدينار، فما وجد ما يَفْتَكُّهَا به[٢] حتى مات»[٣].

ومات وهو يلبس ثوبًا خشنًا مرقّعًا؛ روى أبو بُردة رحمه الله قال: أَخْرَجَتْ إلينا عائشة إِزَارًا غَلِيظًا وكِسَاءً مُلَبَّدًا ـ أي: مُرَقَّعًا ـ، فقالت: في هذا قُبِضَ رسول الله ﷺ[٤]. قال النووي: في هذا الحديث بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الزَّهَادَةِ في الدنيا والإعراض عن متاعها وَمَلَاذِّهَا وشهواتها وفاخر لباسها[٥].

وقال عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: أَخْرَجَتْ إِلَيَّ

= عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود، إما لبيان الجواز، أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل، أو خشي أنهم لا يأخذون منه ثمنًا أو عوضًا، فلم يُرد التضييق عليهم»، اهـ.

قلت: والتعليل الأخير أولى، وهذا من حسن خلقه ﷺ، فإنه أخفى حاجته عن أصحابه رضي الله عنهم لِعلمه أنهم لا يأخذون رهنه، ولا يقبضون منه الثمن، بل يفدونه بأنفسهم وأموالهم، ولو كان بهم خَصَاصَةٌ.

(١) «مسند أحمد» (٥/ ٣٨٨: ٣٤٠٨)، «سنن النسائي» (٧/ ٣٠٣: ٤٦٥١). وهو في «صحيح البخاري» (٤/ ٤١: ٢٩١٦) من حديث عائشة.

(٢) وذكر ابن الطَّلَّاع في «الْأَقْضِيَة النبوية» أن أبا بكر رضي الله عنه افْتَكَّ الدِّرْعَ بعد النبي ﷺ. لكن رَوَى ابن سعد عن جابر رضي الله عنه أن أبا بكر قضى عِدَات النبيّ ﷺ، وأن عليًا قضى ديونه، وروى إسحاق بن راهويه في «مسنده» عن الشَّعْبِيِّ مُرْسَلًا أن أبا بكر افْتَكَّ الدِّرْعَ وسلَّمها لِعَلِيِّ بن أبي طالب رضي الله عنهما. «فتح الباري» لابن حجر (٥/ ١٤٢).

(٣) «مسند أحمد» (٢١/ ١٤٩: ١٣٤٩٨)، «صحيح ابن حبان» (١٣/ ٢٦٣: ٥٩٣٧)، واللفظ له، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لهما.

(٤) «صحيح البخاري» (٤/ ٨٣: ٣١٠٨)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٦٤٩: ٢٠٨٠).

(٥) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٤/ ٥٦).

أسماء جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ[١] كِسْرَوَانِيَّةٍ، لها لِبْنَةُ[٢] دِيبَاج، وَفَرْجَيْهَا[٣] مَكْفُوفَيْنِ[٤] بِالدِّيبَاجِ، فقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قُبِضَتْ، فلما قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا، وكان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نَغْسِلُهَا للمرضى يُسْتَشْفَى بها[٥].

وقد رُوي أن النبي ﷺ كان يلبسها في الحرب، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ كانت له جُبَّةٌ مِنْ طَيَالِسَةٍ مَكْفُوفَةٍ بِالدِّيبَاجِ، يَلْقَى فيها الْعَدُوَّ»[٦].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ، وله جُبَّةُ صُوفٍ في الْحِيَاكَة»[٧]. وفي رواية قال: حِيكَتْ لِرسول الله ﷺ حُلَّةٌ مِنْ

---

(١) **الطَّيَالِسَة**: جمع طَيْلَسَان، بفتح اللام على المشهور. «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ٤٣). وهو كساء غليظ، والمراد أن الْجُبَّة غليظة كأنها من طَيْلَسَان. «عون المعبود» (١١/ ٦٩).

(٢) **كِسْرَوَانِيَّة**: بكسر الكاف ويفتح منسوب إلى كسرى ملك فارس. **لِبْنَةُ**: بكسر اللام وإسكان الباء؛ وهي رُقْعَةٌ توضع في جيب القميص وَالْجُبَّة. «مرقاة المفاتيح» (٧/ ٢٧٦٩).

(٣) **الْفَرْجُ في الثوب**: الشّقُّ الذي يكون أمام الثّوب وخلفه في أسفله. «نيل الأوطار» (٢/ ١٠٢).

(٤) **الْكَفُّ**: عَطْفُ أطراف الثّوب، والمعنى أنه خيط على طرف كل شِقٍّ قطعة ديباج من أعلى إلى أسفل. «مرقاة المفاتيح» (٧/ ٢٧٦٩). وقال النووي: «**مَكْفُوفَيْن**: معنى المكفوف أنه جعل لها كُفَّةً بضم الكاف، وهو ما يُكَفُّ به جوانبها ويُعْطَف عليها، ويكون ذلك في الذَّيْلِ وفي الْفَرْجَيْنِ وفي الْكُمَّيْنِ». «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ٤٤).

(٥) «صحيح مسلم» (٣/ ١٦٤١: ٢٠٦٩). والحديث يدلّ على جواز التبرك والاستشفاء بآثار النبي ﷺ.

(٦) «مسند أحمد» (٤٤/ ٥٤٠: ٢٦٩٨٦). وفيه عنعنة الحجاج، وهو صحيح بشواهده، إلا الزيادة الأخيرة.

(٧) «مسند الطيالسي» (٢/ ٣٠٥: ١٠٤٥)، «المعجم الكبير» للطبراني (٦/ ١٧٨: ٥٩١٩). قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٥٩١): «إسناده صالح»، وقال

أَنْمَارٍ[١] من صوف أسود، وجُعل لها ذُؤَابَتَانِ[٢] من صُوف أبيض، فخرج رسول الله ﷺ إلى المجلس وهي عليه، فضرب على فخذه فقال: «**ألا تَرَوْن، ما أحسن هذه الْحُلَّةَ!**»، فقال أعرابي: يا رسول الله، اكْسُنِي هذه الْحُلَّةَ ـ وكان رسول الله ﷺ إذا سُئِلَ شيئًا لم يقل لِشَيْءٍ يُسْأَلُهُ قَطُّ: لا ـ؛ قال: «**نعم**»، فدعا بِمُعَقَّدَتَيْن[٣] فَلَبِسَهَا، فأعطى الأعرابيَّ الْحُلَّةَ، وَأَمَرَ بِمثلها تُحَاكُ له، فمات رسول الله ﷺ وهي في الْمُحَاكَةِ[٤].

وعن محمد بن سِيرِين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كانت عنده عُصَيَّةٌ[٥] لِرسول الله ﷺ فمات ـ أي: أنس ـ فَدُفِنَتْ معه بين جَنْبِهِ وبين قميصه[٦].

= ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٣٧٩): «إسناده جيد».

(١) **حُلَّة أَنْمَار**: بهمزة مفتوحة: بردة من صوف يلبسها الأعراب. «سبل الهدى والرشاد» (٧/ ٥٥).

(٢) **ذُؤَابَتَانِ**: ضفيرتان تسقطان على الصدر.

(٣) **المُعَقَّد**: بضم الميم وفتح العين وتشديد القاف، ضرب من بُرُود هَجَر. «النهاية» لابن الأثير (٣/ ١٦٧)، مادة: (عقد)، «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٤٢٠).

(٤) «المعجم الكبير» للطبراني (٦/ ١٧٨ : ٥٩٢٠). وإسناده حسن في المتابعات والشواهد؛ قال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٣١): «رواه الطبراني، وفيه زمعة بن صالح وهو ضعيف، وقد وُثِّق، وبقية رجاله ثقات».
والْمُحَاكَة: بضم الميم: موضع الحياكة وهي النَّسْجُ.

(٥) **عُصَيَّة** ـ بضم العين وفتح الصاد وتشديد الياء ـ: تصغير عَصَا.

(٦) «مسند البزار» (١٣/ ٢٣٨ : ٦٧٤٠). وقال البزار: «وهذا الحديث لا نعلم رواه عن إسرائيل إلا مُخَوَّل بن إبراهيم، ومُخَوَّلُ صدوق، وكان فيه شيعية واحتمل على ذلك». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٥): «رجاله موثقون».
قلت: مُخَوَّل وإن كان رافضيًّا لكنه صدوق في نفسه كما قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٨٥)، وهذا الحديث ليس فيه ما يؤيد بدعته، فعليه يكون الحديث حسنًا إن شاء الله تعالى.

وعن عاصم الأحول رَحِمَهُ اللهُ قال: رَأَيْتُ قَدَحَ النبي ﷺ عند أنس بن مالك وكان قد انصدع فَسَلْسَلَهُ بِفِضَّةٍ، قال: وهو قَدَحٌ جَيِّدٌ عَرِيضٌ من نُضَارٍ(١)، قال أنس: «لقد سَقَيْتُ رسول الله ﷺ في هذا القَدَح أكثر من كذا وكذا»، وقال ابن سيرين: إنه كان فيه حلقة من حديد، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة، فقال له أبو طلحة: لا تُغَيِّرَن شيئًا صَنَعَهُ رسول الله ﷺ فَتَرَكَه(٢).

وعن عيسى بن طَهْمَانَ رَحِمَهُ اللهُ قال: أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسٌ «نَعْلَيْنِ جَرْدَاوَيْن(٣) لهما قِبَالَانِ»(٤)، فَحَدَّثَنِي ثابت البُنَانِيُّ بعد عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنهما «نَعْلَا النَّبِيِّ ﷺ»(٥).

وكان سيف رسول الله ﷺ ذو الْفَقَارِ عند آل عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ فعن عليِّ بنِ حُسَيْن رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهم حين قدِموا المدينَة من عندِ يزيدَ بن معاويةَ مَقْتَلَ حسينِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهما ورحمهما؛ لَقِيَهُ المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ، فقالَ لهُ: هل لك إليَّ مِن حاجةٍ تأمُرُني بها؟ فقلتُ له: لا. فقالَ: فهل أنتَ

---

(١) **نُضَار**: بِضَمّ النُّون وَتَخْفِيف الضَّاد الْمُعْجَمَة، وقيل: بِضَم النُّون وكسرها، وهُو أَجود الخشب للآنية، ويعمل مِنْه مَا رقّ من الأقداح واتسع وما غلظ. «عمدة القاري» (٢١/ ٢٠٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٧/ ١١٤: ٥٦٣٨).

(٣) **جَرْدَاوَيْن**: تَثْنِيَة جَرداء مؤنث أجرد؛ أي: الخَلَق (البالي) بِحَيْثُ صَار مُجَرّدًا عن الشّعْر. «عمدة القاري» للعيني (١٥/ ٣٢).

(٤) **قِبَالَانِ**: بِكَسْر الْقَاف تَثْنِيَة قِبَال: وهو الزِّمَامُ؛ أي: السَّيْر الذي يُعْقَدُ فيه الشِّسْعُ الذي يكون بين إصبعي الرِّجْلِ. «فتح الباري» (١٠/ ٣١٢). قال الْجَزَرِيُّ: كان لِنَعْلِ رسول الله ﷺ سَيْرَانِ يَضَعُ أحدهما بين إبهام رجله والتي تليها، ويَضَعُ الآخر بين الوسطى والتي تليها، وَمَجْمَعُ السَّيْرَيْنِ إلى السَّيْرِ الذي على وجه قدمه ﷺ وهو الشِّرَاك. «مرقاة المفاتيح» (٧/ ٢٨٠٩).

(٥) «صحيح البخاري» (٤/ ٨٣: ٣١٠٧).

مُعْطِيَّ سيفَ رسولِ الله ﷺ؛ فإني أخافُ أن يَغْلِبَك القومُ عليه؟ وَايْمُ اللهِ لَئِنْ أعْطَيْتَنِيهِ لا يُخْلَصُ إليه أبدًا حتى تُبْلَغَ نفسي[١]؛ أي: حتى تُقْبَض روحي.

وذكر المحبّ الطّبري أن رسول الله ﷺ ترك يوم مات ثَوْبَيْ حِبَرَة، وإزارًا عُمَانيًّا، وثوبين صُحارِيَّين[٢]، وقميصًا صُحاريًّا، وقميصًا سَحوليًّا، وجُبَّةً يَمَنِيَّةً، وَخَمِيصَةً[٣]، وَكِسَاءً أبيض، وقَلَانِسَ صغارًا لاطيةً[٤]، ثلاثًا أو أربعًا، وإزارًا طوله خمسة أشبار، ومِلْحَفَةً مُوَرَّسَةً[٥]. أي: مصبوغة بالورس.

حكم تركة النبي ﷺ

ما تركه الرسول ﷺ جعله صدقة؛ حدّثت عائشة رضي الله عنها فقالت: إن أزواج النبي ﷺ حين تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ أَرَدْنَ أن يَبْعَثْنَ عثمان إلى أبي بكر رضي الله عنه يَسْأَلْنَهُ ميراثهنّ، فقالت عائشة: أَلَيْس قد قال رسول الله ﷺ: «**لا نُورَثُ، ما تركنا صدقة**»[٦]. وفي رواية قالت: ألا تَتَّقِين الله؟ أَلَمْ

---

(١) «صحيح البخاري» (٤/ ٨٣: ٣١١٠)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٠٣: ٢٤٤٩).

(٢) **صُحَارِيَّين**: بضم الصاد وفتح الحاء المهملة نسبة إلى صُحار بلدة باليمن. «بهجة المحافل» للعامري (٢/ ١٧٠)

(٣) **الخَميصة**: كساءٌ أسود مُرَبَّع له أَعْلَام (أي: خطوط)، ويكون من خَزّ أَو صوف، ولا يُسمّى خميصة إلّا أن تكون سَوْدَاء مُعْلَمَةً، سمّيت بذلك لِلِينها وَرِقَّتِهَا وَصِغَرِ حجمها إذا طُوِيَتْ. «عمدة القاري» (٤/ ٩٣).

(٤) **لاطية**: أي: لاصقة برأسه غير مرتفعة، أشار به إلى قصرها وخفتها. «فيض القدير» للمناوي (٥/ ٢٤٦).

(٥) «خلاصة سير سيِّد البشر» لمحب الدين الطبري (ص١٧٦). ولم أقف عليه مسندًا.

(٦) «صحيح البخاري» (٨/ ١٥٠: ٦٧٣٠)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٣٧٩: ١٧٥٨).

تسمَعْنَ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا نُورَثُ، ما تركنا فهو صدقة، وإنما هذا المال لآل محمد، لنائِبتهم ولِضَيفِهم، فإذا مِتُّ فهو إلى وَليِّ الأمر مِنْ بعدي**»[١].

وقال عمرو بن الحارث خَتَن رسول الله ﷺ أخو جويرية بنت الحارث رضي الله عنهما: «ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا، ولا درهمًا، ولا عبدًا، ولا أمةً، ولا شيئًا، إلا بَغْلَتَهُ البيضاء التي كان يَرْكَبُهَا[٢]، وسلاحه، وأرضًا[٣] جَعَلَهَا لابن السبيل صدقة»[٤]؛ أي: موقوفة، فحُبست أصلها، وسُبِّلت منفعتها.

قال الحافظ ابن كثير: وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام، نَجَزَ الْعِتْقَ في جميع ما ذُكِر من العبيد والإماء، والصدقة في جميع ما ذُكِر من السّلاح والحيوانات وَالْأَثَاث والمتاع[٥].

وقال الحافظ ابن حجر: والذي يظهر أن الصدقة المذكورة من جنس الأوقاف المطلقة يَنْتَفِعُ بها من يحتاج إليها، وتُقَرُّ تحت يد من يُؤْتَمَنُ عليها، ولهذا كان عند سهل قَدَحٌ، وعند عبد الله بن سَلَام آخر،

---

(١) «سنن أبي داود» (٤/ ٥٩٤ : ٢٩٧٧)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(٢) وقد تَأَخَّرَتْ هذه البغلة، وطالت مُدَّتُهَا حتى كانت عند علي بن أبي طالب في أيام إِمَارَتِه، ومات رضي الله عنه، فَصَارَتْ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكَبِرَت حتى كان يُجَشُّ ـ أي: يطحن ـ لها الشعير لِتَأْكُلَهُ. «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٢٢٨). وبقيت إلى زمن معاوية وماتت بِيَنْبُعَ. «خلاصة سير سيِّد البشر» للمحب الطبري (ص١٦٩).

(٣) الحصر في الثلاثة المذكورة في هذا الخبر إضافيّ؛ فقد ترك ﷺ ثيابه ومتاع بيته، ولكنها لما كانت بالنسبة للمذكورات يسيرة لم تذكر. «منتهى السول» لِلَّحْجي (٤/ ٣٢٦)

(٤) «صحيح البخاري» (٤/ ٢ : ٢٧٣٩، ٦/ ١٥ : ٤٤٦١).

(٥) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٨١).

وَالْجُبَّةُ عند أسماء بنت أبي بكر ﵄، وغير ذلك[١].

وإنما جعل ﷺ ما تركه صدقة؛ لأنه لم يُبعث جابيًا للأموال، ولا خازنًا لها، إنما بُعث هاديًا وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا، لا يريد بذلك جزاءً ولا شكورًا؛ قال ابن بطال: ووجه ذلك أن الله ﷻ لما بعثه إلى عباده، ووعده على التبليغ لدينه والصدع بأمره: الجنة، وأَمَرَه أن لا يأخذ منهم على ذلك أجرًا ولا شيئًا من متاع الدنيا بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧]، أراد ﷺ أن لا يُنْسَبَ إليه من متاع الدنيا شيء يكون عند الناس في معنى الأجر والثمن، فلم يحلّ له شيء منها؛ لأن ما وصل إلى المرء وأهله فهو واصل إليه، فلذلك حرم الميراث على أهله؛ لئلا يُظن به أنه جمع المال لورثته، كما حرمهم الصدقات الجارية على يديه في الدنيا؛ لئلا يُنسب إلى ما تَبَرّأ منه في الدنيا»[٢].

ما توارثه الخلفاء من التركة[٣]

كانت غَلَّاتُ الضِّيَاع تُقسم في سُبُل الخير على ما كان يقسمها ﷺ في حياته، وأمّا ما سوى ذلك مثل البَغْلة والْحَرْبَة والكسوة والسلاح والسَّرِير فكانت وقفًا يَتَجَمَّلُ به الأئمة المسلمون بعده، وَيَتَبَرَّكُون به كما كان ﷺ يتجمّل به، وكان ذلك في أيدي الأئمة واحدًا بعد واحد[٤]؛ قال

(١) «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٩٩).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٨/ ٣٤٤).

(٣) عَقَد الإمام البخاري ﵀ في «صحيحه» بابًا بعنوان: باب مَا ذُكِرَ مِنْ دِرْعِ النَّبِيِّ ﷺ، وعصاهُ، وسيفِهِ، وقَدَحِهِ، وخاتَمِهِ، وما استعملَ الخلفاءُ بعدَهُ مِن ذلك؛ مما لم يُذْكَرْ قِسْمَتُهُ، ومِن شَعرِهِ، ونَعْلِهِ، وآنيتِهِ؛ مما يَتَبَرَّكَ أصحابُهُ وغيرُهُم بعدَ وفاتِهِ.

(٤) انظر: «تركة النبي ﷺ» لحماد بن إسماعيل البغدادي (ص١١٣).

عمرو بن مُهَاجِر: كان لِعُمَرَ بن عبد العزيز ﷺ بيتٌ يخلو فيه، في ذلك البيت ما ترك رسول الله ﷺ؛ فإذا سريرٌ مَرْمُولٌ بِشَرِيطٍ(١)، وقَعْب(٢) يُشرب فيه الماء، وجَرَّةٌ مكسورةُ الرأس يُجعل فيها الشيء، ووسادة من أدم مَحْشُوَّةٌ بِلِيفٍ، وقطيفةٌ غبراء(٣) كأنها من هذه القُطُف الْجَرْمَقَانِيَّة(٤)؛ فيها من وسخ شعر رسول الله ﷺ، ثم يقول: يا قريش، هذا تراث من أَكْرَمَكُمُ الله ﷻ به وَأَعَزَّكُمْ، يَخْرُجُ من الدنيا على ما تَرَوْنَ(٥).

وقال عروة رحمه الله: إن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفد رِدَاءٌ حَضْرَمِيّ طوله أربعة أذرع، وعرضه ذراعان وشبر، فهو عند الخلفاء، قد خَلق ـ أي: بلي ـ، فَطَوَوْهُ بِثَوْبٍ، يلبسونه يوم الأضحى والفطر(٦). قال السيوطي: وقد كانت هذه البردة عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على أكتافهم في المواكب جلوسًا وركوبًا، وكانت على المقتدر حين قُتل، وتلوّثت بالدم، وأظن أنها فقدت في فتنة التتار فإنا لله وإنا إليه راجعون(٧).

---

(١) **مَرْمُول**: منسوج. **بشريط**: أي: بحبل يُفْتل من خُوصٍ. [«عمدة القاري» (١٣/ ١٨)، «مختار الصحاح» للرازي (ص١٦٣)، مادة: (شرط)].

(٢) **القَعْبُ**: القَدَحُ الضَّخْمُ الغَلِيظُ الجَافي. [«لسان العرب» (١/ ٦٨٣)، مادة: (قعب)].

(٣) **اغبَرَّ الشَّيْءُ**: علاه الغُبارُ، أو صار لونُه كلون الغبار، فَهُو أغبر وَهِي غبراء. [انظر: «لسان العرب» (٥/ ٥)، مادة: (غبر)].

(٤) **الجَرْمَقَانيّ**: بجيم مفتوحة فراء ساكنة فميم مفتوحة، منسوب إلى الجَرَامِقة. قال في «الصحاح»: قوم بالموصل أصلهم من العجم، وقال غيره: جرامقة الشام أنباطها. «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٣٧٨). وضبطه العيني في «نخب الأفكار» (٢/ ١٤٥) بضمِّ الجيم، وسكون الراء، وضمِّ الميم.

(٥) «الزهد» لأحمد بن حنبل (ص١٠ : ٢٨) ورجاله ثقات.

(٦) «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٤٦٥).

(٧) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٢١).

وكان قَضِيبُهُ ﷺ من شَوْحَط[١] وكان عند الخلفاء بعده حتى كسره جَهْجَاهُ الْغِفَارِيُّ في زمن عثمان رضي الله عنه[٢].

نفقة أزواج النبي ﷺ في التركة

قالت عائشة رضي الله عنها: إن فاطمة والعباس رضي الله عنهما أَتَيَا أبا بكر يَلْتَمِسَانِ ميراثهما، أرضه ﷺ من فَدَك[٣]، وسهمه من خيبر، فقال أبو بكر: سمعتُ

---

(١) **قَضِيبُ شَوْحَطٍ**: أي: غصن مقطوع من شجرة شَوْحَط ـ بفتح الشّين المعجمة وإسكان الواو فحاء مفتوحة ـ، وهو ضربٌ من شجر الجبال تتّخذ منه القِسِيّ. «منتهى السؤل» (١/ ٦١٩).

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٢١٣).

(٣) **فَدَك**: بلدة بينها وبين المدينة ثلاث مراحل، أفاءها الله على رسوله صلحًا يوم فتح خيبر، فكانت خالصة لرسول الله ﷺ، وجعلها حبسًا لأبناء السبيل. «فتح الباري» (٦/ ٢٠٣، ٢٠٦). وهي تقع شرقي خيبر، وتُعرف اليوم بالحائط. «معجم المعالم الجغرافية» للبلادي (ص٢٣٥). وبينها وبين المدينة (٣٠٠ كم) تقريبًا الآن.

ويحسُنُ التنبيه هنا إلى أن ما روي عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦]، قال النبي ﷺ: **«يا فاطمة لك فَدَك»** هو حديث موضوع، فقد أخرجه الحاكم في «تاريخه» كما في «كنز العمال» (٣/ ٧٦٧) وقال: «تفرَّد به إبراهيم بن محمد بن ميمون عن علي بن عابس»، اهـ. **قلت**: وهما من الشيعة؛ قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٦٣) عن إبراهيم بن محمد: «من أجلاد الشيعة»، ونص العقيلي على أن علي بن عابس من الشيعة كما في «ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٠)، وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٣٤) في ترجمة علي بن عابس بعد أن ذكر حديثه: «هذا باطلٌ، ولو كان وقع ذلك لما جاءت فاطمة رضي الله عنها تطلب شيئًا هو في حوزها وملكها»، وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٦٣)، [ط. العلمية] بعد أن ذكر الحديث من رواية البزار: «هذا الحديث مشكل لو صحّ إسناده؛ لأن الآية مكية، وفَدَك إنما فُتِحَت مع خيبر سنة سبع من الهجرة، فكيف يلتئم هذا مع هذا؟! فهو إذًا حديث منكر، والأشبه أنه من وضع الرافضة».

النبي ﷺ، يقول: «**لا نُورَثُ ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال**»، والله لَقَرَابَةُ رسول الله ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أن أَصِلَ من قرابتي(١).

وقوله ﷺ: «**إنما يأكل آل محمد في هذا المال**»؛ أي: يُعطون من الفيء ما يكفيهم، وليس على وجه الميراث(٢)، فكانت نفقة أزواج النبي ﷺ بعده عليه الصلاة والسلام من صَفايا أموال بني النضير وفَدَك وخيبر مدّةَ حياتهنّ؛ إذ النبي ﷺ استثناها لهنّ بقوله: «**لا يقتسم ورثتي دينارًا ولا درهمًا، ما تركتُ بعد نفقة نسائي ومَئُونَةِ عاملي فهو صدقة**»(٣). وذلك لكونهنّ محبوساتٍ في حقّه ﷺ، لا تحلُّ لأحدٍ بعده.

هل الحجرات النبوية من الميراث

وأما إبقاء الحجرات في أيدي الأزواج المطهرات فلأجل كونها مملوكة لهنّ، لا لكونها ميراثًا، فإن النبي ﷺ بنى كلّ حجرة لزوجة من أزواجه ووهبها لهنّ، فتحققت الهبة بالقبض وهي موجبة للملك، كما بنى حجرةً لفاطمة رضي الله عنها وسلّمها إليها، ولذا أضاف الله تعالى البيوت لهنّ في حياة النبي ﷺ في قوله عزّ اسمه: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣](٤). ومما يدل على ملكيتهنّ للحجرات أنهنّ كنّ يتصرّفن فيها تصرف الملّاك، فعائشة رضي الله عنها أوصت لعبد الله بن الزبير بحُجرتها، واشترى هو حجرة سودة رضي الله عنها(٥). وصفية بنت حُيَيّ باعت حجرتها من

(١) «صحيح البخاري» (٥/ ٩٠: ٤٠٣٥)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٣٨٠: ١٧٥٩).
(٢) «عمدة القاري» (١٧/ ١٣١).
(٣) «صحيح البخاري» (٤/ ١٢: ٢٧٧٦)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٣٨٢: ١٧٦٠).
(٤) انظر: «روح المعاني» للآلوسي (٢/ ٤٢٩)، «مختصر التحفة الاثني عشرية» للشاه عبد العزيز الدهلوي (ص٢٤٥).
(٥) «السنن الكبرى» للبيهقي (٦/ ٥٧: ١١١٨١) بسند صحيح.

معاوية رضي الله عنهما بمائة ألف(١).

وقيل: إن سكناهن في البيوت من النفقة التي استثناها النبي ﷺ لهن، وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه» بابًا عنون له بقوله: «باب ما جاء في بيوت أزواج النبيِّ ﷺ، وما نُسِبَ من البيوتِ إليهنَّ»، وذكر فيه النصوص التي نُسب فيها البيوت إليهنّ، قال ابن المُنَيِّر: «غرض البخاري بهذه الترجمة أن يُبَيِّنَ أن هذه النسبة تُحَقِّقُ دوام استحقاقهن للبيوت ما بَقِين؛ لأنّ نفقتهنّ وسكناهنّ من خصائص النبي ﷺ، والسِّرُّ فيه حَبْسُهُنّ عليه»(٢).

ميراث النبوة

ميراث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو العلم المبني على الكتاب الذي نزل به الروح الأمين، وسنة سيد المرسلين، لا المال والطين؛ كما قال ﷺ: «**إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا دِرْهمًا، إنَّمَا ورَّثُوا العِلْمَ، فمن أخَذَه أخَذَ بحظٍّ وَافِرٍ**»(٣).

وقد أوصى الرسول ﷺ أُمَّته قبل وفاته بالأخذ من هذا الميراث، وذلك بالتّمسك بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، علمًا وعملًا وتعليمًا، حتى تُعصم من الفتن والمحن؛ فقام عليه الصلاة والسلام خطيبًا بِمَاءٍ يُدعى خُمًّا بين مكة

---

(١) «سنن سعيد بن منصور» (١/ ١٥٢) بسند صحيح، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير عكرمة، فمن رجال البخاري.

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٢١١).

(٣) «سنن أبي داود» (٥/ ٤٨٥ : ٣٦٤١)، «سنن الترمذي» (٥/ ٤٨ : ٢٦٨٢)، «صحيح ابن حبان» (١/ ٢٨٩ : ٨٨)، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه لأبي داود وابن حبان. وقد أورده البخاري في «صحيحه» (١/ ٢٤) بدون إسناد.

والمدينة، فحَمِدَ الله وأثنى عليه، ووعظ وَذَكَّرَ، ثم قال: «**أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسولُ ربي فَأُجِيب، وأنا تارك فيكم ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**»، فحث على كتاب الله ورَغَّب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي أُذَكِّرُكُمُ الله في أهل بيتي، أُذَكِّرُكُمُ الله في أهل بيتي، أُذَكِّرُكُمُ الله في أهل بيتي**»[(١)]؛ أي: اعرفوا لهم حقهم بحبهم وتقديرهم، والعناية بشأنهم، ومعاملتهم بالحسنى؛ فلآل محمد ﷺ منزلة ومكانة لا يشركهم فيها غيرهم.

فائدة: زوجاته ﷺ اللاتي تُوُفِّيَ عنهن

تزوج رسول الله ﷺ إحدى عشرة امرأة، ودخل بهن باتفاق، واختلف فيما زاد على ذلك، تُوفيت منهن اثنتان في حياة النبي ﷺ، وهما: خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة رضي الله عنهما[(٢)]، ومات عن تسع منهن؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ وعنده تِسْعُ نسوة يُصِيبُهُنَّ إلا سَوْدَةَ، فإنها وَهَبَتْ يومها وليلتها لعائشة»[(٣)].

قال الحافظ ابن كثير: لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام تُوُفِّيَ عن تسع، وهُنَّ: عائشة بنت أبي بكر الصديق التَّيْمِيَّةُ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب الْعَدَوِيَّةُ، وأمّ حبيبة رَمْلَةُ بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أُمَيَّةَ الْأُمَوِيَّةُ، وزينب بنت جحش الْأَسَدِيَّةُ، وأمّ سلمة هند بنت أبي أُمَيَّة الْمَخْزُومِيَّةُ، وميمونة بنت الحارث الْهِلَالِيَّةُ، وسَوْدَةُ بنت زَمْعَةَ الْعَامِرِيَّةُ،

---

(١) «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٧٣ : ٢٤٠٨).

(٢) انظر: «المواهب اللَّدنية» للقسطلاني (١/ ٤٩٠ ـ ٤٩١).

(٣) «سنن النسائي» (٦/ ٥٣ : ٣١٩٧) وسنده صحيح.

وجُوَيْرِية بنت الحارث بن أبي ضِرَارٍ الْمُصْطَلِقِيَّةُ، وصَفِيَّةُ بنت حُيَيٍّ بن أخطب النَّضْرِيَّةُ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ الْهَارُونِيَّة، رضي الله عنهن وأرضاهن.

وكانت له سُرِّيَّتَانِ وهما: مَارِيَةُ بنت شَمْعُونَ الْقِبْطِيَّةُ المصرية، وهي أم ولده إبراهيم عليه السلام، وريحانة الْقُرَظِيَّةُ أسلمت ثم أعتقها فَلَحِقَتْ بأهلها(١).

فائدة: أولاده ﷺ

أولاد النبي ﷺ سبعة على المشهور، ثلاثة ذكور، وأربع إناث:

فأما الذكور: فأوّلهم القاسم، وبه كان يُكنى، ثم وُلد له عبد الله، ويقال له الطيّب والطاهر، وقيل هما غيرُه، والصحيح: أنهما لقبان له، ثم وُلد له إبراهيم بالمدينة سنة ثمان من الهجرة. وماتوا جميعًا صغارًا.

وأما الإناث فهن: زينب، ورُقَيَّة، وأمّ كُلْثُوم، وفاطمة.

وكل أولاده من خديجة رضي الله عنها، إلا إبراهيم فإنه من سُرِّيَّتِهِ مارية القبطية رضي الله عنها.

وكل أولاده ماتوا قبله ﷺ إلا فاطمة رضي الله عنها فإنها تُوُفّيت بعده بستة أشهر على الأصح(٢)، وقيل: بثمانية أشهر. ولم يبق من يُنسب إليه ﷺ بولادة سوى أولادها(٣)؛ قال الحافظ ابن القيم: فمَن انتسب إليه ﷺ من أولاد ابنته فإنما هو من جهة فاطمة رضي الله عنها خاصة(٤).

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٢٠١).

(٢) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ٢٦)، «زاد المعاد» (١/ ١٠٠ - ١٠١)، «الفصول في السيرة» لابن كثير (ص٢٤١).

(٣) «الإفصاح» لابن هبيرة (٧/ ١٤٨).

(٤) «جلاء الأفهاء» لابن القيم (ص٢٦٤).

دروس وعبر

١ ـ **العلم هو ميراث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**، أما أموال الدنيا فلم يجمعوها، ولم يُوَرِّثُوا شيئًا منها.

وهذا الميراث حق مشاع لكل أحد، لا يختص بقريب أو نسيب، فمَن أخذه أخذ بِحَظٍّ وافر؛ فينبغي لكل مسلم أن يسارع ليأخذ نصيبه من هذا الميراث النبوي، حتى يسعد في الدنيا والأخرى.

روى عبد الله الرومي قال:

مَرَّ أبو هريرة رضي الله عنه بسوق المدينة فوقف عليها، فقال: يا أهل السوق، مَا أَعْجَزَكُم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟، قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يُقْسَمُ، وأنتم هاهنا لا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه. قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد. فخرجوا سِرَاعًا إلى المسجد، وَوَقَفَ أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: يا أبا هريرة، قد أتينا المسجد فدخلنا، فلم نَر فيه شيئًا يُقْسَم، قال: أما رأيتم في المسجد أحدًا؟ قالوا: بلى، رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرؤون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام. فقال لهم أبو هريرة: وَيْحَكُمْ، فذاك ميراث محمد ﷺ[(١)].

٢ ـ **الإسلام دين الحق والعدل، حفظ لكل أحد حقه** ـ مسلمًا كان أم كافرًا ـ، ولم يبخس أحدًا شيئًا، والناس كلهم سواسية أمام تعاليمه وأحكامه، ويتعامل مع الجميع بميزان واحد، لا تميل كفَّته ولا يضطرب مقياسه.

---

(١) «المعجم الأوسط» للطبراني (٢/ ١١٤ : ١٤٢٩). وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٢٤): «إسناده حسن».

ويدل على ذلك أن النبي ﷺ عندما أراد أن يستدين من يهودي طعامًا لِأَهله لم يصادر حقه في الاستيثاق لِدَينه بما يملك من قوة وسلطان، بل ترك درعه رهنًا عنده حتى يقضي دينه، وتُوفِّيَ رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند اليهودي. وفي ذلك تأكيد على عدل الإسلام واحترامه لأهل الذمة وصيانة حقوقهم وأموالهم.

٣ ـ **زهده** ﷺ: كان النبي ﷺ أزهد الناس في الدنيا، يعيش عيشة المساكين، ويصبر على الشدة والضيق، ويكتفي بالبُلْغة من العيش.

* **فكان مسكنه** ﷺ غرفة صغيرة من الطين. تقول عائشة رضي الله عنها: «كنت أنام بين يَدَيْ رسول الله ﷺ وَرِجْلَايَ في قبلته، فإذا سجد غَمَزَنِي، فقبضتُ رِجْلَيَّ، فإذا قام بَسَطْتُهُمَا، والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح»[١]. فغمْزُها عند السجود إنما كان لضيق المكان وصغر الحجرة.

هذا بيت سيِّد العالمين، فهل منّا أحد يعيش في غرفة لا تسع مصلّ ونائم!!

* **وكان عامة طعامه** ﷺ غليظُ الشعير، ورديءُ التمر، وربما بات طاويًا، لا يجد ما يأكله. يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «ما شبع آل محمد ﷺ من طعام ثلاثة أيام حتى قبض»[٢]؛ أي: أنه كان يشبع يومًا بقدر ثلث بطنه ويجوع أيامًا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يَبِيتُ الليالي المتتابعة طاويًا ـ أي: خاليَ البطن جائعًا ـ وأهلُه لا يجدون عَشَاءً، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير»[٣]، ولم يشبع منه قط.

---

(١) «صحيح البخاري» (١/ ٨٦: ٣٨٢)، «صحيح مسلم» (١/ ٣٦٧: ٥١٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٧/ ٦٨: ٥٣٧٤).

(٣) «سنن الترمذي» (٤/ ٥٨٠: ٢٣٦٠)، وقال: «حسن صحيح»، «سنن ابن ماجه» =

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير»(١).

وحدّث عمر رضي الله عنه فقال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ يَظَلُّ اليوم يَلْتَوِي، ما يجد دَقَلًا ـ أي: تمرًا رديئًا ـ يملأ به بطنه»(٢).

وقال النعمان بن بشير رضي الله عنه: «رُبَّمَا أتى على رسول الله ﷺ الشهر، يظل يَتَلَوَّى، ما يشبع من الدَّقَل»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن فاطمة ناولت رسول الله ﷺ كسرة من خبز شعير، فقال: «هذا أَوَّلُ طعام أَكَلَه أبوك من ثلاثة أيام»(٤).

وقالت عائشة رضي الله عنها لعُروة: «وَاللهِ يَا ابنَ أُختي، إن كُنَّا لَنَنْظُرُ إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أَهِلَّةٍ في شهرين، وما أُوقِدَتْ في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقلت يا خالة: ما كان يُعِيشُكُمْ؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، كانت لهم مَنَائِحُ، وكانوا يَمْنَحُونَ رسول الله ﷺ من ألبانهم، فَيَسْقِينَا»(٥).

وقال أنس رضي الله عنه: «ما أكل النبي ﷺ خبزًا مُرَقَّقًا حتى مات»(٦).

= (٤/ ٤٤٧: ٣٣٤٦)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(١) «صحيح البخاري» (٧/ ٧٥: ٥٤١٤).

(٢) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٢٨٥: ٢٩٧٨).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣٠/ ٣٠٧: ١٨٣٥٧)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢٠/ ٤٤٠: ١٣٢٢٣)، «المعجم الكبير» للطبراني (١/ ٢٥٨: ٧٥٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣١٣): «رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات»، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٥) «صحيح البخاري» (٣/ ١٥٣: ٢٥٦٧)، «صحيح مسلم» (٤/ ٢٢٨٣: ٢٩٧٢).

(٦) «صحيح البخاري» (٨/ ٩٦: ٦٤٥٠).

وربما أكل الخبز اليابس والخَلّ، حدّثت أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها فقالت: دخل عَلَيَّ رسول الله ﷺ فقال: «**هل عندكم شيء؟**» فقلتُ: لا، إلَّا كِسَرٌ يَابِسَةٌ وَخَلٌّ. فقال النبيّ ﷺ: «**قَرِّبيه، فما أَقْفَرَ** ـ أي: ما خَلا ـ **بيتٌ من أُدْمٍ فيه خَلٌّ**»[(١)].

* **وأما فراشه** ﷺ فقد كان يضطجع على حصير يترك أثرًا في جنبه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حَصِيرٍ، فجلستُ، فَأَدْنى عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أَثَّرَ في جنبه، فنظرت بِبَصَرِي في خِزَانَةِ رسول الله ﷺ، فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلها قَرَظًا[(٢)] في ناحية الغرفة، وإذا أَفِيقٌ[(٣)] مُعَلَّقٌ؛ قال: فابتدرت عيناي. قال: «**ما يُبْكِيكَ يا ابن الخطاب؟**». قلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أَثَّرَ في جنبك، وهذه خِزَانَتُكَ لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنتَ رسول الله ﷺ وصفوته، وهذه خِزَانَتُكَ! فقال: «**يا ابن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة، ولهم الدنيا؟**»، قلت: بلى»[(٤)]. وفي رواية للبخاري: «فقال ﷺ: «**أَوَفِي شكٍّ أنتَ يا ابن الخطاب؟! أولئك قوم عُجِّلَتْ لهم طيباتهم في الحياة الدنيا**»، فقلت: يا رسول الله، استغفر لي»[(٥)].

(١) «سنن الترمذي» (٤/ ٢٧٩ : ١٨٤١). وقال: «حديث حسن غريب».
قلت: وفي أحد رواته كلام، لكنه حسن بشواهده.
(٢) **القَرَظ**: ورق شجر يدبغ به. «عمدة القاري» (١٩/ ٢٥١).
(٣) **أَفِيق** ـ بوزن: عظيم ـ: الجلد الذي لم يتم دباغه. «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٢٨٨).
(٤) «صحيح مسلم» (٢/ ١١٠٦ : ١٤٧٩).
(٥) «صحيح البخاري» (٣/ ١٣٤ : ٢٤٦٨).

وحدّث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أَثَّرَ في جَنْبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتَّخَذْنَا لك وِطَاءً، فقال: **«ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»**(١).

* **وأما لباسه** ﷺ فاختار البَذَاذَة تواضعًا لله تعالى، ولبس الثوب البَالي؛ رَوَت قَيْلَة بنت مَخْرَمَة رضي الله عنها قالت: «رأيتُ النبي ﷺ وعليه أَسْمَالُ(٢) مُلَيَّتَيْنِ(٣) كانتا بزعفران وقد نَفَضَتْهُ(٤)»(٥). ومات ﷺ وهو يلبس إزارًا غليظًا، وكِسَاءً مُرقّعًا(٦).

* **وفارق الدّنيا** ولم يترك لأهله شيئًا منها؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا، ولا درهمًا، ولا شاةً، ولا بعيـرًا، ولا أوصى بشيء»(٧).

---

(١) «سنن الترمذي» (٤/ ٥٨٨: ٢٣٧٧). وقال: «حديث حسن صحيح».
(٢) **الأسمال**: جمع سَمَل ـ بفتحتين ـ: وهو الثوب الخَلَق البالي.
(٣) **مُلَيَّتَيْن**: تثنية مُلَيّة (بضمّ الميم وفتح اللّام وتشديد الياء المفتوحة)، وهي تصغير ملاءة. وهي الإزار على ما في «النهاية»، وفي «الصحاح»: هي الرَّيْطَةُ؛ أي: المِلْحَفَة، وفي «القاموس»: هي كل ثوب لم يضم بعضه لبعض بخيط بل كله نسج واحد. «جمع الوسائل» للملا علي القاري (١/ ١١٨).
(٤) أي: وقد نفضت الأسمالُ الزعفران، ولم يبق منه إلّا الأثر القليل؛ فلبسه ﷺ لهاتين المليَّتين، لا ينافي نهيه عن لبس المزعفر؛ لأنّ النهي محمول على ما إذا بقي لون الزّعفران برّاقًا، بخلاف ما إذا نفض وزال عن الثّوب، ولم يبق منه إلا الأثر اليسير. «منتهى السول» لِلَّحْجي (١/ ٤٥٨).
(٥) «سنن الترمذي» (٥/ ١٢٠: ٢٨١٤)، «الشمائل المحمدية» للترمذي (ص٧٤: ٦٧). قال العراقي في «تخريج الإحياء»: «رجاله ثقات». وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٦٥): «إسناده لا بأس به».
(٦) انظر: «صحيح البخاري» (٤/ ٨٣: ٣١٠٨)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٦٤٩: ٢٠٨٠).
(٧) «صحيح مسلم» (٣/ ١٢٥٦: ١٦٣٥).

وزهده ﷺ إنما كان إيثارًا للآخرة على الدنيا الفانية، وليس عجزًا، ولو شاء لَسَأَلَ ربَّه كُنُوز الأرض وثمارها ورغد عيشها، كما قال لعائشة رضي الله عنها: «**والله لو شئتُ لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة**»[١]، بل قد عرض عليه ربه ﷻ ذلك فاختار الجوع يومًا والشبع يومًا؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**عرض عليّ ربي لِيَجْعَل لي بطحاء مكة ذهبًا، فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يومًا، وأجوع يومًا، فإذا جُعتُ تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك**»[٢].

وكان ﷺ يسأل ربه الكفاف فيدعو ويقول: «**اللَّهُمَّ اجعل رزق آل محمد قُوتًا**»[٣]. وهو ما يسدّ الرّمق[٤].

ولما فُتِحَتْ عليه ﷺ الفتوح وجُلِبَتْ إليه الأموال لم يدّخر لنفسه منها شيئًا، بل كان ينفقها كلها في وجوه الخير ومصالح المسلمين، ويعطي عطاءَ مَن لا يخشى الفقر؛ قال أنس رضي الله عنه سأل رجل النبي ﷺ غنمًا بين جَبَلين، فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: «أي قوم أسلموا، فوالله إن محمدًا لَيُعْطِي عَطَاءً ما يخاف الفقر»[٥].

وكان حاله كما حدّث أبو ذر رضي الله عنه فقال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حَرَّةِ المدينة، فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ، فقال: «**يا أبا ذر**». قلت: لبيك يا

---

(١) «مسند أبي يعلى» (٨/ ٣١٨: ٤٩٢٠)، «شعب الإيمان» (٣/ ٦١: ١٣٩٥). وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٩): «رواه أبو يعلى، وإسناده حسن»، اهـ. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٦٣٤).

(٢) «مسند أحمد» (٣٦/ ٥٢٨: ٢٢١٩٠)، «سنن الترمذي» (٤/ ٥٧٥: ٢٣٤٧) وقال: «حديث حسن». وضعّفه غيره.

(٣) «صحيح البخاري» (٨/ ٩٨: ٦٤٦٠)، «صحيح مسلم» (٢/ ٧٣٠: ١٠٥٥).

(٤) «شرح النووي على مسلم» (٧/ ١٤٦).

(٥) «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٠٦: ٢٣١٢).

رسول الله. قال: «**ما يَسُرُّنِي أن عندي مثل أُحُد هذا ذهبًا، تمضي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وعندي منه دينار، إلا شيئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا**» عن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه[1].



(١) «صحيح البخاري» (٨/ ٩٤ : ٦٤٤٤)، «صحيح مسلم» (٢/ ٦٨٧ : ٩٤).

الفصل الثامن

اشتياق الصحابة للنبي ﷺ بعد وفاته

كان شوق الصحابة رضي الله عنهم لِنَبيِّهم ﷺ عظيمًا، يَحِنُّون إليه، ويتوجّعون على فراقه، ويتمنّون لقاءه، ويفرحون بالموت؛ لأنه يجمعهم بحبيبهم ﷺ.

ومن أحوالهم في ذلك:

١ ـ بكاء أبي بكر رضي الله عنه عند ذكر الرسول ﷺ:

عن أَوْسَط بن عمرو رحمه الله قال: قدمتُ المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ بِسَنَةٍ، فَأَلْفَيْتُ أبا بكر يخطب الناس، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ، [فبكى أبو بكر حين ذَكَر رسول الله ﷺ، ثم أَعَادَهَا، ثم بكى، ثم أَعَادَهَا، ثم بكى]، فَخَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ ثلاث مِرَارٍ، ثم قال: «**يا أيها الناس، سَلُوا الله الْمُعَافَاةَ، فإنه لم يُؤتَ أَحَدٌ مثل يقين بعد مُعَافَاةٍ، ولا أَشَدَّ من رِيبَةٍ بعد كفر، وعليكم بالصدق، فإنه يهدي إلى البِر، وهما في الجنة، وَإِيَّاكُمْ والكذب، فإنه يهدي إلى الفجور، وهما في النار**»(١).

٢ ـ فرح بلال رضي الله عنه بالموت:

وذلك أنه لما احتُضر قالت امرأته: واحزناه! فقال: واطرباه! ـ أي:

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ٢١٧: ٤٤)، «السنن الكبرى» للنسائي (٩/ ٣٢٦: ١٠٦٥٣).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٣): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير أوسط، وهو ثقة»، وحسّنه الأرنؤوط في تحقيقه له. وما بين المعقوفتين زيادة من «مسند أحمد» (١/ ١٨٥: ٦)، و«مسند أبي يعلى الموصلي» (١/ ٧٦: ٧٤).

وافرحاه ـ؛ غدًا نلقى الْأَحِبَّهْ. . . محمدًا وحزبه[١].

فحلاوة اللقاء بالمحبوب أَنْسته رضي الله عنه مرارة الموت وشدائده.

٣ ـ أنس بن مالك يتشرّف برؤية النبي ﷺ منامًا كل ليلة:

يقول رضي الله عنه: «ما مِن ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي ﷺ، ثم يبكي»[٢]؛ وذلك لأن قلبه قد امتلأ بحبّ النبي ﷺ والشوق إليه، فأكرمه الله بزيارته كل ليلة.

قال الحافظ ابن حجر: «ومن فوائد رؤيته ﷺ تسكين شوق الرّائي، لكونه صادقًا في محبته»[٣].

قَدْ طَالَ شَوْقِي لِلنَّبِيّ مُحَمَّدِ ... فَمَتى إِلَى ذَاكَ المَقَامِ وُصُولُ
وَلَقَدْ فَنَى صَبْرِي وَزَادَ تَشَوُّقِي ... نَحْوَ الحَبِيبِ وَمَا إِلَيْه سَبِيلُ
هذَا النَّبِيُّ الهَاشِمِيُّ المُصْطَفَى ... هذَا لَهُ كُلُّ القُلُوبِ تَمِيلُ
هذَا رسولُ اللَّهِ صَفْوةُ خَلْقِه ... هذَا الرَّسُولُ إِلَى الجِنَانِ دَلِيلُ

٤ ـ بكاء ابن عمر رضي الله عنهما عند ذكر الرسول ﷺ:

عن عمر بن محمد عن أبيه قال: ما سمعتُ ابن عمر رضي الله عنهما يذكر النبي ﷺ قطّ إلا بكى[٤]؛ شوقًا إلى حبيبه، ولسان حاله يقول:

تَذَكَّرتُ أيَّامًا مَضتْ وَلَيَالِيا ... خَلَتْ فَجَرَتْ مِنْ ذِكْرِهِنَّ دُمُوعُ
أَلَا هَلْ لَهَا يومًا مِنَ الدَّهْر عَوْدَةٌ ... وَهَلْ لِي إِلَى يَوْمِ الْوِصَالِ رُجُوعُ

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١/ ٣٥٩)، «السيرة الحلبية» (١/ ٤٢٢).
(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٠/ ٤٦٤ : ١٣٢٦٧)، «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/ ٢٠)، واللفظ له. قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٨٢): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح». وقال الأرنؤوط في تخريجه للمسند: «إسناده صحيح على شرط البخاري».
(٣) «فتح الباري» لابن حجر (١٢/ ٣٨٥).
(٤) «سنن الدارمي» (١/ ٢٢٢ : ٨٧). وقال محققه: «إسناده صحيح».

٥ ـ قول عمّار بن ياسر رضي الله عنهما بِصِفِّين عند استشهاده:

كان عمّار بن ياسر رضي الله عنهما يقول ـ بِصِفِّين ـ في اليوم الذي أصيب فيه: إني لقيتُ الجبّار، وتَزَوَّجْتُ الحور العين، اليوم نلقى الأحبّة، محمدًا وحزبه(١).

٦ ـ قول ابن عباس رضي الله عنهما لأمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند وفاتها:

دخل ابن عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي الله عنها فقال لها وهي تجود بنفسها: «أبشري يا أم المؤمنين، فوالله ما بينك وبين أن يذهب عنك كل أذى وَنَصَبٍ، وتَلْقَي الأحبة، محمدًا وحزبه، إلا أن تفارق روحُك جسدك»(٢).

٧ ـ بكاء أمّ أيمن بعد وفاة رسول الله ﷺ وتهييجها أبا بكر وعمر رضي الله عنهم:

قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لِعُمَرَ: انطلق بنا إلى أم أيمن نَزُورُهَا، كما كان رسول الله ﷺ يزورها؛ فلما انتهينا إليها بَكَتْ، فقالا لها: ما يُبْكِيكِ؟ ما عندَ الله خيرٌ لرسوله ﷺ. فقالت: ما أَبْكِي أن لا أكون أعلمُ أن ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ، ولكن أَبْكِي أن الوحي قد انقطع من السماء؛ فَهَيَّجَتْهُمَا على البكاء، فجعلا يَبْكِيَانِ معها(٣).

حَقًّا؛ إن وفاته عليه الصلاة والسلام مصيبة كبرى، وفاجعة عظمى، تثير الأشجان، وتُـهَيّج الأحزان، وتستذرف العينين، وتَهُون دونها كل

---

(١) «المعجم الأوسط» (٦/ ٣٠١: ٦٤٧١). وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٩٨): «إسناده حسن».

(٢) «مسند أحمد» (٥/ ٣٠٩: ٣٢٦٢). وقال الأرنؤوط في تحقيقه له: «إسناده قوي على شرط مسلم».

(٣) «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٠٧: ٢٤٥٤).

المصائب، فَلْيَتَعَزَّ أهل المصائب بها؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**يا أيها الناس أَيُّمَا أحد من الناس أو من المؤمنين أُصِيبَ بمصيبة، فَلْيَتَعَزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تُصِيبُهُ بغيري، فإن أحدًا مِن أمتي لن يُصَابَ بمصيبةٍ بعدي أَشَدّ عليه من مُصِيبَتِي**»(١). وقالت أمّ سلمة رضي الله عنها: يا لَهَا من مصيبة! ما أُصِبْنَا بعدها بمصيبة إلّا هانت، إذا ذَكَرْنَا مصيبتنا به ﷺ(٢). فبموته ﷺ يتسلى عن موت كل محبوب، وفقد كل مطلوب. ولله دَرُّ القائل(٣):

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
وَإِذَا أَتَتْكَ مُصِيبَةٌ تَشْجَى(٤) بِهَا فَاذْكُرْ مُصَابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

إن العَين لَتَدْمَع، وإن القلب لَيَحزن، وإنا على فراقك يا رسول الله لمحزونون، ولا نقول إلا ما يُرْضِي رَبَّنَا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

اللَّهُمَّ اجزه عنا خير ما جزيتَ نبيًّا عن أمته، وأحينا على سُنَّتِهِ، واحشُرنا في زُمْرَتِه، وارزُقنا شَفاعَتَه، وأَوْرِدنا حَوضَه، واسقنا منه شربةً لا نَظمَأُ بَعْدَها أبدًا يا رب العالمين، وارزقنا مرافقته في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا فِي جَنَّةٍ تَثْنِي(٥) عُيُونَ الْحُسَّدِ
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَاكْتُبْهَا لَنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّؤْدَدِ(٦)

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٢/ ٥٣١ : ١٥٩٩)، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه له.
(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٦٧)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ١٤٩).
(٣) «المواهب اللّدنية» للقسطلاني (٣/ ٥٧٢).
(٤) **تَشْجَى** (بفتح التاء وسكون المعجمة): تحزن بها. «شرح الزرقاني على المواهب» (١٢/ ١٤٧).
(٥) **تثني**: تصرف وتدفع.
(٦) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٧٠). من مرثية حسان بن ثابت رضي الله عنه.

ملاحق الكتاب

الملحق الأول: هل صلى الرسول ﷺ خلف أبي بكر؟

الملحق الثاني: المراد بالرفيق الأعلى.

الملحق الأول

هل صلى الرسول ﷺ خلف أبي بكر رضي الله عنه؟

*** اختلفت الروايات في صلاة النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه خلف أبي بكر.**

ففي بعضها أن النبي ﷺ كان هو الإمام؛ كما في الصحيحين في رواية زائدة بن قدامة، عن موسى بن أبي عائشة، عن عائشة رضي الله عنها في خروج النبي ﷺ لصلاة الظهر: «فجعل أبو بكر يُصَلِّي وهو يَأْتَمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، والناس بِصَلَاةِ أبي بكر»(١). وفي روايةٍ لمسلم: «كان النبي ﷺ يُصَلِّي بالناس وأبو بكر يُسْمِعُهُمُ التكبير»(٢). فكان أبو بكر مبلّغًا.

وكذلك روى الأرقم بن شُرَحْبِيلَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ، أمر أبا بكر أن يُصَلِّيَ بالناس، ثم وجد خِفَّةً فخرج، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِ أبو بكر أراد أن يَنْكُصَ، فَأَوْمَأَ إليه النبي ﷺ، فجلس إلى جَنْبِ أبي بكر عن يساره، واستفتح من الآية التي انتهى إليها أبو بكر»(٣). وزاد في رواية: «فكان أبو بكر يَأْتَمُّ بِالنَّبِيِّ ﷺ، والناس يَأْتَمُّونَ بأبي بكر»(٤).

---

(١) «صحيح البخاري» (١/ ١٣٩ : ٦٨٧)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١١: ٤١٨).
(٢) «صحيح مسلم» (١/ ٣١٤: ٤١٨).
(٣) «مسند أحمد» (٣/ ٤٨٨ : ٢٠٥٥)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.
(٤) «سنن ابن ماجه» (٢/ ٢٩٢ : ١٢٣٥)، وهو صحيحٌ بشواهده.

وفي بعض الروايات أن أبا بكر رضي الله عنه كان الإمام، فروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «آخر صلاةٍ صلّاها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوبٍ واحدٍ مُتَوَشِّحًا[1] به، يريد قاعدًا، خلف أبي بكر»[2]. وكذلك رُوي عن عائشة رضي الله عنها، فروى مَسْرُوقٌ عنها، وأيضًا شُعبة، عن موسى بن أبي عائشة عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة رضي الله عنها: «أن أبا بكر صَلَّى بالناس ورسول الله ﷺ في الصَّفِّ خَلْفَهُ»[3].

ولكن وقع في رواية عائشة اضطراب واختلاف كثير من قِبَل الرواة، «فخالف شعبةُ بن الحجاج زائدةَ بن قدامة في متن هذا الخبر عن موسى بن أبي عائشة، فجعل شعبة النبي ﷺ مأمومًا ـ كما في الرواية هنا ـ، وجعل زائدةُ النبيَّ ﷺ إمامًا»[4]، كما في الرواية المذكورة في القول الأول. لكن المحدِّثين رجَّحوا رواية زائدة؛ قال البيهقي: «وحسن سياق زائدة بن قدامة للحديث يدل على حفظه، وأن غيره لم يحفظه حفظه، ولذلك ذكره البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى في كتابيهما، دون رواية من خالفه»[5].

---

(١) **مُتَوَشِّحًا به**: مُلْتَحِفًا به، **والتَّوَشُّحُ**: المخالفة بين طرفي الثوب، بأن يأخذ طرف الثوب الأيسر من تحت يده اليسرى فيلقيه على منكبه الأيمن، ويلقي طرف الثوب الأيمن من تحت يده اليمنى على منكبه الأيسر، ثم يعقد طرفيهما على صدره. انظر: «إرشاد الساري» للقسطلاني (١/ ٣٨٨).

(٢) «سنن الترمذي» (٢/ ١٩٧ : ٣٦٣) وقال: «حديث حسن صحيح»، «سنن النسائي» (٢/ ٧٩: ٧٨٥)، «صحيح ابن حبان» (٥/ ٤٩٦ : ٢١٢٥)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.

(٣) «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ٧٧٧: ١٦٢٠، ١٦٢١)، «صحيح ابن حبان» (٥/ ٤٨٣ : ٢١١٧).

(٤) «صحيح ابن حبان» (٥/ ٤٨٣).

(٥) «السنن الكبرى» للبيهقي (٣/ ١١٥).

ثم إنّ في رواية مسروق عنها أيضًا اختلاف، فروى ابن حبان عن عاصم، عن شقيق، عن مسروق، عن عائشة بلفظ: «كان أبو بكر يصلي بِصلاته، والناس يصلون بصلاة أبي بكر»(١). وهذا مخالف لرواية ابن خزيمة عن مسروق.

* **ولأجل هذا الاختلاف اختلف العلماء**؛ فمنهم من رجَّح إمامة النبي ﷺ؛ قال الحافظ ابن حجر: «فمنهم من سلك الترجيح فقدَّم الرواية التي فيها أن أبا بكر كان مأمومًا للجزم بها، ولأن أبا معاوية [الذي روى حديث عائشة بلفظ: «يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ، والناس مقتدون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه»](٢) أحفظ في حديث الأعمش من غيره»(٣). وقال ابن عبد البر: أكثر الآثار الصحاح المسندة في هذا الباب أن رسول الله ﷺ كان المقدَّم، وأن أبا بكر كان يصلي بصلاة رسول الله ﷺ قائمًا، والناس يصلّون بصلاة أبي بكر(٤). وممَّا يرجِّحُ ذلك قول أبي بكر رضي الله عنه - في قصة خروج النبي ﷺ للصّلح في وقت صحته ثم رجوعه وتأخر أبي بكر عن إمامته -: «ما كان لِابْنِ أبي قُحَافَةَ أن يُصَلِّيَ بين يدي رسول الله ﷺ»(٥). ففيه دليل على أن أبا بكر لم يَؤُمَّ النبيَّ ﷺ قطّ، لا في صحَّته ولا في مرضه.

ومنهم من عكس ذلك ورجَّح أن الصِّدِّيق كان إمامًا. وقد جزم بذلك الضياء المقدسي وابن ناصر، وقال إنه صحّ وثبت أنه ﷺ صلّى خلف أبي بكر مقتديًا به في مرضه الذي مات فيه، ولا ينكر هذا إلّا جاهل(٦).

---

(١) «صحيح ابن حبان» (٥/ ٤٨٥ : ٢١١٨).
(٢) «صحيح البخاري» (١/ ١٤٤ : ٧١٣).
(٣) «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ١٥٥). وما بين المعكوفتين زيادة مني للتوضيح.
(٤) «التمهيد» لابن عبد البر (٦/ ١٤٥).
(٥) «صحيح البخاري» (١/ ١٣٧ : ٦٨٤)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١٦: ٤٢١).
(٦) «إرشاد الساري» للقسطلاني (٢/ ٣٧).

واستدل بعضهم بما رواه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لم يَمُتْ نَبِيٌّ حتى يَؤُمَّهُ رجل من قومه»**[١]. ولكن الصحيح أن «الحديث ليس فيه ما يدل على أن أبا بكر رضي الله عنه كان الإمام؛ لأنه قد صلى الرسول ﷺ خلف عبد الرحمٰن بن عوف[٢] في السفر»[٣]، فتحقق الأمر بذلك.

ومن العلماء من سلك الجمع فحمل القصة على التعدد. وبه جزم ابن حبان وابن حزم والبيهقي[٤]، وصوّبه الحافظ ابن حجر[٥]، واختاره الكشميري[٦]. ويؤيّده اختلاف النقل عن الصحابة غير عائشة، فحديث ابن عباس فيه أن أبا بكر رضي الله عنه كان مأمومًا، وحديث أنس فيه أن أبا بكر رضي الله عنه كان إمامًا[٧]، قال ابن حبان: والدليل على أنهما كانا صلاتين،

(١) «المستدرك» للحاكم (١/ ٣٧٠: ٨٨٨)، وصحَّحه ووافقه الذهبي. وقد أخرجه الدارقطني في «سننه» (٢/ ٢٨: ١٠٩٢)، وقال عن أحد رواته ـ وهو عبد الله بن أبي أُمَيَّةَ ـ: «ليس بقوي».

(٢) وذلك في غزوة تبوك في صلاة الفجر، كما روى الإمام أحمد في «المسند» (٣٠/ ٩٣: ١٨١٦٠)، والإمام مسلم في «صحيحه» (١/ ٣١٧: ٢٧٤) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ ذهب لحاجته في غزوة تبوك، فجاء النبي ﷺ، وعبد الرحمٰن بن عوف يَؤُمُّهُمْ، وقد صَلَّى بهم ركعة، فَصَلَّى رسول الله ﷺ، معهم الركعة التي بَقِيَتْ عليهم، فلما فرغ رسول الله ﷺ، قال: **«أَحْسَنْتُمْ»**. وزاد ابن حبان في «صحيحه» (٥/ ٦٠٤: ٢٢٢٥): **«قد أصبتم وأحسنتم، إذا احتبس إمامكم وحضرت الصلاة فَقَدِّمُوا رجلًا يَؤُمُّكُمْ»**.

(٣) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٢٢/ ٣٢٢).

(٤) انظر: «صحيح ابن حبان» (٥/ ٤٨٨)، «المحلى» لابن حزم (٢/ ١١١)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ١٩٧).

(٥) «الدراية في تخريج أحاديث الهداية» لابن حجر (١/ ١٧٢).

(٦) انظر: «فيض الباري» للكشميري (١/ ٣٩٧).

(٧) «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ١٥٥).

لا صلاة واحدة أنّ في خبر عبيد الله بن عبد الله عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ خرج بين رجلين، يريد أحدهما العباس والآخر عليًّا، وفي خبر مسروق عن عائشة أن النبي ﷺ خرج بين بَرِيرَةَ وَنُوبَةَ(١)، فهذا يَدُلُّك على أنها كانت صلاتين، لا صلاة واحدة(٢). وقد روى عمرو بن وهب الثقفي قال: «كُنَّا مع المغيرة بن شعبة، فَسُئِلَ: هل أَمَّ النَّبِيَّ ﷺ أحدٌ من هذه الأمة غير أبي بكر ﵁؟ فقال: نعم، كُنَّا مع النبي ﷺ في سفر...»(٣)؛ ثم ذكر قصة صلاة النبي ﷺ وراء عبد الرحمٰن بن عوف، وهذا الحديث صريح في أن النبي ﷺ صلَّى مَرّة مُؤْتَمًّا بأبي بكر.

* **واختلف أهل العلم في تعيين تلك الصلاة**: قال البيهقي: «وقد ذهب موسى بن عقبة في مغازيه إلى أن النبي ﷺ خرج في صلاة الصبح من يوم الاثنين، حتى وقف إلى جنب أبي بكر، فَصَلَّى خَلْفَهُ ركعة، فَلَمَّا سَلَّمَ أبو بكر أَتَمَّ رسول الله ﷺ الركعة الآخرة. وكذلك هو في مغازي أبي الأسود عن عروة. وذلك يوافق ما رويناه عن أنس في صلاة النبي ﷺ خلف أبي بكر، ورواية نعيم بن أبي هند وغيره في حديث عائشة، ولا ينافي ما روينا عن الزهري وغيره عن أنس، ويكون الأمر فيه محمولًا على أنه رآهم وهم صفوف خلف أبي بكر في الركعة الأولى من صلاة الصبح، فقال ما حكى هو وابن عباس ﵄، ثم خرج فأدرك معه الركعة الآخرة أو خرج فصلى، ثم قال ما حَكَيَا، فَنَقَلا بعضَ الخبر، ونقل

---

(١) **نُوبة** (بضم النون وبالموحدة): عبد أسود. ويؤيده حديث سالم بن عبيد في «صحيح ابن خزيمة» بلفظ: خرج بين بريرة ورجل آخر. «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ١٥٤).

(٢) «صحيح ابن حبان» (٥/ ٤٨٨).

(٣) «مسند أحمد» (٣٠/ ٦٠: ١٨١٣٤)، وصحَّحه السيوطي في «تنوير الحوالك» (١/ ٤٧)، والأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

غيرهما ما تركاه، كما نقل أحدهما فيما روياه ما تركه صاحبه، وبالله التوفيق»[١]. وأيَّده ابن رجب فقال: وقد صَحّ هذا المعنى عن عُبَيْدِ بن عمير، ورُوِي صريحًا من حديث عائشة وأمّ سلمة وأبي سعيد عن الواقدي[٢].

وخالفه ابن كثير فقال: ذلك ضعيف، بل هذه آخر صلاة صلَّاها مع القوم، كما تقدَّم تقييده في الرواية الأخرى [وهي قول أنس بن مالك رضي الله عنه: «آخر صلاةٍ صلّاها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوبٍ واحدٍ مُتَوَشِّحًا به، يريد قاعدًا، خلف أبي بكر»]، ثم لا يجوز أن تكون هذه صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة؛ لأنّ تلك لم يُصَلِّهَا مع الجماعة، بل في بيته لما به من الضعف، صلوات الله وسلامه عليه[٣]؛ وذلك لأنّ أنسًا رضي الله عنه قال: «فلم يُقْدَر عليه حتى مات». وفي رواية قال: «فكان ذلك آخر العهد به»، وقول الصحابي مقدم على قول التابعي، فعلى هذا يكون آخر صلاة صلاها معهم الظهر، كما جاء مصرّحًا به في حديث عائشة، ويكون ذلك يوم الخميس، لا يوم السبت ولا يوم الأحد، لما قدّمنا من خطبته بعدها، ولأنه انقطع عنهم يوم الجمعة والسبت والأحد، وهذه ثلاثة أيام كوامل[٤].

قلت: في هذا نظر، وذلك لأن حديث عائشة صريح في أن أبا بكر رضي الله عنه كان هو الإمام في صلاة الظهر، ثم صار مأمومًا بعد خروج النبي ﷺ؛ حيث جاء فيه: «فكان رسول الله ﷺ يُصَلِّي بالناس جالسًا

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ١٩٧ ـ ١٩٨).
(٢) «فتح الباري» لابن رجب (٦/ ١١٨).
(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٥٥).
(٤) «البداية والنهاية» (٨/ ٥٧) بتصرف.

وأبو بكر قائمًا، يَقْتَدِي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ وَيَقْتَدِي الناس بصلاة أبي بكر»(١). فيكون ما نقله البيهقي عن أهل السير والمغازي ورجّحه ابن رجب هو الأقرب. ويحمل حديث أنس رضي الله عنه على أن المراد نفي الرؤية بعد هذه الصلاة، لا بعد هذه اللحظة، ومثل هذا الاختصار في الروايات كثير.

وعليه، فلا يكون قول التابعي معارضًا لقول الصحابي، والله أعلم.



(١) «صحيح البخاري» (١/ ١٣٩ : ٦٨٧)، «صحيح مسلم» (١/ ٣١٣: ٤١٨).

الملحق الثاني

المراد بالرفيق الأعلى

اختلف العلماء في المراد بالرفيق الأعلى على أقوال:

* **الأول: هو الله** عَزَّوَجَلَّ؛ إذ الرفيق اسم من أسماء الله تعالى؛ كما روت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**يا عائشة، إن الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأمر كله**»(١).

والأعلى أيضًا من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

* **الثاني**: الرّفيق هنا اسم جنس يشمل الواحد وما فوقه، **والمراد: الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والصالحون المذكورون في قوله تعالى:** ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

قال الحافظ ابن حجر: «وهذا هو المعتمد، وعليه اقتصر أكثر الشراح»(٢). ويدلّ عليه قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سمعتُ النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه، وأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]؛ فَظَنَنْتُ أنه خُيِّرَ»(٣).

* **الثالث: بمعنى الرفقاء، وهم الملائكة**: كما جاء التصريح به في

---

(١) «صحيح البخاري» (٩/١٦ : ٦٩٢٧)، «صحيح مسلم» (٤/٢٠٠٣ : ٢٥٩٣).
(٢) «فتح الباري» لابن حجر (٨/١٣٨).
(٣) «صحيح البخاري» (٦/١٠ : ٤٤٣٥)، «صحيح مسلم» (٤/١٨٩٣ : ٢٤٤٤).

رواية عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال: «**أسأل الله الرفيق الأعلى الأَسْعَدَ، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل**»[(١)].

* **الرابع**: المراد بالرفيق الأعلى: المكان الذي تحصل فيه مرافقتُهم، وهو الجنة[(٢)]، وبه جزم الجوهري[(٣)]. وقيل: **أعلى الجنة**[(٤)]؛ ويدل عليه قول عائشة رضي الله عنها: فجعل يقول: «**بل الرفيق الأعلى من الجنة**»[(٥)].

* **والذي يبدو للعبد الضعيف أن الأوّل هو الأولى**؛ قال ابن علان الصديقي نقلًا عن «الحرز الثمين» للمُلّا علي القاري: «أما بالنسبة إليه ﷺ فالأولى أن يراد بالرفيق الأعلى فيه المولى أو وجه ربه الأعلى، إذا ثبت أن هذا منه عليه الصلاة والسلام آخر كلامه، كما أنه أول من قال: «بلى» في جواب ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] في الميثاق»[(٦)].

قلتُ: ويؤيده قوله ﷺ لأبي مُوَيْهِبَةَ عند تخييره بين الدنيا ولقاء الله: «**يا أبا مويهبة، لقد اخترتُ لقاء ربي والجنة**»[(٧)]، قال الطيبي: «ويؤيده قوله ﷺ: «**إن عبدًا خَيَّرَهُ الله بين أن يُؤْتِيَهُ من زَهْرَةَ الدنيا وبين ما عنده،**

(١) «السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ٣٩١: ٧٠٦٧)، «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٥٦: ٦٥٩١)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.
(٢) «كشف اللثام» للسفاريني (١/ ٢٥٣).
(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٣٧).
(٤) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٢/ ٢٥٥).
(٥) «مسند أحمد» (٤٣/ ٣٦٨: ٢٦٣٤٨)، «السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ٣٩٠: ٧٠٦٥)، «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٥٨٥: ٦٦١٨)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لابن حبان.
(٦) «الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية» لابن علان الصديقي (٤/ ١٠١).
(٧) «مسند أحمد» (٢٥/ ٣٧٦: ١٥٩٩٧)، «المستدرك» للحاكم (٣/ ٥٧: ٤٣٨٣) وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه لـ«المسند».

فاختار ما عنده»[١]، ففيه تصريح بأن المراد منه القرب والزلفى عند الله تعالى، ولو أريد به الملائكة والنبيّون لقيل: مَن عند الله. وكذلك حديث جعفر: «يا محمد، إن الله قد اشتاق إلى لقائك»[٢]، ولأن حصول هذه البغية مستلزم لحصول تلك المنزلة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨]»[٣]؛ أي: ارجعي إلى جوار ربك وثوابه وما أَعَدَّ لِعِبَادِهِ في جنته؛ يقال لها هذا عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضًا، عند قيامه من قبره[٤].

قلتُ: ويؤيده أيضًا قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله ﷺ: **«مَن أَحَبَّ لقاء الله، أَحَبَّ الله لقاءه»**[٥]، والرسول ﷺ كان هذا حاله ومقاله في جميع الأوقات، وكان من دعائه ﷺ: **«وأسألك لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وجهك، والشَّوْق إلى لقائك»**[٦]، بل لم يكن أحد أشدّ شوقًا منه لِلِقاء الله الذي اتخذه خليلًا، كما قال ﷺ: **«وقد اتَّخَذَ الله ﷻ صاحبكم خليلًا»**[٧]؛ فلذا بادَرَ باختيار اللقاء على البقاء شوقًا لرؤية خليله ومحبوبه الذي ناجاه لسنوات طويلة، والذي دعاه في أشدّ الأوقات فوجده منه قريبًا، ولدعائه مجيبًا، وله نصيرًا.

---

(١) «صحيح البخاري» (٥/ ٥٧ : ٣٩٠٤)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٥٤ : ٢٣٨٢).
(٢) سبق تخريجه في (ص١٠٦).
(٣) «شرح المشكاة» للطيبي (١٢/ ٣٨١٦: ٥٩٦١) بتصرف.
(٤) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٠٠).
(٥) «صحيح البخاري» (٨/ ١٠٦ : ٦٥٠٧)، «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٦٥ : ٢٦٨٣).
(٦) «سنن النسائي» (٣/ ٥٤ : ١٣٠٥)، «صحيح ابن حبان» (٥/ ٣٠٥: ١٩٧١)، وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه له.
(٧) «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٥٥ : ٢٣٨٣).

ثم إنه عند التأمل يظهر أن هذه الأقوال لا تضادّ بينها في الحقيقة؛ إذ يمكن الجمع بينها بأن يقال: المراد بقوله ﷺ: «**ألحقني بالرفيق الأعلى**»: ألحقني بالله تعالى، في جملة الرفقاء الذين سَعِدوا بلقاء الله، وخُصُّوا بالمكانة الرفيعة في أعلى الجنان وهم الملائكة المقرَّبون والمذكورون في آية النساء، والله أعلم.

قال مؤلفه عفا الله عنه: كان الفراغ من مُسَوَّدَة هذا الكتاب في أوائل شهر رمضان المبارك، سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، بمدينة جُدَّة، حرسها الله من نِقَمِه وأسبل عليها نعمه، ثم وفّقني الله تعالى فقمتُ بتبييضه وأتممتُ بعضه في الروضة الشريفة، ثم ألحقتُ به زياداتٍ مفيدة وتنقيحاتٍ وتصويباتٍ عديدة، وفرغتُ من تحريرها وتحبيرها في ضَحْوة يوم السبت، الثامن من شهر صفر سنة تسع وثلاثين وأربعمائة بعد الألف، بالحرم الشريف، تحت مِيزاب الكعبة المعظمة، زادها الله شرفًا، وغفر لمؤلفه ووالديه وأولاده ومشايخه وأحبابه ولناشره ولمن نَظَر فيه وانتفع به، ولجميع المسلمين. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

اللَّهُمَّ كما مَنَنْتَ عَلَيّ بإكمال هذا الكتاب وَتَفَضَّلْتَ عَلَيَّ بالفراغ منه، فامنُن عَلَيَّ بقبوله، وانفع به عبادك، واجعله لي ذخيرةً عندك، وأَجْزِل لي الْمَثُوبَةَ بِمَا لَاقَيْتُهُ من التَّعَبِ وَالنَّصب في تحريره وتقريره، واغفر لي ما أخطأتُ فيه، وتَغَمّدْني برحمتك يومَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ، إلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم. وصلى الله وسلم على سيدنا ونبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يَا قَارِئَ الْخَطِّ وَالْعَيْنَانِ تَنْظُرُهُ لَا تَنْسَ صَاحِبَهُ بِاللَّهِ وَاذْكُرُهُ(١)
وَهَبْ لَهُ دَعْوَةً لِلَّهِ خَالِصَةً لَعَلَّهَا فِي صُرُوْفِ الدَّهْرِ تَنْفَعُهُ

(١) **وَاذْكُرُهُ**: بضم الراء للضرورة، وإن كان الأصل فيه السكون.

ثبت المصادر والمراجع(١)

أولًا: التفسير وعلوم القرآن.

١ ـ «**الإتقان في علوم القرآن**» لجلال الدين، عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى ٩١١هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة عام: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢ ـ «**تفسير ابن رجب الحنبلي**» المسمى بـ«روائع التفسير» لزين الدين عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى ٧٩٥هـ)، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.

٣ ـ «**تفسير ابن كثير**» المسمى بـ«تفسير القرآن العظيم» لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.

٤ ـ «**التفسير البسيط**» لأبي الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى ٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٥ ـ «**تفسير البغوي**» المسمى بـ«معالم التنزيل في تفسير القرآن» لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى ٥١٠هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش.

٦ ـ «**تفسير الزمخشري**» **المسمى بـ«الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**» لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، جار الله (المتوفى ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

---

(١) اعتمدت في فهرسة المصادر على التالي: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ وفاته، دار النشر، بلد النشر، رقم الطبعة، سنة النشر، اسم المحقق.

٧ ـ **«تفسير الطبري» المسمى بـ«جامع البيان عن تأويل القرآن» لأبي جعفر**، محمد بن جرير الطبري (المتوفى ٣١٠هـ)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر.

٨ ـ **«تفسير القرطبي»** المسمى بـ«الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد، الأنصاري، الخزرجي، القرطبي (المتوفى ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش.

٩ ـ **«التفسير الكبير»** المسمى بـ«مفاتيح الغيب» لأبي عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيْمِيّ الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

١٠ ـ **«روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»** لشهاب الدين، محمود بن عبد الله الآلوسي[1] (المتوفى ١٢٧٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، تحقيق: علي عبد الباري عطية.

١١ ـ **«زاد المسير في علم التفسير»** لأبي الفرج، جمال الدين، عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

١٢ ـ **«فتح القدير»** لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (المتوفى ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٣ ـ **«المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لأبي محمد** عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمٰن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى ٥٤٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

(١) **الآلوسي**: نسبة إلى «آلُوسَة» بالمد وضمّ اللام وسكون الواو، بلدة على الفرات قرب عانة، وقيل: (ألوس) بغير مدّ، كما في «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٥٦)، وقال ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٥/ ٣٥٠): الأُلُوسي؛ بضم الهمزة واللام وبعدها واو ساكنة. وكذا قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣٨/ ٢٤١)، وضبطها ابن العماد في «شذرات الذهب» (٦/ ٣٠٩) بفتح الهمزة وضم اللام. وبهذا يتبيَّن أنه يجوز فيها الهمز والمد، والمدّ أشهر؛ قال الزّركلي في «الأعلام» (١/ ٢٥): وفي مجلة المجمع العلمي العربيّ (١/ ٧٦) رسالة أولها: «أما بعد فيقول الفقير إلى الله تعالى محمود شكري الآلوسي» كتبها بالمد، واستفتينا أحد فضلاء الآلوسيين ببغداد فأجاب: المعروف عندنا المد.

١٤ ـ «**مناهل العرفان في علوم القرآن**» لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

ثانيًا: الحديث الشريف وعلومه:

أ ـ كتب الحديث:

١٥ ـ «**الآثار**» لأبي يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد الأنصاري (المتوفى ١٨٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أبو الوفاء.

١٦ ـ «**الآداب**» لأبي بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي (المتوفى ٤٥٨هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه.

١٧ ـ «**الأدب المفرد**» لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (المتوفى ٢٥٦هـ)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٨ ـ «**الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع، ويليه: أسئلة من خط الشيخ العسقلاني**» لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي.

١٩ ـ «**ترتيب الأمالي الخميسية**» ليحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (المتوفى ٤٩٩هـ)، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (المتوفى ٦١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، تحقيق: محمد حسن إسماعيل.

٢٠ ـ «**التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان**» لأبي عبد الرحمٰن، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢١ ـ «**جامع الأصول في أحاديث الرسول**» لأبي السعادات، مجد الدين، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير (المتوفى ٦٠٦هـ)، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط.

٢٢ - «**خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام**» لأبي زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف النووي (المتوفى ٦٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل.

٢٣ - «**سنن ابن ماجه**» لأبي عبد الله، محمد بن يزيد القزويني (المتوفى ٢٧٣هـ)، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين.

٢٤ - «**سنن أبي داود**» لأبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى ٢٧٥هـ)، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي.

٢٥ - «**سنن الترمذي**» لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (المتوفى ٢٧٩هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين.

٢٦ - «**سنن الدارمي**» لأبي محمد، عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى ٢٥٥هـ)، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني.

٢٧ - «**سنن سعيد بن منصور**» لأبي عثمان، سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى ٢٢٧هـ)، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي.

٢٨ - «**السنن الكبرى**» لأبي بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي (المتوفى ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٢٩ - «**السنن الكبرى**» لأبي عبد الرحمٰن، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (المتوفى ٣٠٣هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط.

٣٠ - «**شعب الإيمان**» لأبي بكر، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني البيهقي (المتوفى ٤٥٨هـ)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد.

٣١ ـ «**صحيح ابن حبان**» المسمى بـ«الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» لأبي حاتم، محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البُستي (المتوفى ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى ٧٣٩هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط.

٣٢ ـ «**صحيح ابن خُزَيمة**» لأبي بكر، محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري (المتوفى ٣١١هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي.

٣٣ ـ «**صحيح البخاري**» لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (المتوفى ٢٥٦هـ)، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.

٣٤ ـ «**صحيح الترغيب والترهيب**» لأبي عبد الرحمٰن، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٥ ـ «**صحيح مسلم**» لأبي الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى ٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٦ ـ «**فضائل الصحابة**» لأبي عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى ٢٤١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، تحقيق: وصي الله محمد عباس.

٣٧ ـ «**مختصر سنن أبي داود**» للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (المتوفى ٦٥٦هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق.

٣٨ ـ «**مختصر الشمائل المحمدية**» لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، (المتوفى ٢٧٩هـ)، اختصره وحققه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن.

٣٩ ـ «**المستدرك على الصحيحين**» لأبي عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (المتوفى ٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٤٠ ـ «**المستدرك على الصحيحين**» لأبي عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (المتوفى ٤٠٥هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٤٠هـ.

٤١ ـ «**مسند أبي داود الطيالسي**» لأبي داود، سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى ٢٠٤هـ)، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي.

٤٢ ـ «**مسند أبي يعلى الموصلي**» لأبي يعلى، أحمد بن علي بن المثُنّى التميمي الموصلي (المتوفى ٣٠٧هـ)، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، تحقيق: حسين سليم أسد.

٤٣ ـ «**مسند الإمام أحمد بن حنبل**» لأبي عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى ٢٤١هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

٤٤ ـ «**مسند الإمام أحمد بن حنبل**» لأبي عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى ٢٤١هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرين.

٤٥ ـ «**مسند الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان**» لأبي عبد الله، الحسين بن محمد بن خسرو البلخي (المتوفى ٥٢٢هـ)، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، تحقيق: لطيف الرحمٰن البهرائجي القاسمي.

٤٦ ـ «**مسند البزار**» المعروف بـ«البحر الزخار» لأبي بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي، المعروف بالبزار (المتوفى ٢٩٢هـ)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، تحقيق: محفوظ الرحمٰن زين الله وآخرين.

٤٧ ـ «**مسند الشاميين**» لأبي القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (المتوفى ٣٦٠هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٤٨ ـ «**مصنف ابن أبي شيبة**» المسمى بـ«الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار» لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي (المتوفى ٢٣٥هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٤٩ ـ «**المعجم الأوسط**» لأبي القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (المتوفى ٣٦٠هـ)، دار الحرمين، القاهرة، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٥٠ ـ «**المعجم الكبير**» لأبي القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (المتوفى ٣٦٠هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٥١ ـ «**الموطأ**» لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى ١٧٩هـ)، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي.

ب ـ شروح الحديث:

٥٢ ـ «**إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**» لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (المتوفى ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣هـ.

٥٣ ـ «**الإفصاح عن معاني الصحاح**» لأبي المظفر، عون الدين، يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ (المتوفى ٥٦٠هـ)، دار الوطن، الرياض، سنة النشر: ١٤١٧هـ، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد.

٥٤ ـ «**بذل المجهود في حل أبي داود**» لخليل أحمد السهارنفوري (المتوفى ١٣٤٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٥ ـ «**تحفة الأبرار شرح مصابيح السُّنَّة**» للقاضي ناصر الدين، عبد الله بن عمر البيضاوي (المتوفى ٦٨٥هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب.

٥٦ ـ «**تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**» لأبي العلا، محمد عبد الرحمٰن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٧ ـ «**تكملة فتح الملهم بشرح صحيح الإمام مسلم**» لمحمد تقي العثماني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٥٨ ـ «**التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**» لأبي عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (المتوفى ٤٦٣هـ)، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، سنة النشر: ١٣٨٧هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.

٥٩ - «**تنوير الحوالك شرح موطأ مالك**» لجلال الدين، عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى ٩١١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، عام النشر: ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٦٠ - «**التوضيح لشرح الجامع الصحيح**» لأبي حفص، سراج الدين، عمر بن علي الشافعي المصري، المعروف بابن الملقن (المتوفى ٨٠٤هـ)، دار النوادر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٦١ - «**تهذيب سنن أبي داود**» لشمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيِّم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، (المطبوع مع عون المعبود)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٦٢ - «**جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**» لزين الدين، عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى ٧٩٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس.

٦٣ - «**حاشية السندي على سنن ابن ماجه**» **المسمى بـ«كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه**» لأبي الحسن، نور الدين محمد بن عبد الهادي التّتوي السندي (المتوفى سنة ١١٣٨هـ)، دار الجيل، بيروت، بدون طبعة.

٦٤ - «**حاشية السندي على صحيح البخاري**» لأبي الحسن، نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي (المتوفى سنة ١١٣٨هـ)، المطبعة الميمنية، ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م.

٦٥ - «**حاشية السندي على مسند الإمام أحمد ابن حنبل**» لأبي الحسن، نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي (المتوفى سنة ١١٣٨هـ)، وهي غير مطبوعة، ولكن تم الاعتماد على ما نقله محققو المسند من كلامه في تعليقهم عليه، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٦٦ - «**ذخيرة العقبى في شرح المجتبى**» **المعروف بـ«شرح سنن النسائي**» لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الأثيوبي الوَلَّوِي، دار آل بروم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٧ - «**زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم**» لمحمد حبيب الله الجكني الشنقيطي (المتوفى ١٣٦٣هـ)، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي، مصر.

٦٨ - «**شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**» لأبي عبد الله، محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين الزرقاني الأزهري (المتوفى ١١٢٢هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٩ ـ «**شرح السُّنَّة**» لأبي محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (المتوفى ٥١٦هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش.

٧٠ ـ «**شرح صحيح البخاري**» لأبي الحسن، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال (المتوفى ٤٤٩هـ)، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

٧١ ـ «**شرح الطيبي على مشكاة المصابيح**» المسمى بـ«الكاشف عن حقائق السنن» لشرف الدين، الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.

٧٢ ـ «**شرح مشكل الآثار**» لأبي جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي المصري، المعروف بالطحاوي (المتوفى ٣٢١هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٧٣ ـ «**شرح معاني الآثار**» لأبي جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي المصري، المعروف بالطحاوي (المتوفى ٣٢١هـ)، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، تحقيق: محمد زهري النجار، محمد سيد جاد الحق.

٧٤ ـ «**شرح النووي على صحيح مسلم**» المسمى بـ«المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» لأبي زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف النووي (المتوفى ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٢هـ.

٧٥ ـ «**طرح التثريب في شرح التقريب**» لأبي الفضل زين الدين، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمٰن العراقي (المتوفى ٨٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، وهي مصورة عن الطبعة المصرية القديمة.

٧٦ ـ «**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**» لأبي محمد، بدر الدين محمود بن أحمد العينتابي العيني (المتوفى ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٧ ـ «**عون المعبود شرح سنن أبي داود**» لأبي عبد الرحمٰن، شرف الحق، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي العظيم آبادي (المتوفى ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٧٨ ـ «**فتح الباري شرح صحيح البخاري**» لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، سنة النشر: ١٣٧٩هـ، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٧٩ ـ «**فتح الباري شرح صحيح البخاري**» لزين الدين، عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى ٧٩٥هـ)، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، تحقيق: محمود شعبان وآخرين.

٨٠ ـ «**الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**» لأحمد بن عبد الرحمٰن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى ١٣٧٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

٨١ ـ «**الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية**» لمحمد بن علان الصديقي الشافعي المكي (المتوفى ١٠٥٧هـ)، جمعية النشر والتأليف الأزهرية.

٨٢ ـ «**فيض الباري على صحيح البخاري**» لمحمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (المتوفى ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، جمع وتحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي.

٨٣ ـ «**فيض القدير شرح الجامع الصغير**» لزين الدين، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي ثم المناوي (المتوفى ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

٨٤ ـ «**القبس في شرح موطأ مالك بن أنس**» للقاضي أبي بكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري المالكي (المتوفى ٥٤٣هـ)، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، تحقيق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم.

٨٥ ـ «**كشف اللثام شرح عمدة الأحكام**» لأبي العون، شمس الدين، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى ١١٨٨هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، اعتنى به: نور الدين طالب.

٨٦ ـ «**الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**» لشمس الدين، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني (المتوفى ٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٨٧ ـ «**كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري**» لمحمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (المتوفى ١٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٨٨ ـ «**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**» لأبي الحسن، نور الدين علي بن سلطان محمد، الهروي القاري، المعروف بالملا علي القاري (المتوفى ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٨٩ ـ **«معالم السنن، شرح سنن أبي داود»** لأبي سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية، حلب، سوريا، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

٩٠ ـ **«المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»** لأبي العباس، أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (المتوفى ٦٥٦هـ)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، تحقيق وتعليق: محيي الدين مستو وآخرين.

٩١ ـ **«نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار»** لأبي محمد، بدر الدين محمود بن أحمد العينتابى العيني الحنفي (المتوفى ٨٥٥هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

٩٢ ـ **«نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار»** لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (المتوفى ١٢٥٠هـ)، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

ج ـ مصطلح الحديث:

٩٣ ـ **«تدريب الراوي»** لجلال الدين، عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى ٩١١هـ)، دار طيبة، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي.

٩٤ ـ **«تقريب النواوي المطبوع مع شرحه تدريب الراوي»** لأبي زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف النووي (المتوفى ٦٧٦هـ)، دار طيبة، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي.

٩٥ ـ **«الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به»** لعبد الكريم بن عبد الله الخضير، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٣٥هـ.

٩٦ ـ **«مقدمة ابن الصلاح»** المسمَّى بـ«معرفة أنواع علوم الحديث» لأبي عمرو، تقي الدين، عثمان بن عبد الرحمٰن، المعروف بابن الصلاح (المتوفى ٦٤٣هـ)، دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، تحقيق: نور الدين عتر.

د ـ كتب التخريج والزوائد:

٩٧ ـ **«إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة»** لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الشافعي (المتوفى ٨٤٠هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، بإشراف أبي تميم ياسر بن إبراهيم.

٩٨ ـ «**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**» لأبي عبد الرحمٰن، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٩٩ ـ «**الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**» المعروف بـ«الموضوعات الكبرى» لأبي الحسن، نور الدين علي بن سلطان محمد، الهروي القاري، المعروف بالملا علي القاري (المتوفى ١٠١٤هـ)، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: محمد الصباغ.

١٠٠ ـ «**البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير**» لأبي حفص، سراج الدين، عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى ٨٠٤هـ)، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، تحقيق: مصطفى أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال.

١٠١ ـ «**تخريج أحاديث الإحياء**» المسمى بـ«المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» لأبي الفضل، زين الدين، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمٰن العراقي (المتوفى ٨٠٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٠٢ ـ «**التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**» لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، تحقيق: أبي عاصم حسن بن عباس بن قطب.

١٠٣ ـ «**الدراية في تخريج أحاديث الهداية**» لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني.

١٠٤ ـ «**سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**» لأبي عبد الرحمٰن، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

١٠٥ ـ «**سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**» لأبي عبد الرحمٰن، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٠٦ ـ «**شرح علل الترمذي**» لزين الدين، عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى ٧٩٥هـ)، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد.

١٠٧ ـ «**القول الْمُسَدَّد في الذَّبِّ عن المسند للإمام أحمد**» لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

١٠٨ ـ «**اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**» لجلال الدين، عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٠٩ ـ «**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**» لأبي الحسن، نور الدين، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى ٨٠٧هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، تحقيق: حسام الدين القدسي.

١١٠ ـ «**مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**» لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الشافعي (المتوفى ٨٤٠هـ)، دار العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي.

١١١ ـ «**المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**» لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ)، دار العاصمة للنشر والتوزيع، دار الغيث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تحقيق: مجموعة من الباحثين، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشَّثري.

١١٢ ـ «**المقصد العَليّ في زوائد أبي يعلى الموصلي**» لأبي الحسن، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تحقيق: سيد كسروي حسن.

١١٣ ـ «**الموضوعات**» لأبي الفرج، جمال الدين، عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ)، محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، تحقيق: عبد الرحمٰن محمد عثمان.

١١٤ ـ «**نظم المتناثر من الحديث المتواتر**» لأبي عبد الله، محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي، الشهير بالكتاني (المتوفى ١٣٤٥هـ)، دار الكتب السلفية، مصر، الطبعة الثانية المصححة، تحقيق: شرف حجازي.

ثالثًا: كتب الفقه وأصوله:

١١٥ ـ «**أحكام الجنائز**» لأبي عبد الرحمٰن، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١١٦ ـ «**الإحكام في أصول الأحكام**» لأبي محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى ٤٥٦هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

١١٧ ـ «**الأم**» لأبي عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي المطلبي القرشي (المتوفى ٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١١٨ ـ «**الإيضاح في مناسك الحج**» لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى ٦٧٦هـ)، المطبوع مع حاشية العلامة ابن حجر الهيتمي، المكتبة السلفية بمكة ومكتبة جدة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١١٩ ـ «**البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق**» لأبي البقاء، محمد بن أحمد بن محمد المكي الحنفي، المعروف بابن الضياء (المتوفى ٨٥٤هـ)، مؤسسة الريان، بيروت، المكتبة المكية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، تحقيق: عبد الله نذير.

١٢٠ ـ «**الحاوي الكبير**» لأبي الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

١٢١ ـ «**الحاوي للفتاوي**» لجلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى ٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، عام النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١٢٢ ـ «**الشرح الكبير على متن المقنع**» لأبي الفرج، شمس الدين، عبد الرحمٰن بن محمد ابن قدامة المقدسي (المتوفى ٦٨٢هـ)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، عبد الفتاح محمد الحلو.

١٢٣ ـ «**فتح القدير**» لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، المعروف بابن الهمام (المتوفى ٨٦١هـ)، دار الفكر.

١٢٤ ـ «**فقه النوازل**» لبكر بن عبد الله أبي زيد بن محمد بن عبد الله (المتوفى ١٤٢٩هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٢٥ ـ «**مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن**» لأبي الفرج جمال الدين، عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، تحقيق: د. مصطفى محمد حسين الذهبي.

١٢٦ ـ «**المجموع شرح المهذب**» لأبي زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى ٦٧٦هـ)، دار الفكر.

١٢٧ ـ «**مجموع الفتاوى**» لأبي العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، جمع وتحقيق: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم.

١٢٨ ـ «**المغني شرح مختصر الخرقي**» لأبي محمد، موفق الدين، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي (المتوفى ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

رابعًا: كتب السيرة النبوية:

١٢٩ ـ «**الإخبار في وفاة المختار ﷺ**» لأبي عبد الله، شمس الدين، محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي الشافعي، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى ٨٤٢هـ)، دار الفتح للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، تحقيق: د. رفيق حميد طه السّامرّائي.

١٣٠ ـ «**أشرف الوسائل إلى فهم الشّمائل**» لأبي العباس، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الأنصاري (المتوفى ٩٧٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، تحقيق: أحمد بن فريد المزيدي.

١٣١ ـ «**أصح السير في هدي خير البشر**» لأبي البركات، عبد الرؤوف الدانابوري، دار الكتاب، ديوبند، دون تاريخ، (باللغة الأردوية).

١٣٢ ـ «**ألفية السيرة النبوية**» **المسمّاة بـ«الدّرر السنية في نظم السير الزكية»** لأبي الفضل، زين الدين، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمٰن العراقي (المتوفى ٨٠٦هـ)، دار المنهاج، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٣٣ ـ «**إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحَفَدة والمتاع**» لأبي العباس، تقي الدين، أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني، المقريزي (المتوفى ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي.

١٣٤ ـ «**بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل**» ليحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي (المتوفى ٨٩٣هـ)، دار صادر، بيروت.

١٣٥ ـ «**تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها**» لأبي إسماعيل، حماد بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد الأزدي البغدادي المالكي (المتوفى ٢٦٧هـ)، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري.

١٣٦ ـ «**تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير**» لأبي الفرج، جمال الدين، عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٣٧ ـ «**جمع الوسائل في شرح الشمائل**» لأبي الحسن، علي بن سلطان محمد، الملا الهروي القاري (المتوفى ١٠١٤هـ)، المطبعة الشرفية، مصر، طبع على نفقة مصطفى البابي الحلبي وإخوته.

١٣٨ ـ «**حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار**» لمحمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ«بَحْرَق» (المتوفى ٩٣٠هـ)، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول.

١٣٩ ـ «**الخصائص الكبرى**» لجلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٠ ـ «**دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**» لأبي بكر، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني البيهقي (المتوفى ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٤١ ـ «**الروض الأُنُف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**» لأبي القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى ٥٨١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي.

١٤٢ ـ «**زاد المعاد في هدي خير العباد**» لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٤٣ ـ «**سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**» لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى ٩٤٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض.

١٤٤ ـ «**سلوة الكئيب بوفاة الحبيب ﷺ**» لأبي عبد الله، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي الشافعي، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى ٨٤٢هـ)، دار البحوث للدراسات الإسلامية، الإمارات، تحقيق: صالح يوسف معتوق، هاشم صالح مناع.

١٤٥ ـ «**سيرة ابن هشام**» المعروف بـ«السيرة النبوية» لأبي محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (المتوفى ٢١٣هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي.

١٤٦ ـ «**السيرة الحلبية**» المسمى بـ«إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون» لأبي الفرج، نور الدين، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (المتوفى ١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

١٤٧ ـ «**السيرة النبوية**» لأبي الحسن، علي الحسني الندوي (المتوفى ١٤٢٠هـ)، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٤٨ ـ «**السيرة النبوية الصحيحة**» لأكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٤٩ ـ «**شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**» لأبي عبد الله، محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين الزرقاني المالكي (المتوفى ١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٥٠ ـ «**شرح الشفا**» لأبي الحسن، نور الدين، علي بن سلطان محمد الهروي القاري، المعروف بالملا علي القاري (المتوفى ١٠١٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٥١ ـ «**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**» لأبي الفضل، القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى ٥٤٤هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

١٥٢ ـ «**الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية**» لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي (المتوفى ٢٧٩هـ)، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي.

١٥٣ ـ «**العبر في خبر من غبر**» لأبي عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول.

١٥٤ ـ «**عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**» لأبي الفتح، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي (المتوفى ٧٣٤هـ)، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، تعليق: إبراهيم محمد رمضان.

١٥٥ ـ «**الفصول في السيرة**» لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ)، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو.

١٥٦ ـ «**المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ**» لعز الدين، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني (المتوفى ٧٦٧هـ)، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، تحقيق: سامي مكي العاني.

١٥٧ ـ «**منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ**» لعبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرميّ ثم المكي (المتوفى ١٤١٠هـ)، دار المنهاج، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٥٨ ـ «**المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**» لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (المتوفى ٩٢٣هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.

١٥٩ ـ «**نور اليقين في سيرة سيِّد المرسلين**» لمحمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى ١٣٤٥هـ)، دار الفيحاء، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

١٦٠ ـ «**الوفا بأحوال المصطفى**» لأبي الفرج، جمال الدين عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

خامسًا: كتب التاريخ والتراجم والبلدان:

١٦١ ـ «**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**» لأبي عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (المتوفى ٤٦٣هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت، تحقيق: علي محمد البجاوي.

١٦٢ ـ **«أسد الغابة»** لأبي الحسن، عز الدين، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير (المتوفى ٦٣٠هـ)، دار الفكر، بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٦٣ ـ **«الإصابة في تمييز الصحابة»** لأبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض.

١٦٤ ـ **«البداية والنهاية»** لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي.

١٦٥ ـ **«تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام»** لأبي عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري.

١٦٦ ـ **«تاريخ الخلفاء»** لجلال الدين، عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى ٩١١هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، تحقيق: حمدي الدمرداش.

١٦٧ ـ **«تاريخ دمشق»** لأبي القاسم، علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر (المتوفى ٥٧١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي.

١٦٨ ـ **«تاريخ الطبري» المعروف بـ«تاريخ الرسل والملوك»** لأبي جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري (المتوفى ٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.

١٦٩ ـ **«تقريب التهذيب»** لأبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ)، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٧٠ ـ **«تهذيب التهذيب»** لأبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

١٧١ ـ «**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**» لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى ٤٣٠هـ)، السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

١٧٢ ـ «**دراسات تاريخية**» لأكرم ضياء العمري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٧٣ ـ «**ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين**» لأبي عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ)، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري.

١٧٤ ـ «**سير أعلام النبلاء**» لأبي عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.

١٧٥ ـ «**سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين** رضي الله عنها» للسيد سليمان الندوي الحسيني (المتوفى ١٣٧٣هـ)، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، عرَّبه وحقَّقه وخرَّج أحاديثه: محمد رحمة الله حافظ الندوي.

١٧٦ ـ «**الطبقات الكبرى**» لأبي عبد الله، محمد بن سعد بن منيع البصري البغدادي، المعروف بابن سعد (المتوفى ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، تحقيق: إحسان عباس.

١٧٧ ـ «**كتاب الفهرست**» لأبي الفرج، محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (المتوفى ٣٨٠هـ)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، تحقيق: أيمن فؤاد سيد.

١٧٨ ـ «**مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**» لأبي المظفر، شمس الدين، يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله، المعروف بسبط ابن الجوزي (المتوفى ٦٥٤هـ)، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، تحقيق: محمد بركات، كامل محمد الخراط وآخرين.

١٧٩ ـ «**المساجد الأثرية في المدينة النبوية**» لمحمد إلياس عبد الغني، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٨٠ ـ «**المعالم الأثيرة في السُنَّة والسيرة**» لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١١هـ.

١٨١ ـ «**معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**» لعاتق بن غيث البلادي الحربي (المتوفى ١٤٣١هـ)، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٨٢ ـ «**معرفة الصحابة**» لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني (المتوفى ٤٣٠هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي.

١٨٣ ـ «**من معالم المدينة المنورة التاريخية**» لمحمد علي كاتبي، نادي المدينة المنورة الأدبي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

١٨٤ ـ «**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**» لأبي الفرج، جمال الدين، عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا.

١٨٥ ـ «**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**» لأبي عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، تحقيق: علي محمد البجاوي.

١٨٦ ـ «**الوافي بالوفيات**» لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى ٧٦٤هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى.

١٨٧ ـ «**وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**» لأبي الحسن، نور الدين، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، السمهودي (المتوفى ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

سادسًا: كتب اللغة والمصطلحات:

١٨٨ ـ «**تاج العروس من جواهر القاموس**» لأبي الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، المعروف بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

١٨٩ ـ «**تهذيب الأسماء واللغات**» لأبي زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية.

١٩٠ ـ «**الصحاح**» المسمى بـ«تاج اللغة وصحاح العربية» لأبي نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى ٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

١٩١ ـ «**القاموس المحيط**» لمجد الدين، أبي طاهر، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي.

١٩٢ ـ «**كتاب العين**» لأبي عبد الرحمٰن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى ١٧٠هـ)، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي.

١٩٣ ـ «**لسان العرب**» لأبي الفضل، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

١٩٤ ـ «**مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**» لجمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى ٩٨٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١٩٥ ـ «**مختار الصحاح**» لزين الدين، أبي عبد الله، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (المتوفى ٦٦٦هـ)، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، تحقيق: يوسف الشيخ محمد.

١٩٦ ـ «**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**» لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيّومي ثم الحموي (المتوفى نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.

١٩٧ ـ «**المعجم الوسيط**» لمجموعة من المؤلِّفين، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

١٩٨ ـ «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» لأبي السعادات، مجد الدين، المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير (المتوفى ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي.

سابعًا: كتب متفرقة:

١٩٩ ـ «**الأذكار**» لأبي زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف النووي (المتوفى ٦٧٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، طبعة جديدة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط.

٢٠٠ ـ «**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**» لأبي العباس، تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل.

٢٠١ ـ «**الثبات عند الممات**» لأبي الفرج، جمال الدين، عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، تحقيق: عبد الله الليثي الأنصاري.

٢٠٢ ـ «**جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**» لشمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط.

٢٠٣ ـ «**الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**» لأبي العباس، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الأنصاري (المتوفى ٩٧٤هـ)، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، تحقيق: عبد الرحمٰن بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط.

٢٠٤ ـ «**العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ**» للقاضي أبي بكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري المالكي (المتوفى ٥٤٣هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، تحقيق: محب الدين الخطيب، ومحمود مهدي الإستانبولي.

٢٠٥ ـ «**العُلوّ للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها**» لأبي عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ)، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٠٦ ـ «**فضل الصلاة على النبي ﷺ**» لإسماعيل بن إسحاق القاضي الأزدي الجهضمي (المتوفى ٢٨٢هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

٢٠٧ ـ «**القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها**» لأبي عمران الفليشيّ، موسى بن محمد بن عبد الله الكفيف الأندلسي، المعروف بابن بهيج (المتوفى بعد ٤٩٦هـ)، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، اعتنى به: نظام محمد صالح يعقوبي.

٢٠٨ ـ «**القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع**» لأبي الخير، شمس الدين، محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد السخاوي (المتوفى ٩٠٢هـ)، دار الريان للتراث.

٢٠٩ ـ «**لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**» لأبي الفرج، زين الدين، عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي (المتوفى ٧٩٥هـ)، دار الصديق، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، اعتنى به: عصام موسى هادي.

٢١٠ ـ «**مختصر التحفة الاثني عشرية**» للشاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، نقله من الفارسية إلى العربية (سنة ١٢٢٧هـ): الشيخ الحافظ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي، اختصره وهذّبه (سنة ١٣٠١هـ): محمود شكري الألوسي، المطبعة السلفية، القاهرة، عام النشر: ١٣٧٣هـ.



فهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة